الجامعة الأميركية في بيروت

زيادة اللفظ لزيادة المعنى وأثرها في الكلمة والجملة العربيتين

إعداد

عباس أحمد هوّاش

رسالة

مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة أستاذ في الآداب

(الماجستير)

الى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى

في كلية الآداب والعلوم

في الجامعة الأميركية في بيروت

بيروت ، لبنان

حزيران ١٩٩٩

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE AUGMENTATION OF FORM FOR EMPHASIS AND ITS BEARING ON ARABIC WORDS AND STRUCTURES

by
ABBAS AHMAD HAWASH

A thesis
submitted in partial fulfillment of the requirements
for the degree of Master of Arts
to the Department of Arabic and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon
June 1999

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE AUGMENTATION OF FORM FOR EMPHASIS AND ITS BEARING ON ARABIC WORDS AND STRUCTURES

by
ABBAS AHMAD HAWASH

Approved by:

R. Baalbaki

Dr. Ramzi Baalbaki, Professor — Advisor
Arabic

Dr. Kassim Shaaban, Associate Professor — Member of Committee
English

Vahid Behmardi

Dr. Vahid Behmardi, Assistant Professor — Member of Committee
Arabic

Date of thesis defense: June 3, 1999

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THESIS RELEASE FORM

I, Abbas Ahmad Hawash

☒ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

☐ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals for a period of two years starting with the date of the thesis defense.

عباس هواش
Signature

June 17, 1999
Date

شـــــكــر

أدين بالفضل في انجاز هذه الرسالة إلى السيدة دلال قصب السمرة. وأنا إذ أشكرها أودّ أن أنوّه بالدعم الذي لقيته منها مدّة انشغالي في كتابة رسالتي.

وأجد هذه الرسالة مدينة بالفضل كذلك للآنسة ضحى رشيد قبلاوي التي قامت بطباعتها وأبدت صبراً وتفانياً يندر نظيرهما ، وأنجزتها باخلاص فذٍّ ودأبٍ لا يعرف الكلل. كما لا يفوتني شكر السيدة دنيا الحريري بلطجي التي ما بخلت في تقديم المساعدة في سبيل اتمام هذا العمل.

فإلى هؤلاء جميعاً ، وغيرهم ممن ساهم في اخراج هذه الرسالة إلى النور ، أوفى الشكر والتقدير ، إذ لولاهم ما كان لهذه الرسالة أن تنجز على هذا النحو. فالله يجزيهم عني وعن العلم خير الجزاء.

مستخلص لأطروحة

عباس أحمد هوّاش   لماجستير في الآداب

الاختصاص: اللغة العربية وآدابها

العنوان : زيادة اللفظ لزيادة المعنى وأثرها في الكلمة والجملة العربيتيْن.

شغل موضوع الصلة بين اللفظ والمعنى حيزاً كبيراً من جهود العلماء ، وحظي باهتمامهم عبر العصور التاريخية كافة . ولفتت هذه الصلة لغويي العرب الذين كادوا يجمعون على القول بالمناسبة بين اللفظ ومدلوله حين جعلوا الألفاظ أدلّةً للمعاني. فكانت هذه المناسبة حجر الزاوية في تبلور مفهوم الزيادة اللفظية الناجمة عن زيادة المعنى ، والتي أمست قاعدة لغوية عامة مؤدّاها أنّ زيادة بناء الكلمة تدلّ على زيادة معناها .

فالعرب حين أرادوا تكثير المعنى عمدوا إلى تكثير حروف اللفظ الدّال عليه ، بواسطة حروف الزيادة المجموعة في " سألتمونيها " وحروف الزيادة التصريفية أو بواسطة تكرار مقطعٍ من اللفظة. وفي العربية أوزان تفيد المبالغة والتكثير، نحوصيغ المبالغة وما شاكلها ، إلى جانب بعض صيغ الجموع التي ترمي إلى المبالغة والتكثير.

غير أن هذا لا يعني أن زيادة اللفظة مقتصرة على الكلمة، إذ إنّ الزيادة اللفظية في الجملة شأنها في الكلمة تسهم في زيادة المعنى الذي تنطوي عليه الجملة ، أي تؤكده . والعربية تملك أنماطاً وتراكيب مختلفة تفيد التوكيد ، وجميعها قائم على مفهوم الزيادة . فدلالة التوكيد غير منوطة فقط بما يعرف بباب التوكيد، وهو الباب الذي التفت إليه نحاة العرب وأولوه عنايتهم .لذا كان هدفنا في هذه الرسالة استقصاء الزيادة اللفظية التي تقع في كلٍّ من الكلمة و الجملة.

AN ABSTRACT OF THE THESIS OF

Abbas Ahmad Hawash for Master of Arts
Major: Arabic Language and Literature

Title: The augmentation of form for emphasis and its bearing on Arabic words and structures.

This thesis intends to study the relation between form and meaning in Classical Arabic with the assumption that the augmentation of form in both word and sentence results in strengthening of the meaning or in emphasis. Presumably, it is well-known among linguistics that there is a direct relation between the augmentation of form and strength of meaning.

Precisely, this thesis aspires to identify the types of augmentations and their impact on meaning. Moreover, it broadens the concept of augmentation by manipulating the sentence structure. The research intends to prove and demonstrate that not only does the augmentation of form occur in the word, but also it exists in sentence structure.

The views and comments of early Arab grammarians will be examined, and I will try to use the data assembled to come up with a classification of the types of augmentation in Classical Arabic. It is important to note as well that the full picture at the syntactic level can only emerge when the works of the rhetoricians are examined, due to their primary concern with the meaning of structures, and not merely their formal aspects.

المحتويات

الصفحة

شـــكر .... أ

مستخلص بالعربية .... ب

مستخلص بالإنكليزية .... ج

الفصل

I. مقدمة ١

II. العلاقة بين اللفظ والمعنى ٣

أ. دلالة اللفظ على المعنى ٣

ب. نشأة اللغة ١٢

١. نظرية المحاكاة ١٢
٢. أسماء الأصوات ١٦
٣. حكاية الأصوات ٢١
٤. نظرية التوقيف ٣٢

III. الزيادة في اللفظة ٤٦

أ. الزيادة ٤٦

١. أغراض الزيادة ٤٦

٢. حروف الزيادة ٥٠

ب. زيادة اللفظ لزيادة المعنى ٥٣

ج. الزيادة اللفظية في الأدوات ٥٧

١. (ألا/ألاّ) ٥٨

٢. (هلا/هلاّ) ٦١

٣. (أنْ/أنّ) ٦٤

د. نونا التوكيد ٦٧

هـ. الثنائي المكرّر (الرباعي المضعّف) ٦٩

و. صيغ المبالغة ٧٣

ز. أوزان تفيد المبالغة والكثرة ٨٩

ح. حروف الزيادة التصريفية ١٠٥

ط. صيغ الجموع ١٢٠

IV. الزيادة في الجملة ١٢٨

أ. التوكيد ١٣٠

١. التوكيد اللفظي ١٣١

٢. التوكيد المعنوي ١٣٥

ب. الجملة المعترضة ١٤٠

ج. الإتباع ١٤٣

د. التوكيد بالأسماء ١٤٦

١. المصدر (المفعول المطلق) ١٤٦

٢. الحال ١٥٣

٣. التمييز ١٥٦

٤. النعت ١٥٨

٥. البدل ١٥٩

٦. الظروف ١٦٢

هـ. التوكيد بالأدوات والحروف ١٦٣

١. حروف الجر ١٦٣

٢. حروف المعاني .... ~~١٧٥~~ ١٧١

٣. حروف الجواب .... ~~١٩٧~~ ١٩٣

٤. الحروف المشبّهة بالفعل .... ~~٢٠٣~~ ١٩٩

و. التوكيد بالضمائر .... ~~٢٠٩~~ ٢٠٥

١. ضمير الفصل .... ~~٢٠٩~~ ٢٠٥

٢. ضمير الشأن .... ~~٢١٣~~ ٢٠٨

ز. أساليب تفيد التوكيد .... ~~٢١٥~~ ٢١١

١. القصر .... ~~٢١٥~~ ٢١١

٢. القسم .... ~~٢١٩~~ ٢١٥

V. خـــاتمـة .... ~~٢٣٦~~ ٢٢٢

المصادر والمراجع .... ~~٢٣٠~~ ٢٢٦

الفصل الأول

مقدّمــة

تبحث هذه الرسالة ، كما يشير عنوانها ، في العلاقة بين اللفظ ومدلوله ، من خلال ظاهرة لغوية هامّة هي زيادة اللفظ لزيادة المعنى . فالمعروف لدى جمهور اللغويين عامّة أن زيادة حروف الكلمة تؤذن بتقوية معناها وتوكيده. وقد لفتني خلال الإطّلاع على عددٍ من كتب اللغة خلال مرحلة التحضير لهذه الرسالة أنّ كثيراً من اللغويين قد أشار إلى تلك المسألة ، نحو ابن جنّي في *الخصائص* ، وابن فارس في *الصاحبي في فقه اللغة والمقاييس*. غير أنهم اكتفوا بالاشارة إلى الزيادة الأحرفية التي تصيب الكلمة، ولم يلتفتوا إلى الزيادة التي تطرأ على تركيب الجملة فيؤدّي إلى توكيد معناها.

لذا فإنني أرى أن البحث يسهم في تحديد أنواع الزيادة وتبيان أثرها الدلالي في المعنى من خلال توسيع فكرة الزيادة بالتطرق إلى التركيب ، فيحاول أن يثبت أن زيادة اللفظ لزيادة المعنى لا تقتصر على الكلمة ، بل تتعدى ذلك إلى تركيب الجملة . فقد ألفيت في العربية كثيراً من الكلمات والأدوات والحروف التي تدخل على الجملة لتوكيد مضمونها، وليس الأمر مقتصراً على ما يعرف بباب التوكيد . غير أن علماء اللغة والنحو أفردوا في كتبهم أبواباً خاصة بزيادة اللفظ لزيادة المعنى فيما يخص الكلمة ، ولم يفعلوا الأمر نفسه فيما يخص الجملة . وقد يكون مرد ذلك إلى تعدد الأساليب التي تفيد

تأكيد المعنى وتقويته في التركيب . ولذا كان مدار هذا البحث استقصاء تلك الزيادة التي تطرأ على كلّ من الكلمة والجملة بغية توكيد المعنى وتكثيره والمبالغة فيه.

يقع البحث في ثلاثة فصول . يتناول الأول العلاقة بين اللفظ و مدلوله، ويعرض لمجموعة من الآراء التي تناولت هذه القضية. فيتطرّق إلى نشأة اللّغة من خلال نظرية المحاكاة ، ويشير إلى أنّ هناك طائفة من الألفاظ تظهر فيها العلاقة بين لفظها ودلالتها واضحةً بيّنة كأسماء الأصوات على نحوٍ يستحيل معه ردّ تلك العلاقة . ويخلص إلى أن هناك ثمة مناسبة لا يمكن إنكارها بين اللفظ والمعنى . وبالتالي ، فإن أية زيادة تطرأ على اللفظ يوازيها زيادة تصيب المعنى.

يتناول الفصل الثاني الزيادة الطارئة على اللفظ على نحو يبرز أن تكثير حروف اللفظ يقابله زيادة في معناه ، فيأتي على دراسة الأدوات والصيغ والأوزان التي تفيد المبالغة في المعنى وتكثيره . ويبحث في حروف التحضيض ونوني التوكيد والثنائي المكرّر الذي زيد في مبناه لزيادة معناه . وينتهي الفصل بالإشارة إلى بعض أوزان الجمع التي ترمي إلى المبالغة في الكثرة.

أمّا الفصل الثالث فيعرض للزيادة اللفظية التي تقع في التركيب بغية توكيد المعنى. فيتناول أسلوب التوكيد بشقّيه اللّفظي والمعنوي . وينتقل إلى التوكيد بالأسماء كالمصدر والحال والتمييز وغيرها. كما يدرس التوكيد بحروف المعاني ، نحو حروف الجر الزائدة والحروف المشبّهة بالفعل وحروف الجواب . ويأتي كذلك على التوكيد بالضمائر ، إلى بعض الأساليب التي ترمي إلى تقرير المعنى كالقسم والقصر.

الفصل الثاني

العلاقة بين اللفظ والمعنى

أ. دلالة اللفظ على المعنى

إنّ قضيّة العلاقة بين اللفظ والمعنى ، أي بين الدال والمدلول، من القضايا التي شغلت حيّزاً كبيراً من جهود العلماء ، واسترعت نظر المفكّرين ، وحظيت باهتمامهم عبر العصور التاريخية كافّة . وانبرى العلماء العرب على اختلاف مشاربهم ، فقهاء وفلاسفة ونحاة ولغويون – منذ وقت مبكر – لدراسة الصّلة بين اللفظ ومدلوله ، فراحوا يتساءلون عن أسرارها محاولين تفسيرها وتبيان كنهها . (١)

فقد لمح نفرٌ من العاملين في حقل العلوم اللغوية ، قديماً وحديثاً ، أن هناك مناسبة

---

١. أنظر في موضوع دلالة اللفظ على المعنى: *المقدمة* لابن خلدون، و*الكلّيات* لأبي بقاء الكفوي ، و*الشفاء* لابن سينا، و*معيار العلم* للغزالي ، و*التعريفات* لعلي بن محمد الجرجاني الذي يورد تعريفاً جامعاً عن الدلالة عند علماء الأصول:" دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص". أنظر : *التعريفات* للمؤلف ، ص : ١٣٩.

بين اللفظ ومدلوله ، أي بين الأداء الصوتي للكلمة وكيفية هذا الأداء وبين معنى الكلمة .

لذا ربطوا بين الزيادة والنقص اللذين يطرآن على اللفظ ، والزيادة أو النقص اللذين يعتريان المعنى. ولعلّ الخليل أوّل من تنبّه إلى هذه الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها ، دون أن يشير إلى ذلك صراحة.[٢]وهذا الاعتقاد بالصلة يتجلّى في ما أورده في مقدمة *كتاب العين*:"... ويجيء منه كثيراً مختلفاً نحو قولك صرّ الجندب صريراً وصرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً."[٣]

فقد أدرك الخليل بحسّ اللغوي الحاذق أنّ الاختلاف بين لفظ (صرّ) الدال على صوت الجندب ، ولفظ (صرصر) الدال على صوت البازي يكمن في التباين بين طبيعة الصوتين : " وليس هذا الصوت الممتد في (صرّ) إلاّ استشعاراً بما في صوت الجندب من امتداد، ولذلك حين لاحظوا التقطيع في صوت البازي جاءوا باللفظ الدّال عليه

---

٢. يذهب مهدي المخزومي إلى ذلك قائلاً:" أستطيع أن أقول مطمئناً إنه هو صاحب هذا الرأي بين علماء العربية، لأني لم أقف لغيره ممن سبقه على كلام فيه." غير أنه يستدرك:" ولست أزعم أن للخليل في هذا نظرية تامّة التكوين، ولكني أزعم أنها كانت ماثلة في ذهنه فكرة لم يتمّ لها النضج بعد." أنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي للمؤلف ،ص:٨٦.

٣. الخليل بن أحمد ، العين١: ٥٦ . أنظر: الخصائص لابن جني ، ٢:١٥٢ ؛ المزهر للسيوطي ،١: ٤٨ ؛ الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ، ص:٣٦. والنص المنسوب إلى الخليل عند ابن جني والسيوطي مختلفٌ بعض الشيء عمّا ورد في العين.

وفيه تقطيع، وهذا التقطيع متمثّل في هذا اللفظ المرجّع المكّون من مقطعين هما (صر) (صر) ." [٤]

وتناول هذه الصلة كذلك سيبويه في بعض أبواب كتابه، ومن ذلك قوله في (باب بناء الأفعال التي هي أعمال تعدّاك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها) :" ومن المصادر التي جاءت على مثالٍ واحدٍ حين تقاربت المعاني قولك النّزَوَان والنّقَزان، والقَفَزَان ، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ، ومثله العَسَلاَن والرَّتَكَان ، وقد جاء على فُعال نحو النُّزاء والقُماص كما جاء عليه الصوت نحو: الصراخ والنباح، لأن الصوت قد تكلّف فيه من نفسه ما تكلّف من نفسه في النزوان ونحوه ... ومثل هذا الغليان لأنّه زعزعةٌ وتحرّكٌ ومثله الغثيان لأنه تجيُّش نفسه وتثُّور، ومثله الخَطَرَان واللَّمَعَان لأن هذا اضطراب وتحرّك، ومثل ذلك اللهبان والصخدان والوهجان لأنه تحرّك الحر وثؤوره فإنما هو بمنزلة الغليان." [٥] فسيبويه هنا يذهب إلى أنّ الغليان واللهبان والغثيان وما شابهها من المصادر إنما كانت محرّكة لما تحاكيه من دلالة على الحركة.

قد تكون أوّل صورة من صور التعبير عن المقابلة بين اللفظ والمعنى قد وردت عند سيبويه، حين نراه يضع الرمز الصوتي وصيغته الصرفية من جهة، ويمثّل في الجهة

---

٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي للمخزومي ، ص:٨٨.

٥. الكتاب لسيبويه، ٢ : ٢١٨ . أنظر: المزهر ١: ٤٨؛ الاقتراح، ص: ٣٦؛ الخصائص ، ٢: ١٥٢.

الأخرى مدلوله الجزئي. فالكلم عنده ينقسم إلى "اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل." [٦] وكل قسم من هذه الأقسام يمكن أن نطلق عليه (لفظ) . ويذهب أبعد من ذلك في إيجاد العلاقة بين اللفظ ومعناه حين يقرّر" أن من كلامهم [العرب] اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين."[٧] ولسنا هنا بصدد التطرّق إلى مناقشة ظاهرتي الترادف والاشتراك ، لأنهما خارج إطار بحثنا هذا. إنّما نروم من وراء الاستشهاد بكلام سيبويه التدليل على أن فكرة العلاقة بين اللفظ ومدلوله كانت ماثلة في ذهن اللغويين المتقدّمين الذين ربطوا بين الشكل والمضمون للكلمة الواحدة .

وأتى ابن جنّي ليؤكّد ويوضح العلاقة بين أصوات الكلمة ومعناها ، ذاكراً سبق الخليل وسيبويه إلى هذه المسألة . فتوسّع في دراستها مستفيداً في تناوله لها من التراث الذي خلفه سابقوه. فذكر في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) من كتابه *الخصائص* أن المصادر الرباعية تأتي للتكرير نحو الزعزعة والصلصلة والجرجرة والقرقرة وغيرها. كما ربط بين معنى الحركة والاضطراب وصيغة (فعَلان). وفسّر المناسبة بين استعمال صيغة (استفعل) للطلب وبين معنى الطلب[٨] ،والصلة بين تضعيف عين الفعل

---

٦. الكتاب ، ١ : ٢.

٧. نفسه ، ١ : ٧.

في مثل كسّر وقطّع وبين تقوية المعنى. وجعل صيغة (الفَعَلى) في المصادر والصفات تأتي للسرعة نحو البَشَكَى والجَمَزَى. [٩]

وقد توسّع ابن جنّي في تبيان هذه الصلة ، فقال بالمناسبة بين الصوت الأول من الكلمة والخطوة الأولى في العمل الذي تدلّ عليه، والصوت المتوسط والخطوة المتوسطة، والصوت الأخير والخطوة الأخيرة . ومن أمثلة ذلك (بحث) . فالباء جاءت أولاً لأن صوتها يشبه خفقة الكف على الأرض ، وهذه أولى خطوات البحث. والحاء أتت ثانية لأن صوتها بما فيه من البحّه يشبه صوت مخالب الأسد أو براثن الذئب إذا غارت في الأرض. والثاء أتت أخيرة لأن صوتها يشبه النفث والبث للتراب. [١٠] فجاء هذا الترتيب، أي " تقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب." [١١] وبهذا يمكننا القول

---

٨. يلاحظ ابن جنّي أنّ ترتيب الحروف يأتي وفقاً لترتيب الأحداث،ويمثّل على ذلك بـ (استطعم) أي طلب الطعام. فالهمزة والسين والتاء تدل على طلب الشيء، لذا وضعت في أوّل الفعل كما أن الطلب يأتي متقدماً . ثم جاءت الحروف الأصلية الدالة على الحدث الأصلي. أنظر: الخصائص ، ٢ : ١٥٣ ـ ١٥٤؛المزهر ، ١: ٤٩.

٩. الخصائص ، ٢ : ١٥٢ ـ ١٥٣ . أنظر : المزهر ، ١: ٤٨ ؛ الأقتراح ، ص: ٣٦-٣٧.

إنّ " في بنية الكلمة لكل نوع من الحروف والأصوات وظيفة في تكوين المعنى وتثبيت أصله وتنويع شكله وألوانه مع تناسب بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة." (١٢)

ومن مظاهر الصلة بين اللفظ ومدلوله ، عنده ، اختيار الأصوات الملائمة للأحداث، أي أن يأتي الصوت مناسباً للحدث من حيث القوة والضعف والصلابة واللين. من أمثلة ذلك كلمتا (الخضم) و (القضم). فالخضم هوأكل الشيء الرطب ، والقضم هو أكل الشيء اليابس ، لأن الأوّل استعملت فيه الخاء الرخوة، أمّا الثاني فاستعملت فيه القاف الشديدة الصلبة . (١٣) ومن ذلك (القسم) و(القصم) ، " فالقصم أقوى فعلاً من القسم، لأن القصم يكون معه الدق، وقد يُقسم بين الشيئين فلا يُنكأ أحدهما، فلذلك خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين." (١٤)

هكذا ، فالخضم والقضم والقسم والقصم وغيرها من الأمثلة التي يوردها ابن جنّي

١٠.الخصائص ، ٢ : ١٦٣.

١١. نفسه ، ٢: ١٦٢ ؛ أنظر : المزهر ، ١: ٥٠.

١٢. فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك، ص : ٢٦٣.

١٣. الخصائص ، ١: ٦٥ ، ٢: ١٥٧. أنظر: المزهر ، ١: ٥٠.

١٤. الخصائص ، ٢: ١٦١.

في *الخصائص* [١٥] ، ما هي إلاّ تعبيرٌ عن محاكاة للصوت الذي ينبعث من قطع الأجسام. فالمتكلمون بهذه الأصوات كانوا يسمعون هذه الأصوات وأمثالها، وكانوا يحاكونها ما يسمعون مستعملين الأصوات اللغوية . وهذا ما يعنيه ابن جنّي بقوله:" فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسعٌ ، ونهجٌ متلئّب عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعّبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره."[١٦] فالعربية تتميّز عن سواها من اللغات في " تقابل الأصوات والمعاني في تركيب الألفاظ ، وأثر الحروف في تقوية المعنى أو إضعافه ، والانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها." [١٧] إذن ، نرى أن الصلة الوثيقة بين اللفظ ومدلوله تتجسّد عبر العلاقة بين صفة الصوت في الكلمة والمعنى الذي تدلّ عليه. فعبّر شدّة الصوت وجهره عن معنى قويٍّ ، وتعبّر رخاوة الصوت وهمسه عن معنى فيه لين ويسر. وتدلّ توالي الحركات في الكلمة على توالي حركات الفعل في الواقع ، و زيادة

١٥.أنظر مزيداً من الأمثلة في الخصائص ،٢ : ١٥٧-١٦٣؛
المزهر ،١: ٤٩ -٥٠.

١٦. الخصائص ، ٢: ١٥٧.

١٧. فقه اللغة و خصائص العربية، ص : ١٠٥.

أصوات الكلمة على زيادة المعنى. وهذا ما يُعرف في الدرس اللغوي الحديث بالمحاكاة. فالمحاكاة تقوم على مبدأ المضاهاة بين أجراس الحروف وأصوات الأفعال التي تعبّر تلك الأجراس عنها. (١٨)

والواقع أنّ قضيّة المناسبة بين اللفظ ومدلوله تطرح السؤال التالي :أهي مناسبة طبيعية ذاتية تجعل السامع يفهم اللفظ بمجرد ذكره لاشتماله على أصوات تناسب هذا المعنى على نحو ما يورده السيوطي في *المزهر* من أنّ بعض من يرى مناسبة الألفاظ لمعانيها "سُئِل: ما مسمى (إذغاغ)، وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يبساً شديداً، وأراه الحجر"، (١٩) أو أنّ هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله لكن لا تصل إلى حد المناسبة الطبيعية كما ذهب عباد بن سليمان الصيمري الذي كان يرى " أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع... وإلاّ لكان تخصيص الاسم المعيّن بالمسمّى المعيّن ترجيحاً من غير مرجّح." (٢٠)

وقد تصدّى كثيرٌ من فلاسفة اليونان والرومان للإجابة عن هذا السؤال، فأخذوا يسائلون أنفسهم عن العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها، وعمّا إذا كانت هذه العلاقة

---

١٨. الخصائص ، ١: ٦٥.

١٩. المزهر ، ١ : ٤٧.

٢٠. نفسه ، ١ : ٤٧. ولا يخفى أن هذا مثالٌ ضعيفٌ مختلق ولا يمكن الاعتماد عليه.

تتضمّن ناحية رمزيّة توثق بين تلك الأصوات وما تدل عليه الكلمات من أمور ندركها بالحواس والعقول، أو أنّ الأمر لا يعدو مجرد المصادفة، وأنّ ما نطلق عليه كلمةً مثل شجرة ، كان من الممكن أن يطلق عليه أيّ كلمة أخرى مكوّنة من أصوات أخرى."[٢١]

وانشطر هؤلاء إلى فريقين متناقضين ؛ فقد تصوّرت طائفة منهم وجود صلة طبيعيّة ذاتية بين اللفظ ومعناه.[٢٢] بينما ذهب آخرون إلى أن هذه الصلة " لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، وتزعم هذا الفريق فيما بعد أرسطو."[٢٣] وقيل إنّ موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه جذب اهتمام الهنود، ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين . فقد اختلفت آراء اللغويين الهنود فيما يخص هذا الموضوع واتّخذ النقاش أحياناً منحى لاهوتياً أو فلسفياً. [٢٤]ففي حين نجد فريقاً يصرّح بأن العلاقة

---

٢١. من أسرار اللغة لابراهيم أنيس، ص: ٧٠.

٢٢. هذا الاتجاه يظهر في ما يرويه أفلاطون في محاورته عن استاذه سقراط التي تمثّل تلك الصلة الوثيقة بين الألفاظ ومدلولاتها على نحو يجعلها سبباً طبيعياً للفهم والإدراك. انظر من أسرار اللغة ، ص : ٧٠ ؛ دلالة الألفاظ للمؤلف نفسه، ص: ٥٦ ، ٦٢– ٦٣.

٢٣. دلالة الألفاظ ، ص : ٦٣.

٢٤. البحث اللغوي عند الهنود لأحمد مختار عمر، ص: ١٠١ ـ ١٠٢.

أدنى علاقة طبيعية أو غير طبيعية بين اللفظ ومدلوله، معتبراً أية محاولة إيجاد نوع من هذه العلاقة قائمة على التعسف والمغالاة . ويذهب إلى أن وجود علاقة ما بينهما قائمٌ على الإرتجال ولكن طبقاً لإرادة إلهية.(٢٥) وهناك فريق ثالث اتخذ موقفاًوسطاً بين كلا الفريقين، وهو يميل إلى القول بوجود شيء من العلاقة اللازمة بين اللفظ ومعناه كالعلاقة اللزومية بين النار والدخان. (٢٦) وليس ببعيد أن يكون علماء العربية قد تأثروا بالجدال الذي دار رحاه بين علماء اللغة اليونانيين في هذا النوع من التفكير ، فشطرهم إلى فريقين. (٢٧)

ب. نشأة اللغة

١. *نظرية المحاكاة*

إنّ الخوض في موضوع دلالة اللفظ على المعنى أهي دلالة اصطلاحية أو

---

٢٥. البحث اللغوي عند الهنود لأحمد مختار عمر ، ص : ١٠٤.

٢٦. نفسه ، ص:١٠٣.

٢٧. دلالة الألفاظ ، ص: ٦٤.

توقيفية، يدفعنا إلى التطرّق إلى نظرية المحاكاة التي تُفسّر في ضوئها نشأة اللغة ، إذ إنّ العلاقة بين اللفظ ومدلوله تتصل بالواقع بالقول بنشأة اللغة عن الأصوات الطبيعية. بيد أن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع القائلين بوجود مناسبة بين اللفظ ومدلوله يقولون بنشأة اللغة عن هذه الأصوات، فهناك نفرٌ من اللغويين يرون إلى هذه المناسبة بينما يذهبون في نشأة اللغة مذهباً أخر [٢٨] ، حتى لنرى ابن جنّي نفسه، وهو أحد القائلين بنشأة اللغة على هذا النحو، لم يتبنّ فكرة الصلة بين اللفظ ومدلوله بشكل مطلق ، هي عنده "وجة صالح ومذهب متقبّل." [٢٩]

وتناول السيوطي في فاتحة *المزهر* قضية نشأة اللغة ،عارضاً للآراء الكثيرة التي تناولت هذا الموضوع على طريقته المعهودة في النقل والاستعراض. [٣٠] والناظر في هذه الآراء على اختلافها عند اللغويين وغيرهم ، يستطيع بسهولة أن يلمس الحيرة التي تملّكت العاملين في الحقل اللغوي حيال تحديد قاطع لنشأة اللغة. فقد طال الجدل قديماً وحديثاً في أمر نشأة اللغة وبالتالي أمر الدلالة هل هي تواضع واصطلاح أم وحي

---

٢٨. نحو أحمد ابن فارس الذي كان أحد أئمة مذهب التوقيف، إلا أنه أورد في *المقاييس* بعض الاشارات إلى ما بين الألفاظ ومدلولاتها من تناسب.

٢٩. الخصائص، ١ : ٤٧.

٣٠. المزهر، ١: ٨ ـ٣٠.

وتوقيف. فهذا ابن جنّي يقر بأن " هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف." [٣١] ونراه يحاول جاهداً لكي يأتي بتفسير للآية الكريمة: ﴿ علّم آدم الأسماء كلّها ﴾ [٣٢] يوافق مذهبه اللغوي بأن الله أقدر آدم على أن واضع عليها.[٣٣]

غير أننا نجد أن ابن جنّي الذي يرجّح كون اللغات اصطلاحية، ويذكر بعض الآراء في تفسير نشأة اللغة من أصوات المسموعات كدوي الريح وحفيف الأشجار ونحوها [٣٤]، لا يستطيع أن يدلي برأي قاطع، بل نراه ينتهي إلى عدم ترجيح رأي بعينه على سائر الآراء ، فيقول: " فإن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين، إمّا أن تكون لم تُنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل فقد تخفى عنا، وتقصر أسبابها دوننا كما قال

---

٣١. الخصائص ، ١ : ٤٠ . أنظر: المزهر ،١: ١٠.

٣٢. سورة البقرة ، الآية : ٣١.

٣٣. الخصائص ،١: ٤٠ – ٤١؛ المزهر، ١: ١٠-١١.

٣٤. يقول ابن جنّي في الخصائص، ١ : ٤٦-٤٦ :" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلّها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء... ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح،ومذهب متقبّل." أنظر: المزهر ١: ١٤_ ١٥.

سيبويه." (٣٥)

يعني هذا القول وجود مناسبة بين اللفظ والمعنى، قد تقرب فيمكن إدراكها لكونها واضحة، وقد تبعد فيمكن ادراكها بالتأمل، أو لا يمكن ادراكها لإمكان تطوّر هذه الألفاظ عن أصول كانت تتّضح فيها المناسبة بين اللفظ ومدلوله ، وأحدث فيها التطوّر بعض التغيير مما جعل إدراك هذه المناسبة عسيراً وبعيداً. (٣٦)

بالعودة إلى فكرة المحاكاة، نقول إنها فكرة قديمة العهد في الدرس اللغوي العربي، وتعود كما أشرنا إلى انتباه الخليل بن أحمدإلى الصلة بين اللفظ ومدلوله في الألفاظ المعبّرة عن أصوات مسموعات لمس فيها أصواتاً تحاكي أصوات الطبيعة. وهذه الفكرة ترمي إلىإثبات شيءٍ من العلاقة الطبيعية بين جرس الحروف ودلالاتها في مرحلة أولى، وبين أصوات الألفاظ ومعانيها في مرحلة لاحقة على نحوٍ يجعل من الحروف والصيغ مترابطة مع الدلالة. ويبعث على افتراض أن هناك نتيجة حتميّة وضرورية

---

٣٥. الخصائص ، ٢: ١٦٤.

٣٦. هذا ما يقول به محمد المبارك :" قد ينشأ ضعف الصلة بالأصل الإشتقاقي بسبب تبدلات كثيرة طرأت على معاني الكلمة فأبعدتها عن الأصل حتى لتبدو للسامع منقطعة الصلة غريبة عن أصلها، وهذا يحدث في العربية كما يحدث في غيرها،ولكن الإهتداء إلى هذه الصلة في العربية أسهل لثبات الحروف الأصلية ، فلا يبقى إلاّ التفتيش عن الحلقات الضائعة التي تصل المعنى الحديث بالقديم."أنظر:فقه للغة وخصائص العربية، ص: ١٧٤.

للإيحاء من توالي الحروف أو تركيب الصيغ والكلمات.

٢. *أسماء الأصوات*

لفتت الصلةُ بين اللفظ ومعناه ابن فارس مما دفعه إلى ترجيح الاعتقاد أنّ في اللغة مجموعة من الألفاظ والمباني لها دلالات تكشفها الأصوات ، ومعاني توضحها الصيغ هي أسماء الأصوات. فيقول في مادة (أح) :" وللهمزة والحاء أصلٌ واحدٌ ، وهو حكاية السعال وما أشبهه من عطش وغيظ . " [٣٧] فقد نبّه ابن فارس على أن اللفظ يحكي صوت السعال ، كأنما كان يلمس ما في اللفظ من كشف عن المعنى. ويتابع:

"ويقال في حكاية السعال : أحٍّ أحًّا. قال:

يكادُ من تنحنُحٍ وأحِّ   يحكي سُعالَ الشرقِ الأبحِّ

وذكر بعضهم أنه ممدود: آح. وأنشد:

كأنَّ صوت شخْبِها المْمتاحِ   سعالُ شيخٍ من بني الجُلاحِ

يقول من بعد السعال: آحِ " [٣٨]

---

٣٧. المقاييس لابن فارس، ١: ٩.

٣٨. نفسه ، ١: ٩-١٠.

إنّ هذا النص يفصح عن مدى حس العرب الفطري للصلة الوثيقة والارتباط بين اللفظ والمعنى. وقال في مادة (صلّ) :" صلّ اللجام وغيره إذا صوّت. فإذ اكثر من ذلك منه قيل: صلصل. وسمي الخزف صلصالاً لذلك لأنه يصوّت ويصلصل." (٣٩) فهو يقرر بذلك أن أكثر الكلمات الدالة على الأصوات إنما هي حكايات ، أي ألفاظٌ يُفهم معناها من مبناها:" فأمّا الأصوات فقد تكون قياساً، وأكثرها حكاياتٌ . فيقولون: قرقرت الحمامة قرقرةً وقرقريراً.(٤٠)

هكذا، نجد ابن فارس يقف بين من ذهب إلى القول بالصلة بين اللفظ ومعناه وبين من أنكر هذه الصلة. يقول في باب (أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق) :" يكون ذلك على وجوه، فمنه اختلاف اللفظ والمعنى وهو الأكثر والأشهر، مثل رجل وفرس وسيف ورمح ... ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كالحزم والحزن. فالحزم من الأرض أرفع من الحزن، وكالخضم وهو بالفم كله، والقضم وهو بأطراف الأسنان." (٤١) فابن فارس لم يجعل الصوت دليلاً على المعنى إلاّ في كلمات خاصة سمّاها أسماء الأصوات. وهذا موقف – فيما نرى – أقرب إلى الموضوعية والاعتدال من وجهة نظره ، إذ إنه كان

---

٣٩. المقاييس ، ٣: ٢٧٧.

٤٠. نفسه ، ٥ : ٨

٤١. الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧.

ممن قالوا بمذهب التوقيف.

واشتق العرب بعض الكلمات من أسماء الأصوات ، نحو: هاهيت وحاحيت وعاعيت وحأحأت وسأسأت وشأشأت،وهذه الألفاظ وغيرها تستعمل في زجر الحيوان.[٤٢] كما قالوا : تقعقع الشيء إذا صوّت عند التحريك، وهي من القعقعة حكاية صوت السلاح والجلد اليابس والقرطاس وما شابه ذلك. وكذلك خرّ الماء إذا اشتدّ جريه من الخرير،[٤٣]

قسّم الرضي الألفاظ التي يسميها النحاة أصواتاً [٤٤] إلى ثلاثة أقسام . أولها: حكاية صوت صادر إمّا عن الحيوانات العجم كغاق أو عن الجماد كطق. وثانيها: أصوات خارجة عن فم الإنسان غير موضوعة وضعاً ، بل دالة على معان في أنفسهم كأف وتف.

---

٤٢. الخصائص ، ٢ : ٤٠ ، ١٦٥. أنظر : سر صناعة الاعراب لابن جنّي ، ١: ٢٣٤.

٤٣. فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، ص: ١٩٧ - ١٩٩ حيث هذه الأمثلة وغيرها من حكايات الأصوات .

٤٤. يعرّف ابن مالك اسم الصوت بقوله:

وما به خوطب ما لا يَعقلُ   من مشبه اسم الفعل صوتاً يُجعلُ
كذا الذي أجدى حكاية كـ(قبْ)   والزم بنا النوعين فهو قد وجبْ

وفسّره الأشموني بأنه " ما وضع لخطاب ما لا يعقل أو ما هو في حكم ما لا يعقل من صغار الآدميين أو لحكاية الأصوات." أنظر:شرح عقيل ، ص: ٤٦٣ ؛ شرح الأشموني ، ٢: ٤٩٢.

وثالثها: الأصوات التي يصوّت بها للحيوانات عند طلب شيء منها. [٤٥] وقد فسّر أحد الدارسين وجود تلك الألفاظ بأنها كانت محاولات من جانب الإنسان البدائي للتعبير عن الشيء الذي يصدر عنه الصوت المحاكى باستخدام ما زوّد به من قدرة على لفظ أصوات مركبة ذات مقاطع .[٤٦]

واستفاد لغويو العرب من هذه الأصوات باشتقاق أفعال منها. فاستعمل الفعل (أفف) من (أفّ) ، فقالوا : أففت به أي قلت له: أف. [٤٧] واشتقوا الصهصهة من (صه)(صه)، والبخبخة من (بخ)(بخ) ، والتأخيخ من(أخ) (أخ). كما اشتقوا البسبسة حكاية زجر الهرّة.[٤٨] و تنبّه نحاة العرب إلى أن بعض الأصوات المحاكية لما يصدر عن الطير وغيره ، وبعض الأصوات التي توجّه إلى الحيوان نُقِلَ فصار اسماً للطير أو الحيوان وغيرها. وورد في كتب النحو واللغة أمثلة كثيرة لاستعمال تلك الأصوات اسماً لما

---

٤٥. شرح الكافية للأستراباذي ، ٢ : ٧٩ – ٨٠.

٤٦ . علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي، ص: ٩٥ – ٩٦.

٤٧. الكتاب ، ٢ : ٢٣٥.

٤٨ . فقه اللغة وسر العربية ، ص : ١٩٢.أنظر ذلك بالتفصيل في المصدر المذكور تحت باب (في الأصوات وحكاياتها) .

تصدر عنه أو توجّه إليه. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج : [٤٩]

ولو ترى إذا جبتي من طاق ولمتي مثل جناح غاق

فأطلق (غاق) على الغراب وهو محاكاة لصوته. (٥٠) ومن ذلك قول الراجز [٥١] :

إذا حمّلتُ بزّتي فوقَ عدَسٍ فما أُبالي مَنْ غَزَا ومَنْ جلَس

فأطلق (عدس) على البغل ، وهو صوت يُزجر به. ومن ذلك أيضاً قول آخر: [٥٢]

قد أقبَلَت عزّةُ من عراقها مُلصَقة السرجِ بخاقباقها

فأطلق (خاق باق) وهو محاكاة للصوت على مصدره.

وقد سُمّيت هذه الألفاظ وما شابهها أصواتاً ، وإن كان غيرها من الكلام أصواتاً أيضاً ،" لأن هذه في الأصل إمّا أصوات ساذجة كحكاية أصوات العجماوات والجمادات، أو أصوات متقطّعة معتمدة على المخارج لكنها غير موضوعة لمعانٍ كالألفاظ الطبيعية وكما يُصوّت به للحيوانات ... ثم جُعلت لأجل احتياجهم إلى استعمالها في أثناء الكلام

---

٤٩. ورد البيت في شرح المفصل لابن يعيش ، ٤: ٨٥ ؛ شرح الأشموني، ٢: ٤٩٤ ؛ همع الهوامع للسيوطي ، ٥ : ١٢٩.

٥٠. الخصائص ، ١: ٦٥ . أنظر: ٢: ١٦٥.

٥١. شرح المفصل، ٤: ٧٩.

٥٢. شرح الأشموني ، ٢ : ٤٩٤.

كالكلمات، فعاملوها معاملتها." [٥٣]

٣. *حكاية الأصوات*

لقيت فكرة المحاكاة للأصوات في الطبيعة أو الناجمة عن المخلوقات قبولاً لا بأس به لدى جمهرة من اللغويين المحدثين . وفي مقدمة هؤلاء أحمد فارس الشدياق الذي توسّع في هذه الفكرة ، واتخذ منها أساساً لشرح المعنى المعجمي للكلمة ، وحاول أن يردَّ هذا المعنى والمعاني الأخرى التي تدور حولها المشتقات إلى هذا الصوت أوذاك من أصوات الطبيعة. ويوضح منهجه بقوله:" إني رأيت أن معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أو حكاية صفة ، وإن حكاية الصوت إنما تأتي في المضاعف ، نحو : دبّ ودفّ ودقّ وهزّ وسفّ وقرّ ، فإذا أرادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا الحروف فقالوا: دبدب ودفدف ودقدق وهزهز وسفسف وقرقر . " [٥٤]

على هذا الأساس يمضي الشدياق في عمله، وهو حين يشرح معاني الألفاظ يحاول أن يردها أو يرد معانيها إلى هذا الصوت أو ذاك ، ويفسّرها في ضوء حكاية الأصوات.

---

٥٣. شرح الكافية ، ٢: ٨١.

٥٤. سر الليال في القلب والإبدال لأحمد الشدياق ، ص: ٢٢.

فنجد أن معظم مواد الكتاب محمول،عنده،على حكاية الصوت. (٥٥) وقد اتخذ من الفعل المضاعف أصلاً لأنه الصيغة التي تتحقق بها حكاية الصوت ، نحو: دبدب وزلزل وقرقر وهزهز لما فيه من إيحاء صوتي يوحي بالتكرير والترجيع. كما أنه يستجيب لفكرة التقليب مع حكاية الصوت، يقول : " وقد التزمت أن أزيد على المضاعف المختلف من عدّة أوجه فما يظهر في بادىء الرأي أنه متقلب من وجه واحد ليكون الأسلوب مطّرداً ، وذلك مثل فثقه وفرغه وفدخه وفلقه وثلقه." (٥٦)

ونلمح من خلال عمل الشدياق هذا تأثره بالنظريات التي كانت تبحث في نشأة اللغة وأصلها خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، لا سيما نظرية محاكاة أصوات الطبيعة التي تعتبر من أوسع النظريات ، التي تناولت نشأة اللغة ، انتشاراً . ولا ريب في أن وجود هذه النظرية في التراث اللغوي العربي قد مكّنها في نفس الشدياق، وعزز إيمانه

---

٥٥. أنظر على سبيل المثال مادة (أب) يقول: " وعندي أن أوّل هذه المعاني أبّ الشيء حرّكه وهو حكاية صوت ، ونحوه هبّ وهفّ لحركة الريح ، وطبّ لعدو الفرس، وحفّ لصوت ركضه، وقبّ لصوت ناب الفرس وعب لصوت جرع الماء وأب للسير أي تهيأ من معنى الحركة... " وهكذا إلى آخر المادة. فنجد أن كثيراً مما فيها محمول عنده على حكاية الصوت، بل أن المادة عينها حكاية صوت. أنظر سر الليال، ص: ٣٢، مادة (أب).

٥٦. سر الليال ، ص: ٢٢.

بها، إذ يبدو جلياً أن *سر الليال في القلب والإبدال* ليس معجماً لغوياً كغيره من المعاجم اللغوية . ولا يخفى الجهد الضخم والدؤوب الذي بذله الشدياق في تأليف معجمه ليثبت النظريتين اللتين آمن بهما : حكاية الأصوات والثنائية.(٥٧) وبذلك يمثّل هذا الكتاب الجانب التطبيقي لنظريتيه ، فالرجل انكبّ على في إعداد هذا المعجم وجمع مادته لكي يُخرِج نظريته في حكاية الأصوات والثنائية من حيّز النظر إلى حيّز التطبيق.(٥٨)

وللشدياق محاولة أخرى، لا تقل أهمية عن محاولته الأولى . أعني كتابه *الجاسوس على القاموس* الذي يتبنى فيه فكرتي المحاكاة والثنائية، ويذهب فيه إلى ما ذهب في *سر الليال* بإقامته على الجذر الثنائي باعتباره أساساً في نشوء بنية الكلمة العربية وتطّورها . فيحاول أن يثبت ذلك ، ويعرضه على ضوء نظرية المحاكاة.

وممن تأثر بفكرة المحاكاة وتبناها، إلى جانب الشدياق ،جورجي زيدان الذي كان يرى في " التقليد أساس اللغة وأصل نشأتها ومدار ارتقائها، لأن التفاهم سواء كان

---

٥٧. *John Haywood, Arabic Lexicography*, pp. ٩٠ – ٩١.

٥٨. يعد الشدياق الفعل المضاعف أصلاً للكلم ، وهو يتألّف من تكرار مقطع واحد يمثّل صوتاً من أصوات الطبيعة .

بالإشارات أو بالأصوات فهو راجع إلى التقليد."[٥٩] ويبدأ ذلك في " أن يقلّد الإنسان الأصوات الطبيعية للدلالة على الأشياء التي تحدثها. كما لو أراد الدلالة على الكلب بتقليد صوت عوائه، أو الإشارة إلى الريح بتقليد صوت هبوبها، أو إذا أراد قولنا قطع تقلّد صوت القطع وهو قط أو ما شاكل ذلك." [٦٠] ويستطرد زيدان في إيراد كثيراً من الألفاظ التي يعتبرها حكايات أصوات في الأصل، " وهكذا الحال في السواد الأعظم من كلمات اللغة."[٦١] ويلاحظ أن جُلّ ما يثبته من ألفاظ" أفعال بدائية تتصل بأصوات طبيعية، وتؤدّي معاني فطرية كالقطع و القص والقرض والعض . " [٦٢]

ويذهب العلايلي أبعد من ذلك حين يقرر أن الثلاثي إنما نشأ عن الثنائي [٦٣] ، وهذا الأخير نشأ عن أحادي قوامه أحد الحروف الهجائية [٦٤] ،بحيث كان لكل حرف من

---

٥٩. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان، ص: ١٣٢.

٦٠. نفسه ، ص : ١٣٩.

٦١. نفسه ، ص : ١٠٠.

٦٢. الإشتقاق لفؤاد ترزي ، ص: ٩٦.

٦٣. مقدمة لدرس لغة العرب لعبد الله العلايلي ، ص : ٣٠٠.

٦٤. نفسه ، ص : ١٩١-١٩٢.

تلك الحروف معنى خاص به حين استعمله الإنسان البدائي كألفاظ ذات دلالة.[٦٥] وهذا المعنى لم يفارق هذه الحروف عندما اتحدت فيما بينها لتشكلّ ألفاظاً ذات دلالات، بحيث أصبح لكل لفظة معنى خاصّ اكتسبته من ائتلاف الحروف التي تتكوّن منها.[٦٦] وهنا يبدو تأثّر العلايلي بابن جني لجهة القول بأن لكل حرف من الحروف دلالة خاصة به، وأن دلالة أية كلمة إنما هي اتحاد دلالات الحروف التي تأتلف منها هذه الكلمة. ولا يختلف الرجلان فيما يخصّ دلالة الحرف" سوى أن دلالة الحرف عند العلايلي معنوية وضعية ، بينما هي عند ابن جنّي صوتية إيحائية ." [٦٧] لذلك ذهب بعض الباحثين إلى " أن للحرف الواحد في تركيب الكلمة العربية قيمة تعبيرية ، وأنّ الكلمة الثلاثية تعبّر عن

---

٦٥. مقدمة لدرس لغة العرب ، ص : ١٩١.

٦٦. فكلمة (جبل) تتألف من (ج) ومعناه الارتفاع و (ب) ومعناه بيت و(ل) ومعناه الملاصقة والمساس . والمعنى المؤلف من ائتلاف هذه الحروف الثلاث هو (بيت مرتفع ملاصقّ للسحاب) . أنظر : المقدمة ، ص : ٢٠١.

٦٧. الإشتقاق للترزي ، ص: ١١٤. يرفض ترزي ما ذهب إليه العلايلي من أن للحرف العربي دلالة خاصة لا يحيد عنها ، لأن هذا يتناقض وطبيعة اللغات من جهة ، ويناقض الأسس التي انتقلت عليها الكتابة من تصويرية إلى هجائية. أنظر : المصدر نفسه ، ص : ١٢٠.

الصحة وأقربها إلى المعقول ، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية ... ولم يقم أي دليل يقيني على خطئها ." [٧٠] بيد أنه يستدرك : " ولكن لم يقم كذلك أي دليل يقيني على صحتها، وكل ما ونذكر لتأييدهما لا يقطع بصحتها وإنما يقرب تصورّها ويرجح الأخذ بها . "[٧١]

ونظرية المحاكاة تحظى كذلك بتأييد ابراهيم أنيس الذي يقول:" لا يصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية في تهكّمهم عليها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغريزية ... يمكننا إذن أن ندرك أن الكلمات المستقاة من الأصوات الطبيعية قد تتطوّر في دلالاتها حتى تصبح معبّرة عن الدلالات الراقية المجرّدة في الذهن الإنساني ." [٧٢]

---

٧٠. علم اللغة ، ص: ٩٦-٩٧ حيث يسوق أدلّة أخرى تدعم رأيه القائل بصحة هذه النظرية. ويقول في مُصنّف آخر : " إن اللغة الإنسانية قد نشأت من محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات والأشياء وللأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها. "أنظر: فقه اللغة للمؤلف، ص:١٧١-١٧٢.

٧١. نفسه ، ص : ٩٦.

٧٢. دلالة الألفاظ ، ص: ٢١-٢٢.

إلاّ أنه ظهر من رفض الإعتراف بفكرة المحاكاة كمحمد مبارك الذي رأى " أن النظرية الطبيعية التي حاول أصحابها أن يعلّلوا فيها نشأة أصول الألفاظ الأولى كمحاكاة أصوات الطبيعةلا تكاد تثبت الحجة والدليل ولا تصدق إلاّ في القليل النادر من ألفاظ كل لغة ... أمّا الألفاظ التي نجد بين جرسها ومعناها تناسباً وتوافقاً فربما كانت أكثر عدداً ولكنها لا يُحتجُّ بها في هذا الباب ولا يمكن أن يعلّل أصل وضعها بالتعليل الصوتي لمجرد هذا التناسب." (٧٣)

ومن علماء اللغة الغربيين الذين يرفضون تفسير نشأة اللغة على ضوء نظرية تقليد أصوات الطبيعة جوزيف فندريس . ويعلل رأيه هذا بأن لغة البدائيين ومراقبة المراحل الأولى لا تساعدنا في الوصول إلى شيء (٧٤) ، يقول: " بعض علماء اللغة ممن هم أقرب إلينا قد تخيلوا نظريات ذهبوا بمقتضاها إلى أن كل المفردات قد خرجت من صيحة تشبه من نباح الكلب أو من سلسلة من الأصوات توحي بتمثيل الأشياء عن طريق المحاكاة... وقد بقي رغم كل ما بُذل من جهود بين النباح البدائي وأقدم ما عُرف من لغاتنا، فراغ يتعذّر سدّه." (٧٥)

---

٧٣. فقه اللغة وخصائص العربية ، ص: ١٨٧.

٧٤. اللغة لجوزيف فندريس ، ص : ٣٠ - ٣١.

٧٥. نفسه ، ص: ٤١.

ومن هؤلاء أيضاً إدوارد سابير الذي يرى أن إعتبار اللغة نشاطاً غريزياً على أن في اللغات كلمات مقلّدة للأصوات الطبيعية وهمٌ باطلٌ، والكلمات التي قد تبدو أنها تقليد لأصوات طبيعية لم ينشئها الإنسان بطريقة آلية، إنها كأي كلمات أخرى في اللغة من ابتكارات العقل الإنساني. (٧٦) وقد عرض لهذه النظرية اللغوي الغربي يسبرسن في معرض تقديمه للنظريات التي حاول من خلالها تحديد نشأة اللغة ، وأطلق عليها نظرية (*bow – wow*)" (٧٧) ولكن بعضهم رأى أن الألفاظ التي يمكن تفسيرها بأنها تقيد لأصوات طبيعية قليلة جداً بحيث لا يمكن أن تكشف لنا عن نشأة اللغة.(٧٨)

ظلت مسألة نشأة اللغة وبالتالي موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى موضع بحث علماء اللغة المحدثين الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض . ولم يفلح أيّ منهم في الوصول إلى نتائج حاسمة ومقنعة ، إذ إنّ " كلاً من الفريقين يؤسّس رأيه على مجرد

---

٧٦. *Edward Sapir, Language*, pp. ٥-٦.

٧٧. يفسّر يسبرسن هذه النظرية بأنها تذهب إلى أن الألفاظ الأولى كانت تقليداً لأصوات طبيعية ، وذلك كأن يُسمع نباح الكلب فيوضع له اسم مأخوذ من صوته الطبيعي. ثم يسجّل اعتراض رينان وماكس موللر على هذه النظرية لأنه ليس من المعقول أن يقلد الإنسان أصوات حيوانات أدنى منه. أنظر: *Otto Jespersen , Language* , pp. ٤١٣- ٤١٤.

٧٨. دلالة الألفاظ ، ص : ٢٢.

المغامرة الفكرية دون سندعلمي من ملاحظة دقيقة واستقراء للحقائق." [٧٩] غير أن هذا لا يمنع القول إنّ جمهور العلماء يكادون يجمعون على الإقرار بالمناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله باستثناء قلّة أنكرت وجود أدنى صلة بين الألفاظ ودلالاتها .

فهذا هو صبحي الصالح يؤيّد وجود علاقة وثيقة بين اللفظ والمعنى، ويبدي إعجابه الشديد بما ذهب إليه ابن جنّي من العلاقة بين اللفظ ومدلوله إلى درجة اعتبار رأيه فتحاً مبيناً في فقه اللغات ، يقول الصالح : " إذن فقد أكّد هذا العالم الجليل المتأخّر (السيوطي) بعد استيعابه مؤلفات اللغويين السابقين التي فُقِد منها الكثير أن أهل اللغة بوجه عام والعربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني ، وبذلك تلاقى مع ابن جنّي على صعيد واحد، فكان لا بد لنا من الإقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تُعدُّ فتحاً مبيناً في فقه اللغات بشكل عام." [٨٠] ويقف أنيس إلى جانب الصالح فيما ذهب إليه من وجود علاقة ومناسبة بين الألفاظ ودلالاتها ، " ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالاتها. ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها ، وإنما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام وكثرة التداول

---

٧٩. دلالة الألفاظ ، ص: ٦٣.

٨٠. دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، ص: ١٥١.

والاستعمال."[٨١]

ومن اللغويين الغربيين المحدثين الذين قالوا بالصلة بين اللفظ والمعنى يسبرسن الذي كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها، غير أنه حذّرنا من المغالاة في هذا، إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللّغات.[٨٢] بل هي تقتصر على الألفاظ التي تعبّر عن الحالا ت النفسية والمشاعر والعواطف كالغضب والنفور والكره.[٨٣]

غير أن بعض علماء اللغة أنكر وجود أية علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله. ومن هؤلاء رمضان عبد التواب الذي يقرر أنه " ليست هناك علاقة حتمية بين اللفظ وما يدل عليه في أية لغة من اللغات على وجه الأرض. ومن هنا فإننا لا يصح أن نلقي بالاً لما يقوله بعض علماء العربية، في أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبةحتمية بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب لا انفكاك فيها." [٨٤] كما رفض هذه العلاقة من العلماء الغربيين

---

٨١. دلالة الألفاظ ، ص: ٧١. يفرّق أنيس بين الصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ، والصلة المكتسبة نتيجة التداول والإستعمال .

٨٢. *Jespersen , Language* , pp. ٣٩٧- ٣٩٨. أنظر: دلالة الألفاظ ، ص : ٦٨.

٨٣. نفسه ، ص: ٧٠ .أنظر : من أسرار اللغة ، ص: ٨٠.

٨٤. دراسات وتعليقات في اللغة لرمضان عبد التواب، ص: ٢٧.

دي سوسير، فاعتبرها " اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطّرد."[٨٥] أمّا الألفاظ التي توحي أصواتها بمعانيها فهي " من القلة من اللغات ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانيّة بحيث لا يصح أن نتخذ منها أساساً لظاهرة لغوية مطّردة أو شبيهة بالمطّردة ." [٨٦]

٤. *نظرية التوقيف*

ذهب فريق من علماء العربية إلى أن اللغة توقيف ووحي من الله عزّ وجل. وتزعّم هذا الفريق أحمد ابن فارس الذي عقد باباً بعنوان (القول على لغة العرب أتوقيف أم إصطلاح؟) قرّر فيه: إنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جلّ ثناؤه ﴿علّم آدم الأسماء كلّها﴾ [٨٧] "[٨٨] ثم حاول تفسير ما يُقصد بالأسماء مقدماً حججه على أن اللغة توقيف وإلهام ، " والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم. ولو كانت اللغة مواضعة

---

٨٥. دلالة الألفاظ ، ص: ٧٠.

٨٦. نفسه ، ص : ٧١.

٨٧. سورة البقرة ، الآية : ٣١.

٨٨. الصاحبي ، ص: ٣٦.

واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ... وخلّة أخرى أنّه لم يبلغنا أنّ قوماً من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنّا نستدلّ بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم، وقد كان في الصحابة – رضي الله عنهم – وهم البلغاء والفصحاء ، من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به ، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم . ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلاّ بانقضائه، ولا تزول إلاّ بزواله، وفي كل ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه في هذا الباب."[٨٩]

على أن ابن فارس يرى أن اللغة لم تُوحَ من عند الله دفعة واحدة ، بل على مراحل عدّة. يقول:" ولعلّ ظانّاً يظنّ أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد.وليس الأمر كذا، بل أوقف الله – جلّ وعزّ– آدم – عليه السلام– على ما شاء أن يعلّمه إيّاه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علّم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبيّاً نبيّاً ما شاء الله أن يعلّمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمّد ﷺ ، فآتاه الله – جلّ و عزّ – من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثم قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من

---

٨٩. الصاحبي ، ص: ٣٧-٣٨.

بعده حدثت." [٩٠]

إنّ ابن فارس يرى أن الله علّم آدم الأسماء كلّها، ومن آدم تعلّم الناس الكلام، ثم أتى أنبياء العرب فأُوحي الله إليهم ما أُوحي حتى اكتملت اللغة العربية بما أوحى إلى محمد بن عبد الله عليه السلام. وبذلك لا يمكن أن يجدّ عليها شيء. إذن، فليس في العربية استناداً إلى ابن فارس ، لفظة من صنع البشر ولاكلمة من اصطلاحهم. ولمّا كانت اللغة إلهيّة المنشأ ، على حد قول ابن فارس ، فقد اتّسمت بالكمال بسبب أصلها الإلهي. لذا، فقد ذهب إلى أن أعظم آيات الله البيان أي اللغة والواضحة ذات الدلالات التي لا يعروها نقصٌ أو لبسٌ منذ لقنها الأنبياء عن الوحي. يقول:" وقال جلّ ثناؤه: ﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ [٩١] ، فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحّد بخلقه وتفرّد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة. فلمّا خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه."[٩٢] ولهذا السبب كان ابن فارس يعتبر العربية أعظم اللغات قدرة على التعبير.

---

٩٠. الصاحبي ، ص: ٣٧.

٩١. سورة الرحمن ، الآية : ٤.

حاول ابن جنّي في معرض تناوله لقضية نشأة اللغة تفسير الآية الكريمة: ﴿علّم آدم الأسماء كلها ﴾ [٩٣] ، قال: " إلاّ أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً: هي من عند الله، واحتجّ بقوله سبحانه ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ وهذا لا يتناول موضع الخلاف. ومن ذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به. وقد كان أبو علي رحمه الله أيضاً قال به في بعض كلامه. وهذا أيضاً رأى أبي حسن، على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه." [٩٤] ولا يخفى علينا أن ربما كان هدف ابن جنّي من وراء الاستشهاد بهذه الآية الكريمة في هذا الموضع البرهان على عدم جواز الاستدلال بها على أن اللغة توقيف.

وقد حاول أحد اللغويين المحدثين [٩٥] تفسير الآية نفسها تفسيراً جديداً ، فذهب إلى أنّ الإنسان كان ينطق الأصوات بطريقة مبهمة لا يرمي من ورائها إلى هدف محدّد، ثم

---

٩٤. الخصائص ،١: ٤٠-٤١ .أنظر: المزهر ، ١ : ١٠-١١.

٩٥. هو ابراهيم أنيس الذّي حاول إيجاد تفسير جديد لهذه الآية يساير الدرس اللغوي الحديث.

ما لبثت أن ارتبطت تلك الأصوات بمدلولاتها عن طريق الصدفة، يقول:" نرجّح أن معظم الكلمات قد أخذت مدلولاتها بطريق المصادفة، أي أنها كانت أصواتاً مبهمة... ثم تصادف أن نُطِق بها في أثناء حدث من الأحداث، فارتبطت به ارتباط العلمية، وتدرّج العلم من معناه الخاص إلى معنى عام. فإذا فسرت الأسماء في قوله:﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ معنى الأعلام، ساير هذا التفسير أحدث ما ينادي به اللغويون في عصرنا الحاضر."[٩٦]

والقول بمذهب التوقيف يستتبع السؤال عن اللغة التي علّمها الله آدم، وكيف اختلفت اللغات بعد ذلك وتفرّعت. فيتصدّى ابن فارس للإجابة على هذا السؤال بالقول إن الله علّم آدم اللغات كلّها، ثم حدث الاختلافبعد الطوفان ، يقول:" يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلّها آدم – عليه السلام – قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها من طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب اسماعيل – عليه السلام – الكتاب العربي، وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه. "[٩٧] وذكر ابن جنّي تفسيراً أخر لاختلاف اللغات وتنوعها هو أن " الله سبحانه علّم آدم أسماء جميع المخلوقات،

---

٩٦. دلالة الألفاظ ، ص: ٣٧.

٩٧. الصاحبي ، ص: ٣٨.

بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم ووِلْدَه يتكلّمون بها، ثم إنّ وِلْدَه تفرّقوا في الدنيا، وعلق كلٌّ منهم بلغة من اللغات، فغلبت عليه واضمحلّ عنه ما سواها لبعد عهدهم بها".[٩٨]

في النهاية ، نشير إلى أن تمسك ابن فارس بمذهب التوقيف في اللغة ، دفعه إلى القول بأن كل العلوم المتّصلة باللغةإنما هي وحيٌ من عند الله ، يقول :" والذي نقول فيه إن الخط توقيف، وذلك لظاهر قوله عزّ وجلّ :﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم﴾. [٩٩] وإذا كان كذا، فليس ببعيد أن يوقّف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتابة. فأمّا أن يكون مخترعٌ اخترعه من تلقاء نفسه فشيء لا تعلم صحته إلاّ من خبر صحيح ... فإن قال قائل: " فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية ، وأن الخليل أول من تكلّم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديماً، وأتت عليهما الأيام وقلاّ في أيدي الناس ، ثم جدّدهما هذان الإمامان".[١٠٠]

---

٩٨. الخصائص ، ١: ٤١.

٩٩. سورة القلم ، الآية : ٤.

١٠٠. الصاحبي ، ص: ٣٩ –٤١.

ومن اللغويين الذين ذهبوا إلى أن اللغة إنما نشأت توقيفاً أي وحياً وإلهاماً من عند الله أبو علي الفارسي. فقد نقل ابن جنّي عن أبي علي في *الخصائص* قوله:" هي [اللغة] من عند الله واحتجّ بقوله سبحانه﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾.(١٠١) كما نجد ابن جنّي الذي كان ، كما أشرنا سابقاً من أشد المتحمّسين لنظريتي المحاكاة ،والمواضعة ، يميل أحياناً إلى الأخذ بمذهب التوقيف. يقول:" وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عزّ وجلّ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من عند الله سبحانه وأنها وحي."(١٠٢)

وقد قال بهذا المذهب جمهرة من علماء اللغة العرب والمفسّرين والفقهاء والمتكلّمين. وبسط السيوطي في *المزهر* مختلف آرائهم وفصّل القول فيها مثبتاً ما جاءوا به من أدلّه وبراهين عقلية ونقلية.(١٠٣) كما نجد جمعاً من علماء اللغة الغرب المحدثين

---

١٠٢. الخصائص ،١: ٤٧. إلاّ أننا نجد ابن جنّي يقول :"واعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقيروالبحث عن هذا الموضع ، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغوّل على فكري." وهذا ما يدفعنا إلى القول بتردد ابن جنّي حيال تحديد موقف صارم من نشأة اللغة،إذ نراه محتاراً بين القول بالتوقيف أوالإصطلاح والمحاكاة.

١٠٣. المزهر، ١: ١٧.

أخذ بهذا المذهب كالأب لامي (Lami) في كتابه *فن الكلام* ، والفيلسوف دوبونالد (Debonald) في كتابه *التشريع القديم* وهيرا كليت (Heraclite) مستندين في ذلك إلى ما ورد في سفر التكوين في العهد القديم من الإنجيل المقدس . [١٠٤]

من البديهي أن الدافع للقول بمذهب توقيف اللغة غير قائم على أسس علميّة راسخة ، لأنه يفتقر إلىالحجّة العلمية المقنعة. هذا إلى مخالفته نواميس التطوّر والارتقاء التي تحكم نشأة معظم الظواهر الاجتماعية. فالقائلون بهذه النظرية إنما أقاموا حججهم على خلفية دينية محضة، مدارها الإيمان بقداسة اللغة المتأتية من كونها لغة القرآن . فاللغة ، كظاهرة اجتماعية، تخضع في نشوئها لمبدأ الحاجة إلى التفاهم والتواصل بين أفراد البشر.[١٠٥]ولذا، ليس بعيداً أو مستهجناً أن تكون نشأة اللغة ارتبطت بمحاولة حكاية الأصوات الطبيعية وتقليدهما . ثم ما لبثت أن تطوّرت تلك الحكاية ، فابتعدت عن جذورها في طريقها نحو الارتقاء والنضج، لتشكّل بنيان لغوي متكامل.

ولفتت العلاقة بين اللفظ ومدلوله علماء البلاغة العرب. فنجد الجرجاني يتكلم عن هذه العلاقة مؤكداً أن الألفاظ تبعٌ للمعاني ، إذ يقول:" وذلك أنهم لمّا جهلوا شأن الصورة

---

١٠٤. علم اللغة ، ص : ٨٩.

١٠٥. يرى ترزي أن " إحداث الألفاظ الأصلية في اللغة إنما يصير بشكل تلقائي وتجل يخضع لحاجات الإنسان" أنظر: الإشتقاق للمؤلف، ص:٦٩.

وضعوا أساساً وبنوا على قاعدة ، فقالوا : إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث."(١٠٦)

وهذاالثالث الذي يشير إليه الجرجاني هو العلاقة بين اللفظ والمعنى والذي يتحقق بواسطة النظم. فالنظم يقوم على اتحاد اللفظ والمعنى" لأن الألفاظ لاتراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلّة علىالمعاني، فإن عُدمت الذي له تراد أو اختل أمرها فيه لم يُعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسهاعليها ." (١٠٧)

فالبلاغيون نظروا إلى هذه العلاقة من خلال إدراك قيمة السياق في تحديد المعاني. أي أن فالقصد لا يتم إدراكه وتحديده إلا من خلال السياق وأثره في توجيه المعنى وإبرازه. وهو ما يعرف بدلالة التركيب. ودلالة التركيب هذه عالجها البلاغيون في مؤلفاتهم بدقة ، لاسيما الجرجاني في ما يعرف بنظرية النظم .

يرى الجرجاني أن دلالات الألفاظ لا تظهر إلاّ من خلال التركيب ، وضم لفظة إلى أخرى ووضعها في مكانها الصحيح ، " وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجّباً، وتؤدّي في الجملة معنى من المعاني لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظ على لفظ، هل يتصوّر أن يكون بين اللفظين تفاضل

---

١٠٦. دلائل الإعجاز للجرجاني، ص : ٣٠٤.

١٠٧. نفسه ، ص: ٣٣٤.

في الدلالة حتى تكون هذه أدلّ على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به." (١٠٨) وفي موضع آخر نراه يربط بين المعنى المتوخّى والتركيب ،فيقول: "إنّ النظم يكون في معاني الكلم دون ألفاظها، وأن نظمها توخّي معاني النحو فيها." (١٠٩) إنّ البلاغيين لم ينظروا إلى الألفاظ إلا من خلال دورها في السياق القائم على خدمة المعنى، "فقد اتّضح إذاً اتّضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك ممالا تعلّق له بصريح اللفظ."(١١٠)

في ختام هذا الفصل ، ينبغي القول إنّ اللغويين والنحويين لم يقدّموا إجابة حاسمة وقاطعة عن نوع العلاقة بين الألفاظ والمعاني، بيد أن دراساتهم حول المناسبة بين اللفظ والمعنى ، التي عرضنا لها باقتضاب في الصفحات السابقة ، تكشف عن نوع المناسبة التي افترضوا أنها تحكم العلاقة بين اللفظ ومعناه. غير أن هذه العلاقة ليست على الدرجة نفسها من الوضوح في الألفاظ جميعها. فهي في بعض الألفاظ أوضح منها في البعض الآخر، وذلك عائدٌ ، فيما أرى ، إلى طبيعة الألفاظ ومدى قربها أو بعدها عن دلالتها.

---

١٠٨. دلائل الإعجاز ، ص : ٤٧.

١٠٩. نفسه، ص : ٢٦٦.

١١٠. نفسه ، ص : ٤٨ – ٤٩.

فهذه " الصلة بين اللفظ الدال والمدلول أو المسمّى قد تغمض أو تخفى على تقادم العهد وتطاول الزمن ، حتّى تجهل علة التسمية ومناسبة الوضع . وقد تبقى واضحة ظاهرة أو قابلة للكشف بقليل من التأمل". [١١١] فثمة مجالات لغوية نلمس فيها ظهور هذه الصلة على نحو يجعل الارتباط بين الألفاظ ومدلولاتها وثيقاً، بينما هناك مجالات أخرى لا تكون فيها المناسبة بين المبنى والمعنى مناسبة طبيعية، تعبّربصورةآلية عن علاقة حتمية بين اللفظ ومعناه ، وإنما هي نوع من العلاقة الإعتباطية أو العرفية . [١١٢]

صفوة القول إننا لا نستطيع إنكار الصلة الوثيقة بين اللفظ ومدلوله ، لا سيما حين تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد ومحاكاة الأصوات الطبيعية الصادرة عن الكائنات الحية والأشياء. ولا ريب في أن هذه الكلمات كانت نتيجة تقليد الإنسان لأصوات الطبيعة التي كان يسمعها ، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه الكلمات قد خضعت لشيء من التغيير على

---

١١١. فقه اللغة وخصائص العربية ، ص : ١٩٣

١١٢. يدعو وافي هذا النوع من الصلة بالروابط الطبيعية ويرى أنها موجودة في جميع اللغات ، ويرجع السبب في هذه الصلة إلى النشأة الأولى للغة الإنسان. فهو يقسّم الروابط بين أصوات الكلمات وما تدل عليه إلى طائفتين : روابط طبيعية مؤسسة على محاكاة الأصوات الطبيعية ، روابط وضعية ويقصد بها الروابط القائمة على علاقة وضعية غير مؤسسة على محاكاة الأصوات . وتبدو هذه العلاقة في مظاهر عدّة أهمها الإشتقاق.أنظر: فقه اللغة لوافي ، ص :١٦٩ –١٨٠.

مرّ التاريخ حتى انتهت على صورتها التي عليها الآن. وهذا ما لا يستطيع أحدٌ من اللغويين دحضه حتى أولئك الذين يأبون الاعتراف بهذه العلاقة أو الصلة.(١١٣) وقد تنبّه أنصار هذه الفكرة لهذا الأمر، فنراهم في معرض دفاعهم عن نظريتهم يسوقون كلمات عُرفت بأسماء الأصوات. فكل هذه الأمور " نلحظها في بعض اللغات وتحملنا على التسليم بفكرة الارتباط بين الأصوات والمدلولات، ولكنها في مجموعها لا تكفي لتأييد تلك الفكرة بحيث نؤمن بوثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات صلة منطقية عقلية في الذهن الإنساني العام." (١١٤)

وبذلك نستطيع الجزم ، فيما أرى، أن المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله قد استرعت انتباه علماء اللغة القدامى، لا سيما الخليل وسيبويه وابن جنّي الذين نبّهوا عليها تنبيهاً شديداً مما جعلها قاعدة مطّردة. فقد مال هؤلاء العلماء "إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله ، في حالتي البساطة والتركيب، وطوري النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب." (١١٥) وهذا ما دفع ابن جنّي إلى القول إن هذا الموضع الشريف

---

١١٣. دلالة الألفاظ ، ص: ٦٦ – ٦٧.

١١٤. من أسرار اللغة ، ص : ٨٠ – ٨١.

١١٥. دراسات في فقه اللغة ، ص : ١٤٢.

"تلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته." [١١٦]

تأسيساً على ما مضى ، يمكننا تقرير أن اللغويين العرب يجمعون على القول بنوع من المناسبة بين اللفظ والمعنى على النحو الذي بيّن مظاهره ابن جنّي." وليس مرد الخلاف في الحقيقة إلى وجود هذه المناسبة الطبيعية أوعدم وجودها، بل إلى ما يراه عبّاد من أن هذه المناسبة ذاتية موجبة، بمعنى أنها لا تتخلّف ولا بد من وجودها، وإن كنّا أحياناً لا نستشعرها أو لا نفهمها ." [١١٧] وهذا ما يرمي إليه السيوطي بقوله : " وأمّا أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عبّاد أن عبّاداً يراها ذاتية موجبة ، بخلافهم . وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح في أفعال الله تعالى وجوباً ، وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم : إنه تعالى يفعل الأصلح ، لكن فضلاً منه ومنّاً لا وجوباً، ولو شاء لم يفعله." [١١٨]

انطلاقاً من هذا ، نرى فائدة في دراسة الزيادة اللفظية وأثرها في المعنى الطارىء على مضمون الكلم . ذلك أن العرب أقامت العلاقة بين اللفظ والمعنى على أساس من التناسب بينهما ، فجعلت الألفاظ أدلة للمعاني . لذا ، كان من المنطقي أن أية زيادة تطرأ

---

١١٦. الخصائص ، ٢ : ١٥٢.

١١٧. دراسات في فقه اللغة ، ص : ١٥١.

١١٨. المزهر ، ١ : ٤٧٠.

على اللفظ يقابلها زيادة تطرأ على معناه . بعبارة أخرى إن العلاقة بين اللفظ ومدلوله كانت اللبنة الأولى وحجر الأساس في تبلور مفهوم الزيادة اللفظية الناجمة عن زيادة المعنى ، والتي ما لبثت أن أمست قاعدة لغوية عامّة مؤدّاها أن الزيادة في اللفظ تستتبعها زيادة في المعنى . ومن مثل ذلك ما ذكره الزمخشري من أن في لفظة (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) .[١١٩]

ومفهوم الزيادة اللفظية يقوم على أن الزيادة التي تصيب معنى ما لا تغيّره عن أصله ولا تأتي بمعان طارئة لم تكن موجودة أصلاً ، إنما يقتصر أثرها على توكيد المعنى القائم أو تكثيره والمبالغة فيه . ونشير إلى أن هذه الزيادة تصيب الاسم والفعل والحرف والجملة على حد سواء .

ونود التنبيه على أن مفهوم الزيادة قد عُبّر عنه بمصطلحات عدّة ، إذ نجد النحاة العرب ، على اختلاف مشاربهم ، استعملوا ستة مصطلحات للدلالة على ظاهرة نحوية واحدة هي : الزيادة واللغو والحشو والصلة والتأكيد والاقحام . فالبصريون استخدموا مصطلحي الزيادة واللغو للدلالة على الزيادة التي تطرأ على التركيب النحوي . أمّا الكوفيون فقد استخدموا مصطلحي الصلة والحشو للدلالة على الظاهرة اللغوية عينها.

---

١١٩. الكشاف للزمخشري ، ١ : ٣٤.

الفصل الثالث

الزيادة في اللفظة

تتميّز العربية واللغات الساميّة بأنها لغات اشتقاقية تصوغ للمعاني المختلفة أبنية متنوعة من المادة الواحدة عينها. وقد عني لغويو العرب بدراسة هذه الأبنية وتبيان دلالاتها، وهو ما يعرف بعلم الصرف . وأشار ابن جني إلى محاسن هذا العلم: " أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم الحاجة ... لأنه ميزان العربية وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل معرفة الاشتقاق إلاّ به." [١]

أ. الزيادة

١ . *أغراض الزيادة*

الزيادة في علم الصرف عكس الحذف ، وذلك أن الحذف إسقاط حرف من الأصول، أمّا الزيادة فإدخال حرف ليس من الأصول .[٢] واتفق الصرفيون على أن

---

١. المنصف لابن جنّي ، ١: ٢ . أنظر: الممتع لابن عصفور ،١ : ٣١.

٢. نزهة الطرف للميداني ، ص : ٢٠٢.

الزيادة هي" إلحاق الكلمة من الحروف ما ليس منها." [٣] ونصوا على أغراض هذه الزيادة، فلا يزاد في الكلمة حرف أو أكثر إلا لغرض من الأغراض التالية:

- إفادة معنى: الهدف من ذلك الحصول على معنى جديد لم يكن يعطيه بناء الكلمة المجرّدة. وهذا المعنى لا يلبث أن يزول بزوال الحروف الزائدة .ومن ذلك زيادة حروف المضارعة لإفادة معنى التكلّم والخطاب والغيبة ، وألف الاثنين لإفادة معنى التثنية، والهمزة للتعدية ، " وما زيد لمعنى هو أقوى الزوائد." [٤]

- المدّ: يقصد بهذه الزيادة مد الصوت لا غير . وهذا يتم بواسطة حروف المد واللين ، نحو الألف في (سراج) ، والواو في (عمود) ، والياء كما في(قضيب) .

- الإمكان: نحو زيادة همزة الوصل في أوّل الأسماء والأفعال للتمكن من النطق بالساكن في أول الكلام كما في (امرىء) و (اضرب) .

- بيان الحركة : نحو زيادة هاء الوقف أو السكت في (عِهْ) و(قِهْ) و

---

٣. شرح المفصل ، ٩ : ١٤١ ؛ الأشباه والنظائر للسيوطي ،١ : ٤٥٢.

٤. الأشباه والنظائر ، ٢ : ٣٣٢ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٤٤.

(سلطانيه)[٥] ، وزيادة الألف في الضمير المنفصل (أنا) لبيان حركة النون . [٦]

• التكثير : غرض هذه الزيادة تكثير حروف الكلمة فقط ، نحو زيادة الألف في (قبعثرى) وزيادة النون في (كنهبل) . [٧] " ومتى كانت الزيادة لغير التكثير كانت أولى من أن تكون للتكثير . " [٨]

• التعويض : يقصد بهذه الزيادة التعويض عن الحرف المحذوف من الكلمة ، نحو زيادة تاء التأنيث في (زنادقة) عوضاً عن حذف الياء من (زناديق).لذا لا تجتمع التاء والياء معاً.[٩]

• **الإلحاق** : هدف هذه الزيادة جعل كلمة على مثال أخرى أكثر منها حروفاً من

---

٥. الأشباه والنظائر ،٢: ٣٣٢؛الهمع، ٦ :٢٤٤؛ المفصل، للزمخشري،ص:١٨٢.

٦. المنصف ، ١ : ٩ – ١١.

٧. الأشباه والنظائر ، ٢ : ٣٣٢ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٤٤.

٨. نفسه ، ٢ : ٣٣٢.

٩. نفسه ، ٢ : ٣٣٢ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٤٤.

المجرد أو المزيد ، وذلك بزيادة حرف أو حرفين زيادة غير مطّردة في إفادة معنى.[١٠] ومن ذلك زيادة واو (جوهر) و ياء (ضيغم) . وقد أشار ابن جني إلى فائدة الإلحاق، قال: " اعلم أن الإلحاق هو زيادة في الكلمة تبلغ بها زنة الملحق به لضرب من التوسع في اللغة ، فذوات الثلاثة يبلغ بها الأربعة والخمسة ، وذوات الأربعة يبلغ بها الخمسة . ولا يبقى بعد ذلك غرض مطلوب لأن ذوات الخمسة غاية الأصول ." [١١] ومن فوائد الإلحاق كذلك " أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ." [١٢] ولا يعني هذا أن زيادة الإلحاق لا تكون لمعنى ، وإن كان الغالب أن يكون معنى الكلمة بعد الزيادة كمعناها قبلها . ويشير الرضي إلى ذلك : " ولا نختم بعدم تغيّر المعنى بزيادة الإلحاق على ما يتوهّم ، كيف وأن معنى حوقل مخالف لمعنى حقل ، وشملل مخالف لمعنى شمل، وكذا كوثر ليس بمعنى كثر ، بل يكفي أن لا تكون تلك الزيادة في مثل ذلك الموضع مطّردة في إفادة معنى ." [١٣] وربما كانت الكلمة قبل زيادة الإلحاق غير دالة معنى ، أنّ الزيادة تبقى أعم من الإلحاق لأنها تكون للإلحاق وغيره.

---

١٠. شرح الشافية للاستراباذي ،١: ٥٢ .أنظر: الهمع ،٦ : ٢٤٤ – ٢٤٥.

١١. المنصف ، ١ : ٣٤.

١٢. شرح الشافية ، ١ : ٥٢ ؛ ٦٦ – ٦٧.

١٣. نفسه ، ١ : ٥٢ – ٥٣.

فتصبح بعدها ذات معنى نحو (كوكب) ، إذ لا معنى لـ (ككب) بل لا وجود لها.[١٤] إلاّ

• الزيادة من أصل الوضع : في هذه الحالة تكون الزيادة من أصل وضع الكلمة، فلا يتكلم بها إلاّ بزائد ، ذلك أنها وضعت على المعنى المراد على هذه الهيئة . ومن أمثلة ذلك (افتقر) و (اشتدّ) ، إذ ليس في الكلام(فَقُرَ) و (شَدُد) ، يقول سيبويه : " ولم نسمعهم قالوا فَقُرَ كما لم يقولوا في الشديد شَدُد استغنوا بافتقر واشتدّ كما استغنوا باحمارّ عن حَمِر واستغنوا بارتفع عن رَفُع، ولم نسمعهم تكلّموا برفُع. " [١٥]

٢. *حروف الزيادة*

تتبّع علماء اللغة العربية الأبنية والأمثلة المزيدة ، وبعد استقرائها استطاعوا أن يحدّدوا حروف الزيادة ، فوجدوها لا تربو عن العشرة جمعت في قولهم (سألتمونيها) . وفصّل سيبويه القول في حروف الزيادة ومواضع زيادتها ، وقد أتى عليها تباعاً مبيناً مواضع زيادتها على جانب كبير من الدقة ، "فإنما تنظر إلى الحرف كيف يزاد وفي أي المواضع يكثر." [١٦] ولم يفلح من أتى بعده من علماء أن يستدركوا عليه شيئاً فاقتصر

---

١٤. شرح الشافية ، ١ : ٥٤.

١٥. الكتاب ، ٢ : ٢٢٥ . أنظر : المنصف ، ١ : ١٥.

١٦.نفسه ، ٢ : ٣٤٩ . أنظر: المنصف ، ١ : ٣٥ ؛ ٣ : ٦.

عملهم على التكرير والتفصيل والشرح. [١٧] وقبل أن يخوض في الحديث عن الحروف الزوائد ، حدّد سيبويه أبنية الكلمة المجرّدة من الأسماء والأفعال، " فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة لا زيادة فيها ولا نقصان ." [١٨] ثم بيّن مبلغ ما تصل إليه الكلمة بالزيادة ، " فالثلاثة أكثر ما تبلغ بالزيادة سبعة أحرف وهي أقصى الغاية والمجهود وذلك اشهيباب ، فهو يجري على ما بين الثلاثة والسبعة ." [١٩] واعتبرت الياء والواو والألف أمّهات الزوائد في العربية . [٢٠]

وليس معنى هذا أن حروف الزيادة لا تقع في الكلام إلا زائدة ، فقد تكون أصول الكلمة كلها منها ، نحو (مات) و (نام) و (سأل) . وإنما المراد أنهم إذا أرادوا أن يزيدوا

---

١٧. أنظر على سبيل المثال المقتضب للمبرّد ،١ : ٥٦-٦٠ ؛ الأصول في النحو لابن السراج ، ٣ :٢٣٢ - ٢٤٣ ؛ شرح المفصل لابن يعيش ،٩: ١٤٤-١٤٥ . وأنظر: كذلك كتب الصرف كالمنصف لابن جني والممتع لابن عصفور ونزهة الطرف للميداني .

١٨. الكتاب ، ٢ : ٣١٠.

١٩. نفسه، ٢ : ٣١٠.

٢٠. المنصف ، ١ : ١٥٣ . أنظر : مقدمة الجمهرة لابن دريد ، ١ : ٤٨.

حرفاً أو أكثر على الكلمة من غير أصولها، لم يكن بدّ من أن يزيدوا من هذه الحروف دون سواها . [٢١]

ولا تقتصر الزيادة التي تطرأ على أصل بنية الكلمة على حروف الزيادة ، إذ قد تكون الزيادة ناجمة عن تضعيف حروف الكلمة الأصلية . وأكثر ما يكون ذلك في تكرير عين الكلمة دون فاصل بين الحرفين ، نحو (قطّع) و(كسّر). وقد تكون الزيادة بتضعيف عين الكلمة بتكرارها مع وجود فاصل بين الحرفين كقول العرب في المضعّف من (أعشب) (اعشوشب). وقد يكون التضعيف في لام الكلمة ، نحو: (احمرّ) و(اقشعرّ). فالزيادة قد تكون من جنس حروف الكلمة أو من غير جنسها ، أي من حروف الزيادة. والمزيد هو ما ضوعف أحد حروفه الأصلية، أو أضيف إليه حرف أو أكثر من حروف الزيادة . [٢٢] ومفهوم الزيادة مضبوط بقواعد ثابتة وظواهر لغوية مفروغ من بحثها وتحديد مدى الاستفادة منها . [٢٣]

---

٢١. شرح كتاب سيبويه للسيرافي ، ١ : ٦٧.

٢٢. الكتاب ، ٢ : ٣١٢ ، ٣٢٩.

٢٣. يقول الرضي في شرح الشافية ،١ : ٨٤: "وليست هذه الزيادات قياساً مطّرداً، فليس لك أن تقول في ظرف أظرف وفي نصر أنصر. ولهذا رُدّ على الأخفش في قياس أظنّ وأحسب وأخال على أعلم وأرى ، وكذا لا تقول نصّر ولا دخّل ، وكذا في غير ذلك من الأبواب ، بل يحتاج في كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين ."

والواقع أن العرب لم تنطق بالزيادات عبثاً ، بل جاءت جميعها لخدمة غرض معين في نفس المتكلّم كالتعدية والسلب والإزالة والصيرورة . [٢٤] فلكل زيادة على أصل الكلمة أثر فيها ، وهذا الأثر ليس مقصوراً على زيادة المعنى تبعاً للقاعدة اللغوية زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. تأسيساً على ذلك ، فإن أية زيادة في معنى الكلمة لا بد أن يستتبعها تغييرٌ أو زيادة في معناها ، لا سيما إذا كانت الزيادة لغير الإلحاق.[٢٥]

وهذا ما دفع لغويي العرب إلى رفض ما يأتي زيادة بناء فقط ، دون أن يُرجى منه غرض ما . فانكروا أن تكون زيادة بناء الكلمة دونما هدف . أمّا ما روي عن بعض اللغويين من أن " أقال بمعنى قال فذلك تسامح في العبارة. " [٢٦]

ب . زيادة اللفظ لزيادة المعنى

إن العلاقة المطّردة بين زيادة المبنى وزيادة المعنى أمرٌ قديم في الدرس اللغوي. ولعل أقدم ما وصلنا عن هذه العلاقة ورد عن الخليل في مقدمة *كتاب العين* : " صرّ الجندب صريراً ، وصرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً

---

٢٤. شرح الشافية ،١ : ٨٤ . أنظر: الأشباه والنظائر ، ١ : ٤٥٣.

٢٥. شرح المفصل ، ٧ : ١٤٣.

٢٦. شرح الشافية ، ١ : ٨٣ .

وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً . ونحو ذلك كثير مختلف ." [٢٧] وأعاد ذكر المعنى عينه في مادة (الصاد والراء) : "صرّ الجندب صريراً وصرصر الأخطب صرصرة وصرّ الباب يصرّ. وكلّ صوتٍ يشبه ذلك فهو صرير إذا امتدّ ، فإذا كان في تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك : صرصر الأخطب صرصرة ." [٢٨]

وأتى ، فيما بعد ، سيبويه ليربط بين صيغة (فعلان) والدلالة على الحركة والاضطراب.[٢٩] وتابعه ابن جنّي ، فربط بين الصيغ الصرفية المزيدة ودلالتها على معانيها، كـ(استفعل) و (فَعَلَى) و (فَعَلاَن) ، " فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال."[٣٠]وينضوي تحت ذلك المصادر الرباعية المضعّفة التي تأتي للتكرير ، " فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر."[٣١] نحو القلقلة والزعزعة والصلصلة ، إذ "كل ما كان على وزن فعلل فهو يدل على تكرار." [٣٢] ومن ذلك أيضاً تكرير العين في الفعل دليلاً

---

٢٧. العين ، ١ : ٥٦.

٢٨. نفسه ، ٧ : ٨٠ – ٨٢.

٢٩. الكتاب ، ٢ : ٢١٨.

٣٠. الخصائص ، ٢ : ١٥٢.

٣١. نفسه ، ٢ : ١٥٣.

٣٢. نفسه ، ١ : ٥٤٤.

على تكرير الحدث كما في (فتّح) و(غلّق) .

و يوضح ابن جنّي سبب تضعيف العين دون الفاء أو اللام محاولاً تفسير ظاهرة المحاكاة، فيرتكز على قوة حرف الوسط مبرهناً على أن انسجام قوة اللفظ مع قوة المعنى يستوجب تضعيف أقوى الحروف مركزاً .(٣٣) و نراه يتحرّى العلاقة بين شكل البنية الصرفية ودلالتها المعنوية ، منبهاً على أن تباين أشكال الأبنية يتبعه اختلاف في الصيغة والوظيفة والدلالة، فاختلاف دلالات الأبنية الصرفية ناشىء عن اختلاف الصيغ . انطلاقاً من هذا ، نراه يلتمس العلاقة بين خشن واخشوشن، وأعشب واعشوشب، وحلا واحلولى.(٣٤)فإذا تعقّبنا كل هذه الجزئيات في الخصائص وجمعنا أشتاتها، تبدّت لنا نظرية متكاملة ما لبث أن عبّر عنها ابن جنّي بوضوح:"وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلةُ المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به.وكذلك إن انحُرِف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له."(٣٥)

وهكذا ، ما لبثت مقولة زيادة اللفظ لزيادة المعنى أن أمست قاعدة لغوية عامة ، إذ إن الألفاظ عند النحاة أدلة على المعاني ، إذا زيد فيها شيءٌ ، لا بد أن تكون هذه الزيادة

---

٣٣. الخصائص ، ٢ : ١٥٥.

٣٤. نفسه ، ٣ : ٢٦٤.

٣٥. نفسه ، ٣ : ٢٦٨.

دليلاً على زيادة المعنى . كما إن حدوث أي نوع من الانحراف عن أصل الصيغة ، يوجب أن يكون دليلاً على حادث متجدد عرض له ، فكل زيادة تصيب صيغة ما تؤدّي إلى زيادة في المعنى أو حصول الاختصاص فيه . بناءً على ذلك ، إن زيادة المبنى لزيادة المعنى تفترض وجود طرفين أساسيّين ، أي طرف أصليّ مجرّد وطرف آخر مزيد، نحو: (خشُن واخشوشن) و (قطع و قطّع) و (صر) و(صرصر) . وفي ضوء ذلك يمكن فهم الزيادة المعنوية الراجعة إلى زيادة اللفظ .

ولعل أوضح ما يعبّر عن هذا المبدأ اللغوي العام قول الزمخشري في *الكشّاف* : "ومما طنّ على أذني من ملح العرب أنهم يسمّون مركباً من مراكبهم بالشقدف ، وهو مركب خفيف ليس من ثقل محامل العراق ، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ؟ أردت المحمل العراقي ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت: بلى. فقال : هذا اسمه الشقنداف ، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى." [٣٦]

يؤكد ابن جنّي ما نذهب إليه في أن الزيادة الطارئة على الكلمة تفيد زيادة في المعنى: "ولولا أن في الحرف إذا زيد ضرباً من التوكيد لما جازت زيادته البتة ، كما أنه لولا قوة العلم بمكانه لما جاز حذفه البته ... وإذا كان الأمر كذلك ، فقد علمنا من هذا أننا متى رأيناهم قد زادوا الحرف فقد أرادوا غاية التوكيد ، كما إنا إذا رأيناهم قد حذفوا حرفاً

---

٣٦. الكشاف ، ١ : ٣٤.

فقد أرادوا غاية الاختصار ، ولولا ذلك الذي أجمعوا عليه واعتزموه لما استجازوا زيادة ما الغرض فيه الإيجاز ، ولا حذف ما وضعه على نهاية الاختصار ، فقد استغني عن حذفه بقوة اختصاره . " (٣٧)

فعلماء اللغة نظروا إلى الزيادة باعتبارها وسيلة لتقوية المعنى والمبالغة فيه ، وليست مجرد ترفٍ لفظي لا طائل منه ، إذ لم تكن الزيادة لغير معنى البتة . فالزيادة اللفظية ترافقت دوماً مع فائدة معنوية تصيب الكلمة أو التركيب . ومما يثبت ما نذهب إليه ما أورده المبرد في *المقتضب* : " فأما قولهم شكرانك لا كفرانك فهما مصدران لحقتهما الزيادة ، وإنما التقدير: شكراً وكفراً . ولكن وقعت الزيادة للمبالغة ." (٣٨) كذا يقول المبرّد ، وهذا ما يجمع عليه جمهور لغويي العرب ونحاتهم . فالزيادة إذن لا تغيّر المعنى الأصلي إنما تزيده ثبوتاً وتقوية وتوكيداً .

جـ. الزيادة اللفظية في الأدوات

أوّل مظاهر زيادة اللفظ لزيادة المعنى تظهر في مجموعة من الأدوات النحوية التي يتغيّر عملها بمجرد زيادة تصيب مبناها ، فتنعكس تلك الزيادة تغييراً على المستوى

---

٣٧. سر صناعة الاعراب ، ١ : ٢٧٠.

٣٨. المقتضب ، ٣ : ٢٢٦.

الدلالي في الجمل التي تدخل عليها.

١• (ألا) / (ألاّ)

لـ(ألا) معان عدّة مبثوثه في كتب اللغة والنحو منها التنبيه والاستفتاح والعرض. وهي " تدخل على كلام مكتفٍ بنفسه . " [٣٩] " وإذا لم تدخل صح الكلام دونها. " [٤٠] "وعلامتها صحة الكلام بدونها." [٤١] و(ألا) عندما تأتي بمعنى العرض تختص بدخولها على الجملة الفعلية دون سواها كما في قولك : ألا تنزل عندنا فنتحدّث. [٤٢] وإن وليها اسم فعلى تقدير فعل كما في قول الشاعر [٤٣]:

ألا رجلاً ، جزاهُ اللهُ خيراً   يدلُّ على مُحصّلةٍ تبيتُ

---

٣٩. الأزهية للهروي ، ص : ١٧٤.

٤٠. رصف المباني للمالقي ، ص : ٧٨.

٤١. الجنى الداني للمرادي ، ص :٣٨١.

٤٢. رصف المباني ، ص: ٧٩ .أنظر: الجنى الداني ، ص :٣٨٢.

٤٣. لعمرو بن قعاس.أنظر:الكتاب،١: ٣٠٨ ، ٣٥٩ ؛الأصول،١: ٤٨٦ ؛ شرح المفصل ،٢ :١٠١ ؛٧: ٥ ؛٩ : ٨٠ ؛النكت،١: ٦١٣؛ الجنى، ص: ٣٨٢؛ الأزهية، ص: ١٧٣ ؛المغني،١: ٢٨٣،٨٢؛٢: ٦٨٩؛ رصف المباني، ص:٧٩.

والتقدير هنا ألا ترونني رجلاً [٤٤] ،أو تعرفون رجلاً.[٤٥]ومن ذلك ألا عمراً وألا قتالاً.[٤٦]وقد تأتي (ألا) في افتتاح الكلام للتحضيض [٤٧]، نحو قوله تعالى:﴿ ألا إنّ عاداً كفروا ربهم ألا بُعداً لعاد﴾ [٤٨]، وهي بذلك تدل على تحقق ما بعدها. ويرى الأشموني أن (ألا) بالتخفيف حرف عرض ، ولكن ابن مالك ذكرها مع حروف التحضيض لأنه يريد أنها قد تأتي للتحضيض . [٤٩] وحكي عن الخليل أن (ألا) تقع حرف تحضيض.[٥٠]

وبزيادة تطرأ على مبنى (ألا) وذلك بتضعيف اللام نحصل على (ألاّ) التي لا تأتي في الكلام إلا للتحضيض، ولا تدخل إلا على الجملة الفعلية إذ لا يليها إلا فعل كسائر أدوات التحضيض . [٥١] وإذا وليها اسم فعلى تقدير فعل يدل عليه الكلام كما في (ألا)

---

٤٤. الكتاب،١: ٣٥٩؛الجنى الداني، ص:٣٨٢ ؛مغني اللبيب لابن هشام،١: ٨٢.

٤٥. رصف المباني ، ص :٧٩.

٤٦. الأزهية ، ص :١٧٤.

٤٧. الجنى الداني، ص:٣٨٢؛حروف المعاني للزجاجي،ص:١١؛المغني،١:٨٢.

٤٨. سورة هود ، الآية : ٦٠.

٤٩. شرح الأشموني ، ٣ : ٦١١.

٥٠. جواهر الأدب للإربلي ، ص : ٣٣٧.

٥١. رصف المباني ، ص : ٨٤ ، ٥٠٩.

التي تأتي للعرض. [٥٢]يتّضح لنا مما سبق أن (ألا) المخففة تأتي في افتتاح الكلام لمعان كثيرة كالتنبيه والاستفتاح والعرض والتحضيض . [٥٣] أمّا (ألاّ) المشدّدة فهي تنطوي على معنى التحضيض وتصرف له وحده دون سواه بخلاف (ألا) .

نستطيع أن نلمس الفرق بين (ألا) و (ألاّ) على المستوى الدلالي من خلال فهمنا للعلاقة بين العرض والتحضيض اللذين ينطويان على المعنى نفسه ، أعني طلب الشيء. غير أن العرض طلب بلين والتحضيض طلب بحثٍ . يقول ابن يعيش : " التحضيض الحث على الشيء ، يقال حضضته على فعله إذا حثثته عليه ." [٥٤]

ويحاول المرادي أن يوضح الفرق بين العرض والتحضيض ، فيقول : "التحضيض أشدُّ توكيداً من العرض ، والفرق بينهما أنك في العرض تعرض عليه الشيء ينظر فيه . وفي التحضيض تقول : الأولى لك أن تفعل فلا يفوتنّك ." [٥٥] بوسعنا أن نقول إن زيادة المعنى التي أصابت (ألا) المخففة فنقلتها إلى (ألاّ) المشددة، ترافقت مع

---

٥٢. شرح المفصل ، ٨ : ١٤٤.

٥٣. أورد النحاة معان أخرى لـ (ألا) كالاستفهام والتوبيخ والتمنى كما أنها تأتي كحرف جواب.أنظر: الجنى الداني، ص:٣٨٣ ؛رصف المباني ، ص:٧٩.

٥٤. شرح المفصل ، ٨ : ١٤٤ . أنظر: المغني ،١ : ٨٢ ؛ الاشموني ، ٣ : ٦٠٩ ؛ جواهر الأدب ، ص :٣٩٣.

٥٥. الجنى الداني ، ص :٣٨٢ وما بعدها.

تحوّل على المستوى الدلالي ، تجلّى في زيادة المعنى بتأكيد معنى العرض ، فاستحال تحضيضاً.

٢ . (هلا / هلاّ)

ما قيل في (ألا / ألاّ) يقال في (هلا / هلاّ) ، لا سيما إذا أخذنا بقول من ذهبوا إلى أنّ (ألاّ) يُحتمل أن يكون أصلها (هلاّ) وأُبدلت الهاء همزة ، أو عكس ذلك، أي أن الهاء بدل من الهمزة . والاحتمال الأول أقرب إلى الصواب ، لأن إبدال الهاء من الهمزة أكثر من إبدال الهمزة من الهاء ، والحمل على الأكثر أولى . (٥٦) وقد تكون (هلا) أصلاً بنفسها. (٥٧)

و(هلاّ) تضارع (ألاّ) في كونها حرف تحضيض يختص بالدخول على الجملة الفعلية ، وإن دخل على جملة اسمية فعلى تقدير فعل مضمر تدل عليه قرينة الكلام أوعلى نية التأخير كما في قول الشاعر : (٥٨)

---

٥٦. الجنى الداني ، ص : ٥٠٩.

٥٧. الأزهية ، ص : ٤٠٧ وما بعدها . أنظر : رصف المباني، ص : ٨٤.

٥٨. البيت غير منسوب في المصادر . أنظر : رصف المباني ، ص : ٤٠٨ ؛ شرح ابن عقيل ، ص : ٥٠٦.

الآنَ بعد لَجَاجَتي تَلْحونَني   هلاّ التقدمُ والنفوسُ صِحاحُ

والتقدير : هل يحدث التقدم أو يحضر التقدم. (٥٩)

والفرق الدلالي بين (هلا) و (هلاّ) بيّن لا يحتاج إلى كثير من أعمال الفكر . فثمة فرقٌ دلاليٌ واضحٌ بينهما مبعثه زيادة المبنى في (هلاّ) . فـ (هلا) المخففة كـ (ألا) من حيث دلالتها على الاستفتاح والعرض والتنبيه . أمّا (هلاّ) المشددة فحرف تحضيض ، يؤدي هذا المعنى دون سواه . فقولك: (هلا تقوم) يختلف عن (هلاّ تقوم) ، فـ (هلاّ) بالتشديد أقوى من حيث المعنى من (هلا) المخففة على قاعدة أن تكثير حروف الكلمة ينعكس على المعنى الذي تؤديه قوة وتأكيداً ، " نحو قول القائل : أكرمت زيداً فتقول : هلاّ خالداً، كأنك تصرفه إلى إكرام خالد وتحثّه عليه أو تلومه على ترك إكرامه ، وحيث حصل فيها معنى التحضيض وهو الحث على ايجاد الفعل وطلبه جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها ، فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره." (٦٠)

إن تكثير حروف (هلا) لتصبح (هلاّ) ترافق مع زيادة في معناها الدلالي وأثرها المعنوي ، فانتقلت من طور العرض والطلب إلى التحضيض الذي يحمل في طياته معنى العرض . وبذلك فهذه الزيادة لم تلغ المعنى الذي كان قائماً قبلها ألا وهو العرض، إنما

---

٥٩. الأزهية، ص: ٤٠٨. في الجنى الداني ، ص: ٦١٤ على تقدير كان التامة.

٦٠. شرح المفصل ، ٨ : ١٤٤.

أكّدته فتحوّل إلى معنى التحضيض والأمر. لذلك كان لـ " هلاّ قوة على الحروف التي يليها الفعل جاز من أجلها تقديم الاسم على الفعل ، وقوّتها على سائر الحروف أنها مضارعة للأمر بمعنى التحضيض الذي تضمّنته." [٦١] فالعرض والتحضيض من باب الأمر ،غير أن العرض هو الترغيب في فعل الشيء أو تركه بأسلوب مقرون باللين ، أمّا التحضيض فهو الترغيب في فعل الشيء أو تركه بأسلوب مقرون بالقوة والشدّة . وبذلك يكون العرض أرفق والتحضيض أقوى .

هكذا ، يتّضح لنا الفرق بين (ألا / هلا) و (ألاّ / هلاّ) من حيث المعنى الذي تضفيه على الجملة التي تليها . عندما يقال : (ألا تفعل / هلا تفعل) ، فالأمر منوط بك أن تقوم بالفعل أو لا تقوم ، أمّا قولهم : (هلاّ تفعل / ألاّ تفعل) فالمعنى : إفعل . [٦٢] فالمقام هنا لا يحتمل التراخي أوالتهاون بخلاف الأوّل . ولذا اشترط النحاة مجيء فعل بعد (هلاّ / ألاّ)، " وكما كانت هلاّ وأخواتها للتحضيض ومعناهن معنى الأمر ذكر الفعل لئلا يزول

---

٦١. النكت للشنتمري،١: ٢٣١ .أنظر:أسرار النحو لابن كمال باشا،ص: ٢٩٩.

٦٢. الأزهية ، ص : ١٧٨. قيل إن استعمال (هلاّ) في التحضيض أكثر من استعمال (ألاّ) .أنظر: الجنى الداني ، ص: ٦١٤.

معنى التحضيض والأمر." [٦٣] فزيادة المبنى التي حدثت في كلٍّ من (ألاّ) و(هلاّ)أذنت بزيادة معناهما فنقلته من العرض إلى الحض ، " والعرض والتحضيض متقاربان ، والجامع بينهما التنبيه على الفعل ، إلاّ أن التحضيض فيه زيادة تأكيد وحث على الفعل . فكل تحضيض عرض ، لأنك إذا حضضته على فعل فقد عرضته عليه ، ولذلك يقال في (هلاّ) عرض إذ لا يخلو منه ، و(ألا) مخففة لمجرّد العرض."[٦٤]

٣. *(أنْ / أنّ)*

ينطلق النحاة من تمييز دلالي في استعمال كل من (أنْ) و (أنّ) في سياق التركيب اللغوي . فهم يرون أنّ (أنْ) المخففة تأتي في صدر الجمل التي تعرب عن حدث يؤمل تحققه ، بيد أنه لم يتحقق بعد . يقول المبرد : " لا تقع [أنْ] مع الفعل حالاً ، لأنها لما لا يقع في الحال ، ولكن لما يستقبل ." [٦٥] أمّا الجمل التي تعبّر عن حقيقة ثابتة ، فتصدّر في العادة بـ (أنّ) " ولو قلت : أعلم أنْ تقوم يا فتى لم تجز لأن هذا شيء ثابت في

---

٦٣. النُكت ، ١ : ٦٩٧.

٦٤. همع الهوامع ، ٤ : ١٢٣.

٦٥. المقتضب، ٢ : ٣٠ ؛ ٣ : ٧ .أنظر: المفصل ، ص: ١٣٨؛ الجمل للزجاجي ،ص: ٢٠٦.

علمك. فهذا من مواضع (أنّ) الثقيلة ."[٦٦] لذا ، فـ (أنْ) المخففة تدخل في العادة على الجمل التي تنطوي على معنى التوقع لا اليقين. ومن أمثلة ذلك : (أرجو أنْ تقوم) و (أخاف أنْ تذهب) . فالمعنى في هاتين الجملتين لا يرتقي إلى مرتبة الثبات في الظن واليقين.

إنّ الاختلاف بين (أنّ) المشددة و(أنْ) المخففة على الصعيد الدلالي هو في درجة التوكيد الذي يُضفى على الجملة عند دخول إحدى الأداتين عليها . فبينما نجد أن دخول (أنْ) لا يؤثر كثيراً في معنى الجملة من حيث درجة التوكيد ، نرى أن دخول (أنَّ) يؤذن بتوكيد معناها ويقوّي المضمون الذي تأتي به . [٦٧] والتأكيد الناتج عن دخول (أنّ) على الجملة يرتكز في الغالب على إبراز الحدث في صورة يقينية أو محققة قد استقرت في الظن ،" تقول : أظن أنك ستقوم ، لأنه شيء قد استقر في ظنِّك ." [٦٨]

إذن بوسعنا القول، فيما يخص إستعمال (أنْ / أنَّ) ، إنّ دخول (أنَّ) واجب في الجمل التي يراد توكيد مضمونها أي يلزم أن يكون الاسم مؤكداً ، و في سوى ذلك من

---

٦٦. نفسه ، ٢ : ٣٠ ؛ ٣ : ٧ .أنظر: الكتاب ، ١ : ٤٨١.

٦٧. رصف المباني ، ص :١٢٥ ؛ همع الهوامع ، ٤ : ١٨٣ ؛ الجنى الداني ، ص : ٤٠٢ ؛ جواهر الأدب ، ص : ٣٤٩.

٦٨. المقتضب ، ٢ : ٣٠ . أنظر: الأصول في النحو لابن السراج ، ٢ : ٢٠٩.

الحالات تتصدّر الجمل (أنْ) المخففة ، حيث لا توكيد أو ما شابه ذلك . و " اعلم أنّ العلم واليقين والمعرفة وما جرى مجراها من أفعال التحقيق مختصٌ بهنّ (أنّ) المشدّدة الناصبة للأسماء ، وإنما خُصّت بها لأن المشدّدة المفتوحة بمنزلة (إنّ) المكسورة في باب التوكيد والإيجاب ، وما اختصّ بالإيجاب لا يدخل عليه ما ينقض دلالته على الإيجاب، فلم يدخل على (أنَّ) المشدّدة رجوت واشتهيت وبابها، لأن هذه الأفعال يجوز أن يوجد ما بعدها وأن لا يوجد،فوقعت على(أنْ) المخففة التي لا توكيد فيها ولا مضارعة لما يوجب التوكيد."(٦٩)

فزيادة المبنى في (أنَّ) أفضت إلى زيادة معناها فانعكس ذلك توكيداً وتمكيناً وثبوتاً في المعنى الذي تؤديه الجمل الداخلة عليها، وهذا ما لا تؤديه (أنْ) المخففة. وهنا نرى نوعاً من التطابق بين عمل (أنّ) ومفهوم الأفعال التي تدخل عليها. يقول ابن يعيش:" أنّ المفتوحة معمولة لما قبلها وأن معناها التأكيد والتحقيق مجراها في ذلك مجرى المكسورة، فيجب أن يكون الفعل الذي تبنى عليه مطابقاً لها في المعنى بأن يكون من أفعال العلم واليقين ونحوهما مما معناه الثبوت والاستقرار ليطابق معنيا العامل والمعمول ولا يتناقضان." (٧٠)

وهكذا ، أصبح الفيصل الذي يحسم بين استعمال (أنْ) و (أنَّ) يتمثّل في التعبير عن

---

٦٩. النكت ، ٢ : ٧٩٤ – ٧٩٥.

٧٠. شرح المفصل ، ٨ : ٧٧.

التأكيد باستخدام (أنَّ) مقابل استخدام (أنْ) في عدم التوكيد . ويبدو أثر (أنَّ) على المستوى الدلالي بحدث محقق أو حقيقة مثبتة ، مقابل حدث منوي غير محقق في حالة (أنْ). وبذلك فالاختيار بينهما قائم على المعنى الدلالي للجملة التي تليهما. فالزيادة اللفظية التي طرأت على (أنْ) فنقلتها إلى (أنَّ) تبدّت في معنى التوكيد الذي تؤديه (أنَّ) مقابل عدم التأكيد الذي تؤديه (أنْ) ، ذلك أنَّ " أنْ الخفيفة المفتوحة أصلها أنَّ المفتوحة الثقيلة في جميع أحوالها." (٧١)

د. نونا التوكيد

نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة من اللواصق التي تلحق بأبنية الأفعال وتؤديان وظيفة صرفية ونحويه في الآن نفسه ، إذ إنّ كلاً منهما تضع الفعل في حالة التوكيد التي تمنح التعبير قوة في حالتي الإثبات والنفي . يقول ابن يعيش : " إنَّ هاتين النونين الشديدة والخفيفة من حروف المعاني ، والمراد بهما التأكيد ولا تدخلان إلاّعلى الأفعال المستقبلة خاصة ، وتؤثران فيها تأثيرين تأثيراً في لفظها وتأثيراً في معناها . فتأثير اللفظ إخراج الفعل إلى البناء بعد أن كان معرباً ، وتأثير المعنى إخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان

---

٧١. الأصول في النحو ، ٢ : ٢٠٩.

يصلح لهما."[٧٢]وقد اجتمعتا في قوله عز وجل: ﴿ليسجننّ وليكوننً من الصاغرين﴾.[٧٣]

إنّ هاتين النونين تفيدان الكلام قوة لا تكون له إذا ذكرته على غير صورة التوكيد، فزيادة إحدى النونين على الفعل تضفي على معناه قوّة وتوكيداً.وبين النونين فرق من حيث مستوى التوكيد، فالنون" المثقلة أشدّ توكيداً من المخففة لتكرير النون فيها."[٧٤] لذا اعتبرت النون المشدّدة أقوى دلالة على التأكيد من الخفيفة ، إذ إن تكرير النون جُعل بمنزلة تكرير التأكيد." فإذا قلت: اضربن بنون خفيفة، فكأنك قلت:اضربوا كلكم، وإذا قلت: اضربنّ بنون مشدّدة، فكأنك قلت: اضربوا كلكم أجمعون."[٧٥]وبيّن سيبويه الفرق المعنوي بين نوني التوكيد الخفيفة والمشدّدة بقوله: "إنهما للتوكيد...فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيداً ." [٧٦]

---

٧٢. شرح المفصل ، ٩ : ٣٧.

٧٣. سورة يوسف ، الآية : ٣٢.

٧٤. رصف المباني، ص : ٣٣٤.

٧٥. شرح المفصل ،٩ : ٣٧.

٧٦. الكتاب ،٢ : ١٤٩ (باب النون الثقيلة والخفيفة) . أنظر: المقتضب للمبرد ، ٣: ١٢.

فمن هذا دلالة ما زاد على البناء على ما زاد على المعنى . [٧٧] فالنونان تدلان على التوكيد، إلا أن التباين بينهما يكمن في درجة الشدّة التي نلمسها في التوكيد بالثقيلة ، وقد عرضت لها هذه الشدّة تبعاً لتضعيف النون .

هـ. الثنائي المكرّر (الرباعي المضعّف)

ينتج هذا النوع من الألفاظ عن طريق إضافة ثنائي مكوّن من حرفين إلى مثله . ويعرّفه الصرفيون بأنه الفعل الذي فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وعينه ولامه الثانية من جنس واحد أيضاً، نحو زلزل المؤلّف من (زل) و (زل) . [٧٨] وأكثر هذه الأفعال يدل على حكاية أصوات ، إذ فيها تتضح الصلة بين الصوت ومدلوله ،وهي ما تعرف بـ *(on omatopeic words)* . وبامكاننا أن نرد إلى هذا النوع من الكلمات جميع الألفاظ التي تعرب عن الأصوات . ويبدو أن العرب قد وجدوا في التضعيف والتكرير طريقة حسنة لحكاية الأصوات . وكتب اللغة والمعاجم ملأى بالألفاظ التي تدل على أصوات الإنسان والحيوان ، وأصوات الحركات التي تنبعث عنهم . كما أنها تدل على عيوب النطق والكلام نحو التمتمة والتأتأة والخنخنة .

---

٧٧. همع الهوامع ،٤ : ٣٩٧ ؛ المغني ،٢ : ٣٩١.

٧٨. الخصائص ،٢ : ٥٢ ؛ شرح الشافية ،١ : ٦٢.

وإضافة الثنائي إلى نظيره تؤدي إلى معنى القوة والزيادة والمبالغة . وقد يكون هذا مبعث تسميته عند الصرفيين بالمضعّف ، ذلك أن التضعيف عندهم يؤذن بهذه القوة والمبالغة المتأتية من الثنائي المكرر . وعلى الرغم من اختلاف لغويي العرب في صياغة هذه الألفاظ [٧٩] ، إلا أنهم يجمعون على أن زيادة اللفظ أو تكريره كان لتتابع الحدث واستطالته وترجيعه. نقول : صلّ اللجام إذا أحدث صوتاً ، وإذا كُرر إحداث الصوت نقول : صلصل . فزيد بناء اللفظ لتكرار الحدث وتتابعه . [٨٠] وبهذا يكون تكرير اللفظ إنما هو لتكرير المعنى ، فـ " الكبكبة تكرير الكب ، جُعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى."[٨١] وهذا التكرار نلمحه في كثير من الألفاظ نحو (عطعط) ، يقال : عطعط القوم إذا تتابعت أصواتهم واختلطت في الحرب وغيرها .[٨٢] ومن ذلك (لألأ) وقد

---

٧٩. الثنائيون اعتبروا هذه الألفاظ تكريراً لمقطع ثنائي هو حكاية صوت في الأصل على وزن (فعفع) . أمّا الثلاثيون فاعتبروها ألفاظاً رباعية تكونت من أصل ثلاثي عن طريق تكرارفاء الكلمة بين العين واللاّم ويكون وزنها بذلك (فعفل) .

٨٠. *John Haywood , Arabic Lexicogoaphy , pp .* ٣٣- ٣٤.

٨١. الكشاف ، ١ : ٤٢٩.

٨٢. الجمهرة ،١ : ٢١٣.

يكون هذا من اللؤلؤ ، إذ فيه حركة متواصلة ناجمة عن اللمعان والبريق. [٨٣] وقد أشار ابن جنّي إلى ذلك بقوله : " وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والصعصعة، والجرجرة ، والقرقرة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر." [٨٤] وهكذا ، يقترن تكرار المقطع الصوتي في هذه المصادر بافتراض زيادة في مدة الحدث، تجلت بتكرار مقطع أساسي من الكلمة.

يردُّ الشدياق هذه الصيغة في الرباعي إلى الزيادة في المعنى. يقول: "إني رأيت أن معظم اللغة مأخوذ من حكاية الصوت أو حكاية صفة وأن حكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف،نحو دبّ ودفّ ودقّ وهزّ وقرّ فإذا أرادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا الحروف فقالوا: دبدب ودفدف ودقدق وهزهز وسفسف وقرقر."[٨٥]ويستدل على ذلك بقوله:"فقولهم: هزهز وحثحث إن هو في الحقيقة إلا (هزّ) (هزّ) و(حثّ) (حثّ)."[٨٦]فالزيادة التي طرأت على هذه الأفعال بتكرير المقطع الأساسي لكل فعل كما في (ربرب) و(رجرج) و(نمنم) ، منحت المعنى العام دلالة زائدة عن المعنى الأصلي دون أن تلغيه أو تناقضه.

---

٨٣. الجمهرة ،١ : ٢٢٨.

٨٤. الخصائص ، ٢ : ١٥٣.

٨٥. سر الليال ، ص :٢٢.

٨٦. نفسه ، ص :٢٢.

ويدخل في الثنائي المكرّر كثير من الألفاظ التي تفيد الكثرة والمبالغة دون أن تكون حكاية صوت، أو تعرب عن حركة متكررة متناوبة ، نحو : (فضفض) أي صار رحباً و(بحبح) أي اتّسع ، و(كأكأ) ، يقال: تكأكأ القوم على الشيء إذا ازدحموا عليه ، و(لملم) بمعنىجمع الشيء على بعضه البعض . (٨٧)

وفي عاميتنا كثير من الكلمات القائمة على التضعيف للدلالة على معاني التكرار والتتابع والمبالغة . ومن أمثلة ذلك (كبكب) أي كبّ الشيء كثيراً والمعنى كوّره وجعله كالكرة أو ألقى الشيء بعضه على بعض ، وهذا عمل يحتاج إلى تكرار وتتابع . ومنه (بقبق) لصوت الماء الجاري وقيل هو كثرة الكلام ، ومن ذلك (بربر) بمعنى أكثر من الكلام ، و (بعبع) أي تكلم ليظهر سخطه وغضبه . (٨٨)وهناك أفعال أخرى في عاميتنا تفيد معنى التكثير والمبالغة في القيام بالشيء ، نحو (حلحل) و(زحزح) و(خلخل) و(لفلف) و(هزهز) و(رصرص) وغيرها من الألفاظ التي تدور على ألسنة الناس . وهنا يبدو لنا أن طول الكلمة أو قصرها قد يرمي إلى الإيحاء بمعنى ما في اللغة. فحين نقارن بين (هز) و(هزهز) ، نجد أن صيغة (هزهز) تفيد تكرير الحدث واستطالته، ونتيجة لذلك تكرر جذر الفعل فزيد في بنائه للمبالغة في معناه . و قد أشار إلى ذلك يسبرسن موضحاً

---

٨٧. الجمهرة ،١ : ١٧٣ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨.

٨٨. نفسه ، ١ : ١٧٤ ، ١٧٦.

أن تكثير حروف الكلمة في معظم اللغات يومىء بزيادة معناها. [٨٩]

و. صيغ المبالغة

اسم اصطلاحي يطلق على مجموعة من الأبنية اشتقت من اسم الفاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة في معنى الفعل. قال سيبويه: "وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مُجراه إذا كان على بناء (فاعل) لأنه يريد ما أراد بـ (فاعل) من إيقاع الفعل إلاّ أنه يريد أن يحدّث عن المبالغة ممّا هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى فَعول ومِفْعَال وفَعّال وفَعِل وقد جاء فعيل."[٩٠]وهي لا تصاغ من غير الثلاثي إلا في ما ندر.[٩١]

ونقل السيوطي في *المزهر* عن ابن خالويه إثنا عشر بناء للمبالغة : " قال ابن خالويه في شرح الفصيح: العرب تبنى أسماء المبالغة على اثني عشر بناء ، فَعَال كفساق،

---

٨٩. *Jespersen , Language , pp . ٤٠٣- ٤٠٥.*

٩٠. الكتاب ،١ : ٥٦.

٩١. الغالب صياغة أوزان المبالغة من اسم الفاعل ذي المصدر الثلاثي ، إلاّ أنه وقعت صياغتها من فوق الثلاثي نحو درّاك من أدرك سآر من أسار ومعطاء من أعطى ونذير من أنذر. أنظر: المزهر،٢ : ٧٧ ؛ الهمــع ، ٦: ٦٠ ؛ شرح الأشموني ،٢ : ٣٤٣ .

فَعُل كغدُر ، وفعَّال كغدَّار ، وفعُول كغدُور ، ومِفْعيل كمعْطِير ، ومِفْعَال كمِعْطَار، وفُعَلَه كهُمَزَةَ ولُمَزَةَ ، وفَعُوله كملُولة ، وفعَّالة كعلاَّمة ، وفاعلة كراوية وصائبة، و فُعّالة كبُقّاقة للكثير الكلام ، ومِفْعالة كمِجْزامة." (٩٢)

والواقع أن العرب بنوا أسماء المبالغة على أكثر من هذه الأوزان حتى وصلت إلى ما يناهز التسعة عشر بناء . وقيل إن ثلاثة أوزان قياسية وباقي الأوزان سماعية متفاوتة.(٩٣) وذهب أبو حيّان إلى أن ما كثر استعماله فهو قياسي وذلك في ثلاثةأوزان فعّال ومِفْعَال وفَعُول ، وما قل استعماله فهو سماعي وذلك في وزنين مِفْعَل وفَعِل . (٩٤) وإعمال فعيل أكثر من اعمال فَعِل. (٩٥)

ونقل السيوطي في *الهمع*أن ابن طلحة أحد نحاة الأندلس ادّعى تفاوت هذه الصيغ من حيث درجة المبالغة،" ففَعُول لمن كثر منه الفعل، وفعّال لمن صارله كالصناعة، ومِفْعَال لمن صار له كالآلة وفَعيل لمن صار له كالطبيعة وفَعِل لمن صار له كالعادة."(٩٦)

---

٩٢. المزهر ، ٢ : ٢٤٣.

٩٣. أوضح المسالك ، ٢ : ٢٥ ؛ المقتضب ، ٢: ١١٧.

٩٤. الهمع ، ٥ : ٨٧ ـ ٨٨.

٩٥. شرح ابن عقيل ،ص : ٣٥٧ ؛ الكتاب ، ١ : ٥٨.

٩٦. الهمع ، ٥ : ٨٨.

وهكذا ، نجد معظم النحاة يجمعون على أن الأوزان الخمسة التي ذكرها ابن طلحة هي الأكثر شيوعاً من بين أوزان المبالغة . وسنتناول فيما يأتي هذه الأوزان إلى غيرها من أبنية المبالغة التي وردت في كتب اللغة والنحو، للتدليل على أن الزيادة التي طرأت على بناء اسم الفاعل للوصول إلى تلك الصيغ رافقها زيادة في العمل تجلّت في الكثرة والمبالغة والتوكيد .

- فعّال : يصاغ (فعّال) من اللازم والمتعدي . غير أن الأمثلة التي أوردها النحاة تثبت أن مجيئه إنما يكثر من المتعدي ، نحو: ضرّاب ورزّاق ووهّاب وقوّال . ومن ذلك قول الشاعر [٩٧] :

أخا الحربِ لبّاساً إليها جِلالَها وليس بِولاّج الخوالفِ أعقَلا

فـ (لبّاس) و (ولاّج) صيغتا مبالغة على وزن (فعّال) جيء بهما للدلالة على الكثرة والمبالغة . وروي عن سيبويه قوله: " أمّا العسل فأنا شرّاب." [٩٨]ومنه قوله عز وجل:

---

٩٧. البيت للقلاخ بن حزن المنقري .هو في الكتاب ، ١ : ٥٧ ؛ المقتضب ٢ : ١١٣ ؛ شرح الأشموني ، ٢ : ٣٤٢ ؛ شرح المفصل ، ٦ : ٧ ؛ شرح ابن عقيل ، ص : ٣٥٧ ؛ شرح شذور الذهب ، ص : ٣٩٢ ؛ الهمع ، ٥ : ٨٦ ؛ أوضح المسالك ، ٢ : ٢٥٠ .

٩٨. الكتاب ،١: ٥٧ ؛ المقتضب،٢: ١١٣ ؛ الأصول في النحو١ : ١٢٣-١٢٤؛ شرح المفصل ، ٦ : ٧٠.

﴿وإني لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ [٩٩]، فغفّار من غفر وهو الغفران الكثير .

وتدلّ صيغة (فعّال) على النسب كذلك ، وهي لا تخرج عن دلالتها على تكثير العمل والمبالغة فيه والمداومة عليه. وذلك "قولك لصاحب الثياب ثوّاب ولصاحب العطر عطّار ولصاحب البز بزّاز ، وإنما أصل هذا تكرير الفعل كقولك هذا رجل ضرّاب ورجل قتّال أي يكثر منه وكذلك خيّاط ، فلما كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصنف فعلوا به ذلك وإن لم يكن منها فعل نحو بزّاز وعطّار ." [١٠٠] ويوضح الرضي ذلك بقوله : " إلا أن فعّالاً لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل ، ففعّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه ، إما من جهة البيع كالبقّال، أو من جهة القيام بحاله كالجمّال والبغّال ، أو باستعماله كالسّيّاف أو غير

---

٩٩. سورة طه ، الآية : ٨٢.

١٠٠. المقتضب ، ٣ : ١٦١ (باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل على النسب ما تدل عليه الياء) . وعبارة سيبويه في الكتاب،٢ :٩٠ : "هذا باب من الاضافة تحذف فيه ياءي الاضافة وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله أو ذا شيء. أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون فعّالاً. وذلك قولك لصاحب الثياب ثوّاب ... وأما ما يكون ذا شيء وليس بصفة يعالجها فإنه مما يكون فاعلاًوذلك قولك لذي الدرع دارع ." أنظر: شرح المفصّل ، ٦ : ١٣ حيث يثبت ابن يعيش المعنى نفسه. وأنظر كذلك شرح الأشموني ، ٣ : ٧٤٥ ؛ الهمع ،٦ : ١٧٥.

ذلك . وفاعل يكون لصاحب الشيء من غير مبالغة ، وكلاهما محمولان على اسم الفاعل وبناء المبالغة ، يقال لابن لصاحب اللبن ، ولبّان لمن يزاوله في البيع أو غيره ." [١٠١]

فهذا البناء يدل على الحرفة والصناعة التي تقتضي الاستمرار والتكرار والإعادة، لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعته ، وملازم لها ومستمر على ذلك لم ينقطع. فاستعمال (فعّال) يكون لتكثير الفعل ، فجعل له البناء الدال على الكثرة : " ألا ترى أنك لا تقول لمن ضرب ضربة واحدة ضرّاب ، ولا من خاط خيطةً واحدة خيّاط ." [١٠٢] فالمبالغة في الفعل في صيغة (فعّال) " تقتضي شدّة التلازم بين الفاعل والفعل ولهذا استعملت للدلالة على النسب والحرفة ، ولو لم يكن منها فعل كالعطار من العطر والسمّان من السمن ، والزيّات من الزيت ، والفنّان من الفن ." [١٠٣] وفي ضوء ذلك يُفهم سبب تسمية كثير من الآلات على وزن (فعّال) كالغسّالة والكسّارة ، وذلك لكثرة ما تغسل أو تكسر. إذ إنّ "الآلة التي تؤدي عملاً أو يؤدى بها عمل من الأعمال تحدث ذلك النوع من العمل بكثرة ويكون بينها وبينه تلازم ." [١٠٤]

---

١٠١. شرح الشافية ، ٢ : ٨٤–٨٥.

١٠٢.المقتضب ، ٢ : ١١٨ – ١١٩.

١٠٣. فقه اللغة وخصائص العربية ، ص: ١٤٤.

١٠٤. نفسه ، ١٤٤.

وهكذا ، فدلالة المبالغة والتكثير تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها . إنّ كلمة (كذّاب) تزيد في دلالتها على كلمة (كاذب) . فاستمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعيّنة التي يجمع لغويو العرب على أنها تفيد المبالغة . فاستعمال كلمة (كذّاب) يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوّره لو أن المتكلم استعمل (كاذب).[١٠٥] تقول رجل قتّال لمن يكثر القتل ، فأمّا قاتل فيكون للقليل والكثير لأنه الأصل ، ومن ذلك أيضاً رجل ضرّاب وشتّام . [١٠٦] ووزن (فعّال)" إذا سمّي به كان المراد منه ظهور الملكة والتخصص ، فإذا قلت نوّار كان المعنى الشيء الذي يعطي النور بكثرة عن ملكة ثابتة."[١٠٧]

• مِفْعال: جاءت هذه الصيغة في اللازم والمتعدي ، نحو: مِطْعَان ومِهْذَار ومِفْسَاد ومِضْحَاك. ومما جاء على(مِفعال) قولهم: إنّه لمِنْحَار بوائكها أي سمانها.[١٠٨]

---

١٠٥. دلالة الألفاظ ، ص :٤٧.

١٠٦. المقتضب ، ٢ : ١١٣.

١٠٧. مقدمة لدرس لغة العرب ، ١١٦.

١٠٨. الكتاب ، ١ : ٥٨ ؛ الأصول ،١ : ١٢٤ ؛ المقتضب ،٢ : ١١٤ ؛ شرح الكافية ،٢ : ٢٠٢؛ شرح المفصل ،٦ : ٢٧١ ؛ شرح ابن عقيل ، ص: ٣٥٧ ؛ أوضح المسالك ،٢ :٢٥٣ ؛ شرح الأشموني ،٢ :٣٤٢.

ويقال: امرأة مِذْكَار إذا كانت تلد الذكور عادةً ، ومِئْناث إذا كانت تلد الإناث ، ومِحمْاق إذا كانت تلد الحمقى .[١٠٩] وتستعمل (مِفْعال) لمن اعتاد الفعل أو دام منه و جرى على عادة فيه ، كقولك : رجل مِضْحَاك ومِهْذَار ومِطْلاق إذا كان مديماً للضحك والهذر والطلاق . قال الثعالبي : " إن أكثر العادات في الاستكثار على مفعال ."[١١٠] فتقول ناقة مغمار إذا كان من عادتها أن يحمر لبنها من داء والممراض الكثير المرض ، ويقال ناقة مخراط إذا كان من عادتها الإخراط هو أن يخرج لبنها منعقداً كأنه منقطع الأوتار.[١١١] قال سيبويه : "رجل ضروب و رجل مِحْسان ... إنما تريد أن تبالغ ولا تريد أن تجعله بمنزلة كل من وقع عليه ضاربٌ وحسنٌ ."[١١٢]

ويقصر (مفْعال) إلى (مِفْعل) ، قال ابن عصفور: " ومما يُبيّن أنّ (مِفْعلاً) يمكن أن يكون مقصوراً من (مِفْعال) كونهما في معنى واحد من المبالغة، تقول: (رجل مِطْعَن) و (مِطْعَان) إذا وصفته بكثرة الطعن ، وكونهما قد يتعاقبان على معنى واحد نحو (مِفْتَح)

١٠٩.المزهر،٢ :٢١٥؛الصاحبي،ص: ٢٢٧.أنظر:الجمهرة،٣: ١٢٤١-١٢٤٣.

١١٠. فقه اللغة وسر العربية ، ص : ٣٤٢.

١١١. المزهر ، ٢ : ٣١٥.

١١٢. الكتاب ، ٢ : ٢٥١ .

و(مِفْتَاح)." (١١٣) ويُقصر (مِفْعال) إلى (مِفْعيل) كذلك نحو مِطْعَن ومِدْعَس ومِقْوَل ، وكلها صفات تفيد المبالغة . (١١٤) و(مِفْعيل) وزن يستعمل لمن دام منه الفعل واستمر. حكى الزمخشري أن المسكين هو الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالسكِّير الدائم السكر. (١١٥)

وقد نقلت (مِفْعال) و (مِفْعيل) من المبالغة إلى النسب كما نقلت (فعّال) . فيقال مِعْطَار أي ذات عطر وناقة مِحْضير أي ذات حضر. (١١٦) ويأتي (مِفْعال) اسم آلة، فيدلّ على الأداة التي يُعالج بها . قال سيبويه : " وقد يجيء على مِفْعال نحو مِقْراض ومِفْتاح ومِصْباح."(١١٧) فهذا البناء مشترك بين المبالغة واسم الآلة ، ولا أرى تناقضاً في ذلك، لأن مفهوم الكثرة والمداومة قائم في الآلة التي تؤدي الوظيفة عينها على نحوٍ متواصل . وكذلك (مِفْعَل) بناء مشترك بين المبالغة واسم الآلة كـ (مِفْعَال) ، " لأن مِفْعَلاً إنما هو من مِفْعال ، ألا ترى أنهما في الصفة سواء نقول مطعن ومفساد ، فتريد المفساد من المعنى

---

١١٣. الممتع ، ٢ : ٤٨٧.

١١٤. شرح الشافية ،٢ : ١٧٩.

١١٥. الكشاف ، ١ : ٢٥٢.

١١٦. شرح الأشموني، ٣ : ٧٤٦ ؛ الهمع ، ٦ : ١٧٥.

١١٧. الكتاب ، ٢ : ٢٤٩.

ما أردت في المطعن ." [١١٨] فهذان البناءان " يشتركان بين صيغ المبالغة واسم الآلة، ولعلهما استعيرا من اسم الآلة واستعملا للمبالغة على سبيل المجاز."[١١٩] فقولهم هذا مِقْوَل معناه أنه آلة للقول .

● فعول : يُصاغ هذا الوزن من اللازم والمتعدي . وهو يدل على القيام بعمل ما على نحوٍمتواصل ومتكرّر . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وقليل من عبادي الشكور﴾.[١٢٠] إنّ العباد الشكور هم العباد الذين يواظبون على شكر ربهم باستمرار. ومنه قول الشاعر:[١٢١]

ضَروبٌ بِنصلِ السيفِ سوقَ سِمانِها إذا عدِمُوا زاداً فإنّك عاقرُ

وأورد سيبويه العديد من المفردات على هذا الوزن نحو لدود وقؤول وفخور

---

١١٨. الكتاب ،٢ : ٣٦٧.

١١٩. الاشتقاق للترزي ، ص : ٢٢٢.

١٢٠. سورة السبأ ، الآية : ١٣.

١٢١. البيت لأبي طالب بن عبد المطلب . وهو في الكتاب ،١ : ٥٧ ؛ شرح المفصل ، ٦: ٧٠ ؛ المقتضب ، ٢: ١١٤ ؛ شرح الأشموني ، ٢ : ٣٤٢ ؛ شرح شذور الذهب ، ص:٣٩٤ ؛ الهمع ،٥ : ٨٦ ؛ أوضح المسالك،٢ :٢٥٢.

وبيوع. [١٢٢] وزاد آخرون شكور وضحوك وصبور وأكول وغيرها . وجاء في *الكتاب*: " زعم الخليل أن فعولاً ومِفْعالاً ومِفْعلاً نحو قؤول ومقوال إنما يكون في تكثير الشيء وتشديد المبالغة فيه . " [١٢٣] فكل هذه مفردات زيد في بنائها للدلالة على ما تنطوي عليه من مبالغة وقوة في المعنى . فـ " فعول تريد به ما تريد بـ فعّال من المبالغة . " [١٢٤]

• فعيل: هذا الوزن يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة [١٢٥] ، نحو رجل عليم. فلكثرة النظر في العلم والتبحر فيه، أصبح العلم سجية ثابتة في صاحبه كالطبيعة فيه . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ربّنا تقبّل منا إنك السميع العليم﴾[١٢٦] ، ومنه كذلك قدير وبصير وخبير. [١٢٧] وقد جاء فعيل مبالغة (مُفعِل) نحو

---

١٢٢. الكتاب، ٢ : ٩١ ، ٢٦٩ ، ٣٦٦ ـ ٣٦٧ . أنظر: المنصف ، ٣ : ٥٢.

١٢٣. نفسه، ٢ : ٩١.

١٢٤. الأصول في النحو ،١ : ١٢٤ .

١٢٥.الهمع ، ٥ : ٨٨.

١٢٦. سورة البقرة ، الآية : ١٢٧.

١٢٧. الكتاب ،١ : ٥٨ ؛ ٢ : ٣٢٥.

قولهم : (عذاب أليم) أي مؤلم و (داع سميع) أي مُسْمِع .[١٢٨]

ويصح بناء (فعيل) على (فُعال) للمبالغة في الوصف ، نحو: طويل وطُوال وبعيد وبُعاد، " فُعال بمنزلة فعيل لأنهما أختان ألا ترى أنك تقول طويل وطوال وبعيد وبُعاد."[١٢٩] وذهب الرضي إلى " أنّ فعالاً مبالغة فعيل في المعنى ، فطوال أبلغ من طويل ." [١٣٠] ومن ذلك رجل ضُخام وهو أكثر من ضخم ، ورجل ظراف للكثير الظرف . وإذا أردت زيادة المبالغة شددّت عين (فُعال) فأصبحت (فُعّال) كطُوّال وحُسّان.[١٣١] ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومكروا مكراً كبّارا﴾. [١٣٢] فتكثير حروف (فُعال) رافقه زيادة في المعنى ومبالغة فيه ، إذ إن طُوّال وكُبّار أبلغ من طُوال وكُبار ، فزيادة المبنى أذنت بزيادة المعنى وتقويته.

---

١٢٨. شرح المفصل ، ٦ : ٧٣.

١٢٩. الكتاب ، ٢ : ٢٠٧.

١٣٠. شرح الشافية ، ٢ : ١٣٦ . أنظر: المنصف ،١ : ٢٤٠ _ ٢٤١ ؛ نزهة الطرف ، ص : ١٩٤ .

١٣١. المنصف ، ١ : ١٤١ ؛ الخصائص ، ٣ : ٢٦٦ ؛ شرح الشافية ،٢: ١٣٦ ؛ نزهة الطرف ، ص : ١٩٤.

١٣٢. سورة نوح ، الآية : ٢٢.

• فَعِل: يدل معناه على كثرة الفعل كثرة لا ترقى إلى درجة الثبوت، فهو لمن صار له الفعل كالعادة.(١٣٣) ومما جاء على (فَعِلَ) قول الشاعر (١٣٤) :

حَذِرٌ أموراً لا تَضيرُ وآمِنٌ   ما ليس مُنْجِيَهُ مِنَ الأقدارِ

فحذر مبالغة حاذر ، وإنما غيّر عن بنائه للتكثير . (١٣٥) يقول : سيبويه " أما ما كان صفة فصار بمنزلة قولك هذا رجل عَمِل إذا أردت معنى كثير العمل . " (١٣٦)

وتأتي هذه الصيغة في النسب للدلالة على الكثرة . فاللَبِن لمن كان عنده اللبن كثيراً. يقول الرضي : "وكما استعملوا فعّالاً لما كان في الأصل للمبالغة في اسم الفاعل في معنى ذي الشيء الملازم له استعملوا فَعِلاً أيضاً . وهو بناء اسم الفاعل ، نحو عَمِل للكثير العمل ، وطَعِن ولبِس ولسِن في معنى النسبة . " (١٣٧) يدل هذا على أن (فَعِل) في

---

١٣٣. الهمع ، ٥ : ٨٨ .

١٣٤. البيت لأبان بن عبد الحميد اللاحقي.وهو في الكتاب، ١ : ٥٨ ؛ شرح ابن عقيل، ص: ٣٥٨؛ شرح الأشموني، ٢ : ٣٤٢ ؛ شرح المفصل ،٦: ٧١؛ المقتضب ، ٢ : ١١٦.

١٣٥. شرح المفصل ، ٦ : ٧١ ـ ٧٢.

١٣٦. الكتاب ، ٢ : ١٤.

١٣٧. شرح الشافية ، ٢ : ٨٨.

النسب تفيد التكثير ، ولكن لا على جهة المزاولة والاحتراف كما هو الحال في فعّال في المبالغة.

• فاعول : هذا الوزن منقول عن اسم الآلة لأنه من أبنية أسماء الآلة كساطور وناقور . والناقور هو ما ينقر به كما في قوله تعالى: ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾.[١٣٨]ومن أبنية المبالغة على هذا الوزن الجارود ، ومنه سنة جارود أي مقحطة شديدة المحل.[١٣٩] وذكر سيبويه ماء حاطوم وسيل جاروف وماء فاتور . [١٤٠] وأورد ابن دريد في *الجمهرة* الحاذور وهو الذي يحذر الناس ويخافهم فلا يعاشرهم، والقاذور الذي لا يخالط الناس لسوء خلقه ، وقد تلزمه التاء فيقال رجل قاذورة . [١٤١]

• فِعّيل : يستعمل هذا الوزن للمولع بالفعل فيديم العمل به ويكون له عادة.[١٤٢] وهذا البناء مرجح فيه أنه محوّل عن فعّال كما حوّل مِفْعيل عن مِفْعال . ومن أمثلة هذا

---

١٣٨. سورة المدثر ، الآية : ٨.

١٣٩. اللسان ، مادة (جرد) ؛ الجمهرة ، ٢ : ١٢٠٦ ؛ المزهر ،٢ : ١٢٣.

١٤٠. الكتاب ، ١ : ٣١٨.

١٤١. الجمهرة ، ٢ : ١٢٠٥ . أنظر: ديوان الأدب ، ١ : ٣٧٣.

١٤٢. نزهة الطرف ، ص :١٩٤.

الوزن سِكِّير للدائم السكر ،وسِكِيِّت للكثير السكوت ، وشِرِّير للكثير الشرور ، وهِزِّيل للكثير الهزل . [١٤٣] ويقال : رجل ظِلِّيم للكثير الظلم ، و فخيّر للكثير الفخر ، والصرِّيع للكثير الصرع لغيره ، والثّقيف للمبالغ في ذاته . [١٤٤] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يوسف أيها الصِّدِّيق﴾. [١٤٥] ومنه قول الشاعر : [١٤٦]

لا تَنفُري يا ناقُ منه فإنّه   شِرِّيبُ خمرٍ مِسْعَرٌ لحروب

و(فِعِّيل) بناءٌ مشترك بين المبالغة واسم الآلة . قال سيبويه : " يكون على فِعِّيل فيهما . فالاسم نحو : السِكين والبطّيخ ، والصفة نحو : الشرِّيب والفِسِّيق . " [١٤٧] وبقي أن نقول إن هذا الوزن يصاغ من مصدر الفعل الثلاثي لازماً كان أو متعدياً . وذكر ابن دريد في *الجمهرة* : " اعلم أنه ليس لمولّد أن يبني فِعِّيلاً إلا ما بنته العرب وتكلمّت به ، ولو أجيز ذلك لقلت أكثر الكلام ، فلا تلتفت إلى ما جاء على فِعّيل مما لم تسمعه إلا أن

---

١٤٣. الجمهرة ، ٢ : ١١٩١ ـ ١١٩٢ . أنظر: المزهر ، ٢ : ١٤٥ – ١٤٦.

١٤٤. ديوان الأدب ، ١ : ٣٤٠.

١٤٥. سورة يوسف ، الآية : ٤٦.

١٤٦. البيت لحفص بن الأحنف الكناني . وهو في الهمع ، ٥ : ٨٨.

١٤٧. الكتاب ، ٢ : ٣٢٦.

يجيء فيه شعر فصيح . " [١٤٨]

• فُعَلَة : لحركة العين في هذه الوزن أهمية كبرى في تحديد المعنى ، إذ إن (فُعَلَه) بفتح العين يختلف عن (فُعْلَه) بتسكين العين . فالأول على تأويل فاعل والثاني في معنى المفعول . [١٤٩] ذلك أنّ تسكين عين الكلمة يقلب معناها من الفاعلية إلى المفعولية . ومن أمثلة (فُعَلَه) هُمَزة لُمَزَة وهو الكثير الهمز واللمز أي الذي يعيب الناس . ومن ذلك قوله تعالى:﴿ ويل لكل هُمَزة لُمَزة﴾. [١٥٠] ويقال : رجلٌ هُذَرة بمعنى كثير الهذر أي الكلام ، وطُلَقَة كثير الطلاق ونَومةَ كثير النوم. ومن أمثلة (فُعْلَة) رجل ضُحْكَةَ أي يضحك منه ، وسُخْرة أي يسخر منه . [١٥١]

ومن الملاحظ أن فعّال وفعّالة وفُعّال وفِعِّيل وما فيه التضعيف عموماً تفيد التكثير في الآلة كالقذّاف والغسّالة والسِّكّين والخُطّاف ونحوها ، إذ إنها من صيغ المبالغة في الأصل وتفيد تكثير العمل . " فأمّا قولهم خُطّاف وإن كان اسماً ، فإنه لاحق بالصفة في إفادة معنى الكثرة ، ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف به . وكذلك سِكِّين ، إنما هو

---

١٤٨. الجمهرة ، ٢ : ١١٩٢.

١٤٩. المزهر ، ٢ : ١٥٤.

١٥٠. سورة الهمزة ، الآية : ١.

١٥١. الجمهرة ، ٣ : ١٢٤٧ . أنظر: المنصف ، ٣ : ٥٧.

موضوع لكثرة تسكين الذابح به . وكذلك البزّاز والعطّار والقصّار ونحو ذلك ، إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء ، وإن لم تكن مأخوذة من الفعل . وكذلك النّسّاف لهذا الطائر ، كأنه قيل له ذلك ، لكثرة نسفه بجناحيه ، وكذلك الخضّاري للطائر أيضاً ، كأنه قيل له ذلك لكثرة خضرته ، والحوّاري لكثرة حوره وهو بياضه . وكذلك الزُمّل والزّميل والزُمّال ، إنما كررت عينه لقوة حاجته إلى أن يكون تابعاً وزميلاً ." (١٥٢) وليس هذا ببعيد عن معنى المبالغة ، " فكأن ما بولغ في نسبة فعل إليه هو من قبيل الآلة أو الأداة التي تحدث ذلك الفعل بكثرة . " (١٥٣)

إنّ من يستعرض هذه الصيغ أو الأوزان الرامية إلى المبالغة في المعنىوتكثيره، ويقارنها بجذرها (فعل) ، يلاحظ أنها إنما صيغت غالباً بزيادة طرأت على الجذر قصد المبالغة والتكثير . فزيادة المبنى إنما يؤتى بها في هذه الصيغ من أجل زيادة المعنى الذي تؤديه الألفاظ. وهذه الزيادة تراوحت بين زيادة في الحروف أو الحركات أو الاثنين معاً.

ومن الواضح أن هذه الزيادات على أنواعها هي التي أدّت إلى زيادة المعنى ومن ثم المبالغة فيه طبقاً للقاعدة اللغوية المعروفة : الزيادة في مبنى الكلمة يفضي إلى زيادة

---

١٥٢. الخصائص ، ٣ : ٢٦٧.

١٥٣. الإشتقاق للترزي ، ص : ٢٧٧.

في معناها. وبهذا يمكننا أيضاً أن نفسّر تفاوت هذه الصيغ في إفادة معنى المبالغة والكثرة. فالكثرة المستفادة من (فعّال) مثلاً أشد من الكثرة المستفادة من (فَعُول) ، لأن تكثير الحروف يدل على تكثير المعنى ، و (فعّال) أكثر حروفاً من (فعول) . وعلى هذا نرى أبلغية (فعّال) و (مِفْعَال) على (فَعُول) و (فَعِيل) ، وأبلغية هذين الأخيرين على (فَعِل) .

ز. أوزان تفيد المبالغة والكثرة

في العربية ، إلى جانب صيغ المبالغة ، أوزان أخرى تفيد المبالغة في المعنى وتأكيده . وهذا يتم بزيادة ما تطرأ على الصيغة المجرّدة غير المزيدة للكلمة عن طريق تضعيف أحد الحروف الأصلية أو إضافة حروف الزيادة . وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأوزان .

- فعّل : لعله أشهر الأوزان التي تفيد تكثير الفعل والمبالغة فيه ، فهو من الأبنية التي وضعتها العرب للتكثير. [١٥٤]واعتبر ابن فارس (فعّل) بمثابة الأصل للتكثير: " أوّل ذلك فعّلت يكون بمعنى التكثير . " [١٥٥] وجاء في *أدب الكاتب* : " وتدخل فعّلت على

---

١٥٤. المنصف ،١ : ٩١ ؛ نزهة الطرف ، ص:١٤٦ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٣ ؛ الممتع ، ١ : ١٨٩ ؛ ٢ : ٤٤٥ ؛ الكتاب ، ٢ : ٢٣٧.

١٥٥. الصاحبي ، ص : ٢٢٥.

فعلت . وإذا أردت كثرة العمل فتقول : قطعته اثنين وقطّعته ارباً ، وكذلك كسرته وكسّرته ، وجرحته وجرّحته إذا أكثرت الجراحات في جسده . وجوّلت في البلاد وطوّفت إذا أردت كثرة التطواف والجولان فيها ، فإذا لم ترد الكثرة قلت جلت وطفت."[١٥٦] وحكى سيبويه: " وقالوا ظلّ يفرّسها السبع ويؤكّلها إذا أكثر ذلك فيها . "[١٥٧] ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب﴾. [١٥٨] ويأتي هذا الوزن من الفعل اللازم نحو: موّت وجوّل وطوّف، كما يأتي من المتعدي نحو: غلّق وقطّع وكسّر. [١٥٩] فبزيادة طرأت على (فعل) بواسطة تضعيف العين أدت إلى زيادة في المعنى برزت من خلال تكثير العمل والمبالغة ، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يذبّحون أبناءكم ﴾. [١٦٠] فالله عزّ وجلّ عدل عن استعمال (يذبحون) إلى (يذبّحون) للدلالة على

---

١٥٦. أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، ص :٤٦٠ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٣٧.

١٥٧. الكتاب ، ٢ : ٢٣٧.

١٥٨. سورة يوسف، الآية : ٢٣ . يقول ابن السراج في الأصول ،٢ : ١٢٣ : " لو كان باباً واحداً لم يجز فيه إلاّ أن يكون مرّه بعد مرّة ".

١٥٩. شرح المفصل ، ٧ : ٥٦ ؛ شرح الشافية ،١ : ٩٣.

١٦٠. سورة البقرة ، الآية : ٤٩.

كثرة القيام بفعل الذبح ، فقوة اللفظ مشعره بقوة المعنى وتكريره .

• أفعل : يفيد هذا الوزن المبالغة والتكثير، تقول : أشغلته أي بالغت في شغله . كما يفيد الكثرة في قولهم : أظبأ المكان أي كثرت ظباؤه وأشجر المكان أي كثر شجره . وتقول : أكثر الله فينا مثلك أي أدخل الله فينا كثيراً مثلك. [١٦١] ويأتي كذلك للدلالة على كثرة الشيء ، كقولك : أفعل الشيء إذا كثر ذلك عنده ، نحو ألبن إذا كثر عنده اللبن ، وأتمر إذا كثر عنده التمر . [١٦٢]

ويجيء (أفعل) بمعنى (فعّل) ، " وتدخل فعّلت على أفعلت إذا أردت تكثير العمل والمبالغة . تقول : أجدت وجوّدت، وأغلقت الأبواب وغلّقت ، وأقفلت وقفّلت . " [١٦٣] ومن ذلك قول الشاعر : [١٦٤]

ما زلتُ أغلقُ أبواباً وأفتحُها حتّى أتيتُ أبا عمرو بن عمار

فهنا (أفتح) و(أغلق) بمعنى (أُفتّح) و(أُغلّق) ، ذلك أن (أفعل) أتت بمعنى (فعّل) فيما يراد

---

١٦١. الكتاب ، ٢ : ٢٣٧.

١٦٢. نزهة الطرف ، ص :١٤٥.

١٦٣. أدب الكاتب ، ص :٤٦٠ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٣٧.

١٦٤. البيت للفرزدق. وهو في أدب الكاتب ،ص : ٤٦١؛ شرح المفصل ، ١ : ٢٧ ؛ الكتاب، ٢ : ٢٣٧؛ الأصول،٣ : ١١٩؛ شرح الشافية ، ١ : ٩٣.

فيه التكثير . [١٦٥] ومن ذلك (مهّل) و(أمهل) كما في قوله تعالى: ﴿ فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾. [١٦٦]إنّ زيادة الهمزة على (فعل) أفادت التوكيد والتكثير . وهذا ما دفع الرضي إلى إنكار أن تكون (أفعل) بمعنى (فعل) في قولهم : قِلْتُ البيع وأقلته ، ذاهباً إلى أن " المزيد فيه لغير الإلحاق لا بد لزيادته من معنى لأنها إذا لم تكن لِغرض لفظي كما في الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثاً ، فإذا قيل مثلاً : إن أقال بمعنى قال فذلك منهم تسامح في العبارة... فكذا لا بد في الهمزة في أقالني من التأكيد والمبالغة ." [١٦٧]

• فاعل : زيدت الألف في هذه الصيغة بعد فائها للدلالة على المعنى الذي يدل عليه التضعيف وهو التكثير . فيصبح (فاعل) و (فعّل) بمعنى واحد ، [١٦٨] " ونحو ذلك ضاعفت وضعّفت مثل ناعمت ونعّمت...بمنزلة غلّقتُ الأبواب أراد أن يكثر العمل."[١٦٩] ونظير هذا ما أورده الرضي في سياق تعرّضه لمعاني هذا الوزن، فاعتبره " يكون للتكثير كفعّل نحو ضاعفت الشيء أي كثرت أضاعفه كضعّفته وناعمه الله كنعّمه أي كثّر

---

١٦٥. شرح الشافية ، ١ : ٩٠.

١٦٦. سورة الطارق ، الآية : ١٧٠.

١٦٧. شرح الشافية ، ١ : ٨٣ .

١٦٨. الأصول ، ١ : ١٢٣ . أنظر: شرح الشافية ، ١ : ٩٩.

١٦٩. الكتاب ، ٢ : ٢٣٩.

نعمته ." [١٧٠] ومن ذلك قولهم : امرأة مُنعّمة ومُناعَمَةٌ . ومن ذلك باعد وبعّد، فقولك باعدت بمعنى بعّدت . [١٧١]

• افتّعل : بزيادة ألف وتاء يدل هذا الوزن على المبالغة ، وذلك نحو قولك : اقتدر زيدٌ وارتدّ أي بالغ في القدرة والردّة . ومن ذلك اكتسب ، تعني أنه بالغ واضطرب في الكسب: " أما كسبت فإنه يقول أصاب ، وأما اكتسبت فهو التصرف والطلب والاعتمال بمنزلة الاضطراب." [١٧٢]ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لها ما كسبت وعليها ماكتسبت﴾،[١٧٣] " وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر ... فزيد في لفظ فعل السيئة ، وانتقص من لفظ فعل الحسنة . " [١٧٤] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أخذ عزيز مقتدر﴾ [١٧٥] ، " فمقتدر هنا أوفق من قادر ، من حيث كان الموضع

---

١٧٠. شرح الشافية ، ١ : ٩٩.

١٧١. أدب الكاتب ، ص : ٤٦٥.

١٧٢. الكتاب ، ٢ : ٢٤١ . أنظر: شرح المفصل ، ٧ : ١٦١.

١٧٣. سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦.

١٧٤. الخصائص ، ٣ : ٢٦٥.

١٧٥. سورة القمر ، الآية : ٤٢.

لتضخيم الأمر وشدّة ." [١٧٦] فالزيادة التي طرأت على هذه الصيغة ، إنما كانت قصد إبراز الاجتهاد والاعتمال. وقد أجمع لغويو العرب على ذلك ، فـ (افتعل) عند معظمهم للمبالغة والتصرف والطلب.

● تفعّل : هو ما زيدت فيه التاء تصديراً مع تضعيف العين ، وهذا يفيد الكثرة والمبالغة حين يأتي مطاوعة (فعّل) ، نحو : كسَّرته فتكسّر وقطّعته فتقطّع . [١٧٧] ومن ذلك قولهم: جرّعتك الماء فتجرعته ، أي أكثرت لك جرع الماء جرعة بعد جرعة ، فتقبّلت ذلك التكثير[١٧٨] ، فالمطاوعة تدلّ على أن أصل الفعل حصل مرة تلو الأخرى.

ويأتي (تفعّل) بمعنى التكلّف وهو ينطوي على شيء من المبالغة ، وذلك عندما يقوم المرء بعمل ليس من سجيته . فهو هنا " بمعنى إدخالك نفسك في أمر حتى تضاف إليه أو تصير من أهله ، نحو تشجّعت وتجلّدت وتبصّرت وتمرّأت أي صرت ذا مروءة."[١٧٩] فقولك : تشجعت وتجلدّت وتبصرّت يعني أنك تكلّفت الشجاعة والجلد

---

١٧٦. الخصائص ، ٣ : ٢٦٥ . أنظر : الأشباه والنظائر ، ١ : ٣١٢.

١٧٧. شرح الشافية ، ١ : ١٠٤.

١٧٨. شرح الشافية ، ١ : ١٠٥ ؛ الممتع ، ١ : ١٨٤.

١٧٩. أدب الكاتب ، ص : ٤٦٦ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٤٠.

والتبصّر، ولم تكن تلك الصفات من سجياك. ومن ذلك تحلّم كما في قول الشاعر:[١٨٠]

تحلَّمْ عن الأدنَينَ ، واستبقْ ودَّهم   ولن تستطيعَ الودَّ ، حتى تحلّما

أي لن تكون حليماً بطبعك إلا إذا تكلفت الحلم وأظهرته.

ومعنى التكلّف أن فاعل (تفعّل) يتعانى من أجل ذلك الفعل ويجتهد لحصوله . فتشجّع معناها أن الفاعل استعمل الشجاعة وكلَّف نفسه إياها لتحصل، والفاعل في تحلّم يتكلّف ويبالغ لإظهار حلمه ليكون من الحلماء، ذلك أن الأول ليس شجاعاً والثاني ليس حليماً . [١٨١] فمعنى (تفعّل) ممارسة الفعل والمكابدة فيه ليحصل ، أي حمل النفس على أمر فيه مشقة ليكون من أهله ، "كأنه قيل شجّعته وحلّمته أي نسبته إلى الشجاعة والحلم ، فتشجّع وتحلّم أي انتسب إليهما وتكلفهما." [١٨٢]

ويجيء (تفعّل) للدلالة على التكثير نحو قولك تعطّينا أي تنازعنا ." تقول: تعاطينا وتعطّينا فتعاطينا من اثنين وتعطّينا بمنزلة غلّقت الأبواب أراد أن يكثر

---

١٨٠. البيت لحاتم طيء . أنظر: الكتاب ، ٢ :٢٤٠ ؛ أدب الكاتب ، ص : ٤٦٦؛ الممتع ،١ : ١٨٤ ؛ شرح المفصل ، ٧ : ١٥٨.

١٨١. الممتع ، ١ : ١٤٧ – ١٤٨.

١٨٢. شرح الشافية ، ١ : ١٠٥.

١٨٣. الكتاب ، ٢ : ٢٣٩ ؛ الممتع ، ١ : ١٨٥.

العمل."[١٨٣] ويكون هنا بمعنى (تفاعل) ، تقول : تعطّيت و تعاطيت ، وتجوّزت عنهوتجاوزت عنه.[١٨٤]

• افعلّ:لا يكون إلا لازماً، ويغلب مجيئه للدلالة على قوة اللون أو العيب بقصد المبالغة فيه وإظهار قوته.فقولك:احمرّوابيضّ واعورّ يعني قويت حمرته وبياضه وعوره.

وذهب جمهور النحاة إلى أن (افعلّ) "مقصور من افعالّ لطول الكلمة، ومعناها كمعناها بدليل أنه ليس شيء من افعلّ إلا يقال فيه افعالّ ." [١٨٥] وقد يأتي هذا الوزن مرتجلاً ، نحو : اقطرّ النبات إذا أخذ في الجفاف. [١٨٦]

• افعالّ :لا يفترق عن (افعلّ) في كونه لا يأتي إلا لازماً ، وفي دلالته على قوة اللون أو العيب ، غير أنه أكثر ما يكون في الألوان [١٨٧] ، نحو : اشهابّ واسوادّ وابياضّ وادهامّ. وقد يجيء في غير الألوان إلاّ أن ذلك قليل ، نحو: اقطارّ النبت إذا ولى وأخذ يجف، وابهارّ الليل إذا أظلم ، وابهارّ القمر إذا أضاء . [١٨٨]

---

١٨٤. أدب الكاتب ، ص: ٤٦٦ – ٤٦٧.

١٨٥. الممتع ،١ : ١٩٥؛ المنصف ، ١ : ٨٠ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٩.

١٨٦. الكتاب ، ٢ : ٢٤٢ ؛ شرح الشافية ، ١ : ١١٣ ؛ الأصول ، ٣ : ١٢٨.

١٨٧. الممتع ، ١ : ١٩٥ ؛ شرح المفصل ، ٧ : ١٦١.

١٨٨. المقتضب ، ٢ : ١٠٩ ؛ الكتاب ، ٢ : ٢٤٢.

وهكذا ، ليس ثمة فرقٌ واضحٌ في المعنى بين (افعلّ) و(افعالّ) ، وهذا ما جعل سيبويه يقول: " وليس شيء يقال فيه افعاللْت إلا يقال فيه افعللْت ، ولا شيء يقال فيه افعللْت إلا يقال فيه افعاللْت ، إلا أنه قد تقلُّ إحدى اللغتين في الشيء وتكثر في الأخرى. إلاّ أنّ طرح الألف من اخضرّ واحمرّ واصفرّ وابيضّ واسودّ أكثر ، وإثباتالألف في اشهابّ وادهامّ أكثر. وقد قالوا : ارقدّ في العدو وارعوى واقتوى إذا خدم وكلّه افعلّ ، ولم أسمعهم قالوا في شيء من هذا افعاللت. " [١٨٩] فالفرق إذن يكاد يكون معدوماً بين هذين الوزنين. ورأى الرضي أن افعلّ "الأغلب كونه للون أو العيب الحسي اللازم وافعالّ في اللون أوالعيب الحسي العارض."[١٩٠]قد يكون الأوّل في العارض والثاني في اللازم.[١٩١] وقد يأتي (افعالّ) مرتجلاً لـ(افعلّ) نحو اقطارّ النبت ، فلا يستعمل إلا بالزيادة. [١٩٢]

ونشير أخيراً إلى أن هذين الوزنين يفيدان المبالغة في إظهار قوة اللون أو العيب. والمبالغة في (افعالّ) زائدة عما هي عليه في (افعلّ) ، لأن الأوّل زيد فيه حرفان،

---

١٨٩. الكتاب ، ١ : ٢٤٢ . أنظر: المنصف ، ١ :٨٠-٨١ ؛ شرح المفصل ، ٧ : ١٦١ ؛ الممتع ، ١: ١٩٥-١٩٦.

١٩٠. شرح الشافية ، ١ : ١١٢ . أنظر : الأصول ، ٣ : ١٢٨.

١٩١. نفسه ، ١ : ١١٣ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٤٢.

١٩٢. الكتاب ، ٢ : ٢٤٢ ؛ شرح الشافية ، ١ : ١١٣.

في حين أن الثاني زيد فيه حرف واحد، فاحمارّ مثلاً يجب أن تدل على زيادة الحمرة أكثر من احمرّ. لذا عدّ الميداني افعالّ أبلغ في المعنى من افعلّ.[١٩٣] وهذا يثبت ما نذهب إليه من أنّ تكثير حروف اللفظ يشعر بزيادة معناه .

- افعللّ : يأتي هذا الوزن للمبالغة ، نحو: ابذعرّ أي تفرّق ، واطلخمّ الليل أي اشتدّ سواده. [١٩٤] ومن ذلك اقشعرّ ، يقال: قشعر جلد الرجل إذا انتشر شعر جلده في الجملة، ويقال اقشعرّ جلده إذا انتشر شعر جلده مبالغة . وهذا البناء لا يكون متعدياً في كلام العرب البتة . [١٩٥] وهو عادة ما يكون معناه ابراز مدّة التدرج في وقوع الفعل ظهوراً أو تلاشياً ، على شيء من الإفراط والمبالغة في الطول الزمني للحدث .

- افعوعل : تجمع كتب النحو والصرف على مجيء هذا الوزن للمبالغة والتوكيد. قال سيبويه " قالوا: خشُن وقالوا : اخشوشن . وسألت الخليل فقال : كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد ، كما أنه إذا قالوا : اعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً".[١٩٦] ويجيء لازماً ومتعدياً . فمن الأول قولك : اغدودن النبت إذا اخضرّ

---

١٩٣. نزهة الطرف ، ص : ١٥٨.

١٩٤. شرح الشافية ، ١ : ١١٣.

١٩٥. الممتع ، ١ : ١٩٧.

١٩٦. الكتاب ، ٢ : ٢٤١. أنظر: المنصف ،١ : ٨١ ؛ أدب الكاتب ،٤٧٠ ؛ ونزهة الطرف، ص: ١٥٨؛المفصل ،ص: ١٥٣؛ الأصول ،٣ : ١٢٩.

وطال ، ومن الثاني قولك : احلوليت الشيء .[١٩٧]

إنّ هذا الوزن بالزيادة التي أصابته أمسى يفيد مبالغة وتوكيداً لم يكن يفيدهما دون زيادة. وهذا ما ذهب إليه ابن جنّي بقوله : " فمعنى خشن دون معنى اخشوشن ، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو . ومنه قول عمر رضي الله عنه : اخشوشنوا وتمّعدوا: أي اصلبوا وتناهوا في الخُشنة . وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : اعشوشب . " [١٩٨] " وقوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى إذ الألفاظ قوالبٌ للمعاني."[١٩٩]

- افعوّل : شأنه شأن (افعوعل) في الدلالة على المبالغة لأن المكرر هناك العين وهنا الواو الزائدة.[٢٠٠] ومن أمثلة هذا الوزن اجلوّذ إذا مضى وأسرع في السير.

ويأتي (افعوّل) متعدياً وغير متعد . من أمثلة مجيئه متعدياً قولهم : اعلوّط

---

١٩٧. المنصف ، ١ : ٨٢ ؛ ٣ : ١٣ ، ٨٧ . أنظر: شرح الشافية ، ١ : ١١٢- ١١٣ ؛ أدب الكاتب ، ص : ٤٧٠.

١٩٨. الخصائص ، ٣ : ٢٦٤ . أنظر: الأشباه والنظائر ، ١ : ٣١٢.

١٩٩. شرح المفصل ، ٧ : ١٦٢.

٢٠٠. نفسه ، ٧ : ١٦٢.

المهر إذا تعلّق بعنق وعلاه ، وغير المتعدي قولهم : اخروّط السفر إذا امتدّ وطال . [٢٠١] وقد ذكر الرضي أنه بناء مرتجل ليس منقولاً عن فعل ثلاثي. [٢٠٢]

- افعنلل : يأتي هذا الوزن لمبالغة الفعل اللازم . [٢٠٣] يقال : قعس الرجل إذا خرج صدره في الجملة دليلاً على الثبات واللزوم ، واقعنسس إذا خرج صدره وخرج ظهره مبالغة . [٢٠٤] فـ "اقعنسس أزيد في المعنى من قعس . " [٢٠٥] ومن ذلك أيضاً

---

٢٠١. الممتع ، ١ :١٩٦ ؛ المنصف ، ١ :٨٢ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٤٢ ؛ الهمع ، ٦ : ٢٩.

٢٠٢. شرح الشافية ، ١ : ١١٢.

٢٠٣. الكتاب، ٢ : ٢٤٢.يقول سيبويه : " ليس في الكلام افعنللته." غير أنه جاء متعدياً كما في قول الشاعر :

إني أرى النعاس يغرنديني   أطرده عني ويسرنديني

أنظر: شرح الشافية ، ١ : ١١٣ .

٢٠٤. يرى ابن جنّي أن الغرض من الزيادة في اقعنسس واسحنكك ليس التوكيد والتكرير إنما الالحاق . أنظر : الخصائص ، ٢ : ١٥٦.

٢٠٥. نزهة الطرف ، ص : ١٥٨.

احرنجم واسحنكك أي اسودّ وأظلم .[٢٠٦]

● فِعِّيلي: يأتي هذا الوزن من المصادر للمبالغة والتكثير ، قال سيبويه : " وأمّا الفِعّيلي فتجيء على وجه آخر تقول : كان بينهم رمّياً فليس يريد قوله رمياً ، ولكنه يريد ما كان بينهم من الترامي وكثرة الرمي ، ولا يكون رمياً واحداً ." [٢٠٧]

ومن أمثلة هذا الوزن قول عمر رضي الله عنه : " لولا الخلّيفي لأذّنت أي لولا الخلافة والاشتغال بأمرها عن تعهد أوقات الآذان لأذّنت ." فالمصادر التي تأتي على فِعِّيلي تفيد الكثرة والمبالغة ، " تقول كان بينهم رميّا وهي الترامي الكثير ، والحِجيّزي والحِثّيثي كثرة الحجز والحث ، والدِلّيلي كثرة العلم بالدلالة والرسوخ فيها ، والقِتيتي كثرة النميمة."[٢٠٨]

● التَّفعال : يؤتى به للمبالغة والتكثير في معنى المصدر الثلاثي نحو التَّهدار بمنزلة الهدر الكثير . "وقالوا في اللعب التّلعاب ، وفي الصفق التّصفاق ، وفي الرّد التَّرداد وفي الجولان التَّجوال ، وفي القتل التَّقتال، وفي السير التَّسيار ، فليس في هذه المصادر ما هو جار على فعل ولكن لما أردت التكثير عدلت عن مصادرها وزدت فيها

---

٢٠٦. شرح الشافية ، ١ : ٦٨ ؛ الأصول ، ٣ : ١٢٩.

٢٠٧. الكتاب ، ٢ : ٢٢٨.

٢٠٨. المفصّل ، ص :١١٥.أنظر: شرح المفصل،٦ : ٥٦ ؛ المزهر٢ : ١٤٦.

ما يدل على التكثير لأن قوة اللفظ تؤذن بقوة المعنى ." [٢٠٩] وجاء في *الكتاب* : " وليس شيء من هذا مصدر فعّلت ، ولكن لما أردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلتُ على فعّلْتُ. " [٢١٠]

وكان الكوفيون يعتبرون (التَّفعال) بمنزلة (التَّفعيل) جاعلين الألف عوضاً من الياء ، " ولا بأس به لأن التفعيل مصدر فعل وهو بناء كثرة فلم يأتوا بلفظه لئلا يتوهم أنه منه." [٢١١] فيجعلون التكرار والترداد بمنزلة التكرير والترديد . غير أنهم قالوا التّلعاب، ولم يقولوا : التَّلعيب . [٢١٢]

وتجيء (تِفعال) بكسر التاء في الأسماء لإفادة المبالغة والكثرة ، نحو: تِكلام لكثير الكلام، وتِلعاب لكثير اللّعب، وتِلقام لكثير اللقم أو سريع اللقم . [٢١٣] وقد تدخل التاء

---

٢٠٩. شرح المفصل ،٦: ٥٦ ؛ أنظر: شرح الشافية ،١ : ١٦٨؛ الكتاب،٢ : ٢٢٨.

٢١٠. الكتاب ، ٢ : ٢٤٥.

٢١١. شرح المفصل ، ٦ : ٥٦ ؛ أنظر: النكت ،٢ : ١٠٦٣.

٢١٢. النكت ، ٢ : ١٠٦٣ ؛ شرح الشافية ، ١ : ١٦٧.

٢١٣. شرح المفصل ، ٦ : ٥٦ ؛ النكت ، ٢ : ١٠٦٣ ؛ المزهر ٢ : ١٣٨.

(الهاء) على هذه الأسماء لمزيد من المبالغة نحو تِكلامة وتِلعابة وتِلقامة. [٢١٤] كما وردت هذه الأسماء بالتشديد ، فقالوا : تِلقّامة وتِلعّابة وتِلقّاعة لكثير الكلام ، بالتاء وبدونها نحو تِلقّام وتِلعّاب . [٢١٥]

● يفعول : يدل هذا الوزن على الكثرة . تقول : ظبي ينفوز إذا كان شديد النفز أي القفز . ويهمور وهو الكثير من الرمل أو الماء ، ورجل يهمور أي كثير الكلام ويهمود هو الماء الكثير . وجدول يعبوب أي شديد الجري . ويقال : ثوب يعلول إذا علّ بالصبغ مرة بعد أخرى . ومن ذلك أيضاً يخضور ، وهي الأرض كثيرة الخضرة.[٢١٦] " ولعل شبه هذا الوزن بوزن الفعل المضارع المضموم العين والمشبع بحركة يرمز إلى مرحلة قديمة في تاريخ اللغة كان يعبّر بها عن بعض الصفات المتكررة بصيغة المضارع أو ما يشبهها . " [٢١٧] وقد جمع الصغاني مفردات هذه الوزن في كتاب أسماه : *يفعول*.

● استفعل: وهو الثلاثي بزيادة الهمزة والسين والتاء في أولّه ، نحو : استقر في

---

٢١٤. الممتع ، ١ : ١٣٠ ؛ الجمهرة ، ٢ : ١٢٠٥.

٢١٥. نفسه ، ١ : ١٣٠

٢١٦. الجمهرة ،٢ : ١٢٠٠ - ١٢٠١ . أنظر: المزهر، ٢ : ١٥٢.

٢١٧. الإشتقاق للترزي ، ص : ٣١١.

مكان (قرّ)، وعلا قرنه واستعلاه . فلا بد في استقر واستعلاه من مبالغة ليست موجودة في قرّ وعلا. [٢١٨] ومنه قوله تعالى: ﴿إذا أرادوا آية يستسخرون ﴾.[٢١٩] أي يسخرون ، ولكن زيد اللفظ لمبالغة ليست قائمة في يسخرون ، ومن ذلك يستهزئون أي يهزؤون .

ويقال : استكرش الجدي إذا عظمت كرشه ، واستكلأ المكان إذا كثر فيه الكلأ ، واستراض إذا كثرت رياضه .

● فَعْلَل : يدل هذا الوزن على تكثير الحدث والمبالغة فيه ، نحو كذبذب ولا يعرف غيره . وورد (فُعّلْعُل) بالتشديد ، نحو : كذّبذب .[٢٢٠]

وأورد العلايلي في مقدمته كثيراً من الصيغ المزيدة التي تدل على الكثرة والمبالغة. من أمثلة ذلك (فعّول) ويدلّ على الذي يفعل مضاعفة عددية ، إن في الطبيعة أو الصناعة. تقول : سيّودُ للذي يسير مضاعف معدّل النسبة العامة للسيارات

---

٢١٨. شرح الشافية ، ١ : ١١١ . أنظر: الكتاب ، ٢ : ٢٤٠.

٢١٩. سورة الصافات ، الآية ١٤.

٢٢٠. الممتع ، ١ : ١١٥ ؛ ١٣٠ . أنظر: النكت ، ٢ : ١١٦٢.

السريعة.[٢٢١] و(فِعّال) للدلالة على شدّة التكاثف ، نحو: حِبّار للحيوان البحري الذي يولّد الحبر ويختفي فيه. [٢٢٢] و(فِعِلّ) للدلالة على الاستطالة في الوصف ، تقول:مِرَنّ للشيء ذي الرنين الطويل الصدى والرّجع [٢٢٣] . ومن ذلك أيضاً (فعنْعل) ويدل على الاتّساع والتراكم ، نحو:عكنْكر للذي يكرّ من كل الجهات على اتّساع وتراكم. [٢٢٤]

بعد استعراض هذه الأبنية ، نجد أن جميعها ذهبت إلى المبالغة والتكثير بزيادة أصابت الجذر (فعل)، وأذنت بتقوية المعنى الأصلي دون إلغائه أو تغييره . وليُعلم أن كل الأوزان التي أفادت مبالغة أو تكثيراً قد تأتي لمعان أخرى كثيرة أثبتها لغويو العرب في أمهات كتبهم.

حـ . حروف الزيادة التصريفية

في العربية مجموعة من الحروف تختلف عن أحرف الزيادة ، وهي بمثابة لواصق اشتقاقية تزاد على جذر الكلمة وتقوم بوظائف تصريفية . وهذه الحروف حين

---

٢٢١. مقدمة لدرس لغة العرب ، ص : ١٢١.

٢٢٢. نفسه ، ص : ١٢٨ .

٢٢٣. نفسه ، ص : ١٢٩.

٢٢٤. نفسه ، ص : ١٤٠.

تضاف إلى مبنى اللفظ تنقله من صيغة إلى أخرى ، ويرافق هذا النقل غالباً زيادة في المعنى تسهم في توكيد معنى اللفظ والمبالغة فيه . وقد تتصل هذه الحروف بالأصل تصديراً أو حشواً أو تذييلاً ، وربما اشتركت في أكثر من حالة من هذه الحالات الثلاث. وباستقراء تلك الألفاظ ، وجدت أنه بالامكان تقسيمها إلى الأقسام التالية تبعاً للحرف المزيد.

● الميم : تزاد الميم في آخر اللفظ بقصد زيادة المعنى والمبالغة فيه . ومن أمثلة ذلك زرقم للشديد الزرقة ، " أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق وأن الميم فيه زائدة."[٢٢٥] ومن ذلك فسحم للمكان الواسع وهو من الإنفساح ، والحلكم للشديد السواد وهو من الحلكة ، وستهم وهو الكبير الأست [٢٢٦] ، وشدقم للعظيم الشدق.[٢٢٧] وقيل

---

٢٢٥. المقاييس ،١ : ٣٢٩ .أنظر:الصاحبي ، ١٠٢؛ شرح المفصل ،٩ : ١٥٤.

٢٢٦. المنصف ،١ : ١٥١ ، ٣ : ٢٥ . أنظر: شرح المفصل ، ٩: ١٥٤ ؛ رصف المباني ،٣٠٦ ـ٣٠٧.

٢٢٧. فقه اللغة وسرالعربية، ص: ٣٢٥ ؛ سر الصناعة، ١ : ٤٣١ . أنظر: Moscati, *An Introduction to the Comparative of The Semetic Languages*, pp. ٨٢.

٢٢٨. الجمهرة ، ٣ : ١٣٣٢ ؛ الصاحبي ،ص: ١٠٢ . جاء في سر الصناعة صلادم بالمد ، ١ : ٤٢٩.

صلدم من الصلد الشديد القوي . (٢٢٨) ومن ذلك سلطم من السلاطة وهو الإفراط في الطول،(٢٢٩)ودلقم وهي الناقة التي تكسرت أسنانها فاندلق لسانها وسال لعابها . (٢٣٠)

ومما جاءت فيه الميم بعرض المبالغة والتوكيد لفظ (ابنم) وهي ابن والميم زائدة للتوكيد والمعنى بزيادتها وطرحها واحد . (٢٣١) قال الشنتمري : " فأمّا ابنم فزيدت فيه الميم على ابن للتوكيد والمبالغة كما تقول للأزرق : زرقم ، وللعظيم العجُز ستهم." (٢٣٢)ومن أمثلة زيادة الميم توكيداً (بلعوم) من البلع وهو مجرى الطعام في الحلق ، وقد تحذف واوه فيقال بلعم. وهو مأخوذ من البلع ، إلاّ أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه . (٢٣٣) وقالوا : إمرأة خدلم من الخدلة وهي صفة للمرأة غليظة الساق. (٢٣٤) فكل هذه الأسماء وغيرها زيدت فيها الميم مبالغة لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى. (٢٣٥) وجعل العلايلي

---

٢٢٩. الجمهرة ، ٣ : ١٢٢٣.

٢٣٠. المنصف ، ١ : ١٥١ ، ٣ : ٢٥.

٢٣١. المقتضب ، ٢ : ٩٣ ؛ الأزهية، ص : ٥.

٢٣٢. النكت ، ٢ : ١٠٩٣ . أنظر : شرح الشافية ، ٢ : ٢٥٢.

٢٣٣. المقاييس ،١ : ٣٢٩ ؛ ٣ : ٥٢ .أنظر: سر صناعة الإعراب ،١ : ٤٢٩.

٢٣٤. المزهر،٢: ٢٥٧؛ سر الصناعة ،١: ٤٣٢؛رصف المباني،٣٠٧.

٢٣٥. شرح المفصل ،٩ : ١٥٤.

وزن (فُعلُمْ) للدلالة على الذي يوجد فيه مضاعفات تجعله صنفاً آخر، تقول خُضرُم للأخضر الذي ضوعف في خضرته حتى عُدّ صنفاً آخر من الألوان .[٢٣٦]

ولعل علماء العربية ، في زيادة هذه الميم على الأسماء والصفات ، قد تأثروا بظاهرة (الياء والميم) أوما يعرف بالتمييم . وهي علامة الجمع ومن ثم التعظيم في اللغة العبرية ، وهذا ما ذهب إليه زيدان في " أن الميم في العربية تلحق بأواخر الأسماء للتعظيم . فيقال : رجل بحرم أي بحر كبير. وترى بين دلالة هذه الميم وميم الجمع علامة عظيمة بحيث يكاد يثبت أن كليهما واحد ، لأن التعظيم والكثرة صورتان متقاربتا الشكل في ذهننا. على أننا بعد كل ذلك لا ننجو من السؤال عن كيفية حصول هذه الميم على هذه الخاصة. فيتبادر إلى ذهننا أنها بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات السامية والمصرية هي "يم" بمعنى نهر كبير أو بحر ، فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على قدم عهدها ، ربما كانت حكاية صوت المياه إذا جرت بغزارة فتوهموا فيها معنى الكثره . " [٢٣٧]

ومن المعلوم أن ما تؤدّيه النون من معانٍ في العربية كالتوكيد والتكثير والتثنية والتنوين ، تؤديه الميم في غير العربية من اللغات السامية كالعبرية وغيرها . فالتنوين في

---

٢٣٦. مقدمة لدرس لغة العرب ، ص : ١١٩.

٢٣٧. الفلسفة اللغوية ، ص : ٩٦-٩٧.

العربية يقابله التمييم في غير العربية ، وجمع المذكر السالم بالواو والنون أو الياء والنون يقابله في العبرية الياء والميم . وكلمة (سنة) في العبرية وهي (شانا) تجمع على (شانيم) ، فميم الجمع في العبرية كنون الجمع في العربية . وكما تلحق النون الاسم المثنى في العربية تلحق الميم الاسم المثنى في العبرية . [(٢٣٨)] " وقد احتفظت العربية الفصيحة بكلمات قليلة العدد تشير إلى هذه الميم التي أضيفت زيادة (للتمييم) في اللهجات العربية الجنوبية وكوّنت من هذه الكلمات شكلاً خاصاً حتى صارت كأنها جزء من بنية الكلمة . ومن هذه الكلمات كلمة ابنم التي تقابل (ابن) المنون ولكن الميم بقيت فيها ، وقد أخضعها عرب الشمال لعاداتهم اللغوية فألحقوا بها النون من أجل التنوين فصارت أحياناً ابنم."[(٢٣٩)]

غير أنه - فيما أرى - هناك كلمات عدّة زيدت فيها الميم دون أن توحي بشيء من المبالغة أو التعظيم ، نحو ابنم من ابن ودقعم من الدقعاء ودردم من الدرداء . فتأويل معنى المبالغة أو التكثير في مثل هذه الكلمات ينطوي على كثير من التعسف والتكلف ، إذ إنّ هذه الكلمات لا تحتمل هذا المعنى ولا تشير إليه، " وقد يكون ما لحق ببعض شواهد هذه الصيغة من معنى المبالغة أو التعظيم إنما هو معنى طارىء كان وليد التطور أو

---

٢٣٨. فقه اللغة المقارن للسامرائي ، ص : ١٣٤.

٢٣٩. نفسه ، ١٣٤ – ١٣٥. أنظر :

Moscati, *An Introduction to the Comparative of The Semetic Languages*, pp. ٨٢.

العبث في الرواية ." [٢٤٠] ويعزز ما نذهب إليه ما نقُل عن وجود هذه الصيغة في اللهجات الجنوبية في اليمن . " ومهما يكن من أمر زيادة الميم ، أتمثّل بقيّة من ظاهرة التمييم ، أي زيادة الميم (بإزاء التنوين ، أي زيادة النون) ، أم تحمل دلالةً ما كالتفخيم أو المبالغة ، فإن أمثلتها تُظهر أنّ العربيّة تفوق أخواتِها قدرةً على توليد الجذور والألفاظ، وذلك لدأبها على استغلال الظواهر وتطبيقها على نحوٍ يكاد يكون مطّرداً في بعض المواضع." [٢٤١]

● النون : تزاد النون للمبالغة والتكثير، نحو: رعشن للذي يرتعش ، ويقال للرجل المسترخي رعشن.[٢٤٢] ومن ذلك ضيفن وهو ضيف الضيف أي الذي يجيء مع الضيف[٢٤٣]، فالنون فيه زائدة لأنه من الضيف.

ومن أمثلة زيادة النون للمبالغة علجن وهي الناقة الغليظة وهو من العِلج ، وخلبن للمرأة الخرقاء وهو من الخِلابة . [٢٤٤] ومن ذلك أيضاً رجل خِلَفْنه للذي في أخلاقه

---

٢٤٠. الإشتقاق للترزي ، ص : ٣٠٩.

٢٤١. فقه العربية المقارن لرمزي بعلبكي ، ص : ١١١.

٢٤٢. المنصف ، ٣ : ٢٧ . أنظر : النكت ، ٢ : ١١٣٤.

٢٤٣. نفسه ،١ : ١٦٨ . أنظر: الممتع ،١ : ٢٧١.

٢٤٤. المنصف ، ١ : ١٦٨ ؛ الممتع ، ١ : ٢٧١.

خلاف ، وقالوا : رجل عِرَضْنه للذي يعترض الناس بالباطل. وفرسن مقدم خف البعير، سمي كذلك لأنه يفرس أي يدقّ، ومنه قيل للأسد فرناس . [٢٤٥] وقالوا: امرأة سِمْعَنه ونِظْرَنه للكثيرة التسمُّع والتنظُّر . [٢٤٦] ورجل بَلْغَن للنمّام الذي يبلّغ الناس أحاديث بعض وقيل البلغن تعني البلاغة .[٢٤٧] وقالوا : ناقة عنسل أي ناقة سريعة ، ويقال : عسل الذئب إذا مشىبسرعة .[٢٤٨]

● التاء : هذه التاء تبدل منها الهاء في الوقف [٢٤٩] ، وتزاد على الألفاظ للمبالغة في المعنى وتكثيره . قال ابن يعيش : " وتأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية وإنما أنثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف والغاية . ولتأكيد المبالغة الحاصلة بغير التاء كنسّابة ، وذلك لأن فعّالاً يفيد المبالغة بنفسه إذا دخلت عليه

---

٢٤٥. المنصف ،١: ١٦٧- ١٦٨؛ الممتع، ١ : ٢٧٠-٢٧١ ؛ النكت ، ٢ : ١١٣٤ ؛ المزهر ،٢ :١٥٦.

٢٤٦. الصاحبي ، ص : ١٠٢.

٢٤٧. شرح الشافية،٢: ٣٣٣.أنظر:شرح المفصل، ٦ :١٢٠؛المزهر،٢ : ١٥٦.

٢٤٨. النكت،٢: ١١٣٤.أنظر:شرح الشافية،٢: ٣٣٣؛ شرح المفصل،٦: ١١٨.

٢٤٩. المقتضب ، ١ : ٦٠.

التاء أفادت تأكيد المبالغة لأن التاء للمبالغة . " [٢٥٠] فعندما تقول : رجل علاّمة وراوية فأنت تريد المبالغة والدلالة على كثرة العلوم والروايات [٢٥١] ، "وذلك أن الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه ، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فجعل تأنيث الصفة إمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة ، سواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكراً أم مؤنثاً . " [٢٥٢] فقولك هو راوية يفيد أن روايته قد أصبحت أمراً عاماً مشهوراً أو على درجة بليغة من الاتصاف بالأمر، إذ ليس كل راوٍ راوية . ومن ذلك قولك : رجل لحّانة إذا كان كثير اللحن. [٢٥٣]فكل ما ختم بالتاء على وزن (فاعلة) مما لم يرد فيه تأنيث (فاعل) يدل على العموم والكثرة والشدّة والمبالغة .

---

٢٥٠. شرح المفصل، ٥ : ٩٨.أنظر: المنصف ،١ : ٢٤١ ؛الممتع ،١ : ١٣٠.

٢٥١. الأحاجي النحوية للزمخشري ، ص : ٤٢ . أنظر: الهمع ، ٦ : ٦٢ ؛ الأزهية ، ص: ٢٦١ ؛ الجمل في النحو للخليل بن أحمد ، ص : ، ٢٦٨ – ٢٦٩.

٢٥٢. الخصائص ، ٢ : ٢٠١.

٢٥٣. الجمل في النحو، ص : ٢٦٩.

ومن أمثلة مجيء التاء للمبالغة قوله تعالى:﴿بل الإنسان ، على نفسه بصيرة﴾[٢٥٤]، فزيادة التاء في (بصيرة) حملت على معنى المبالغة . [٢٥٥] وتزاد التاء للدلالة على كثرة الشيء في المكان ، " وذلك إذا أردت أن تكثر الشيء بالمكان وذلك قولك أرض مَسْبَعَة ومأسَدة ومذْأَبة . " [٢٥٦]

● الهاء : مما زيدت فيه الهاء للمبالغة هبلع وهو من البلع ويعني الرجل النهم الأكول ، وهجرع أي طويل مضطرب الخلق ، وقيل إنها مشتقة من الجرع وهو المكان السهل المنقاد . [٢٥٧] ومن ذلك هركولة وهي الناقة المهتزّة الأطراف والهاء فيها زائدة لأنها تركل في مشيتها وقيل هي المرأة الجسيمة ، وحكي عن الخليل أنه كان يقول: إن الهاء في هركولة زائدة . [٢٥٨] وذكر ابن عصفور هلقم للكثير اللقم [٢٥٩] مستدلاً عليه

---

٢٥٤. سورة القيامة ، الآية ١٤.

٢٥٥. الجمل في النحو ، ص : ٢٦٩ . أنظر: الأزهية ، ص : ٢٦١.

٢٥٦. الكتاب ، ٢ : ٢٤٩ ؛ شرح الشافية ، ١ : ٨٤-٨٥.

٢٥٧. المنصف،١ :٢٥ ؛ الممتع ، ١ : ٢٢٠ ؛ شرح الشافية ، ٢: ٣٨٣ ، ٣٨٥؛ أدب الكاتب ، ص : ٥٩٤.

٢٥٨. نفسه ، ١: ٢٥ – ٢٦؛ الممتع، ١ : ٢١٩ ؛ شرح الشافية، ٢ : ٣٨٥.

٢٥٩. الممتع ، ١ : ٢٢٠ .

بقول الراجز [٢٦٠] : هلقم يأكل أطراف النُّجد . وذكر بعضهم سلهب بزيادة الهاء مبالغة فيالطول ، والسلهب " هوالطويل من الخيل ، يقال : قرن سلهب أي طويل لقولهم في معناه سلب أي طويل ." [٢٦١]

وقد يزاد على اللفظ أكثر من حرف للمبالغة نحو اسلنطح ، يقال : " اسلنطح الشيء إذا انبسط وعرض ، وإنما أصله أسطح وزيدت فيه اللام والنون تعظيماً ومبالغة."[٢٦٢] ومن ذلك طِرِمّاح ، قال ابن فارس: " يقولون للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول طِرِمّاح ، وإنما أصله من الطرح وهو البعيد، لكنّه لما أفرط طوله سُمّي طرمّاحا."[٢٦٣] فزيدت هنا الميم والألف مبالغة وزيادة في القبح . ونظير ذلك قولهم : امرأة عنجرد " وهي المرأة الجريئة السليطة . وهذا معناه أنها تتجرّد للشرّ والعين والنون زائدة . " [٢٦٤]

ومن أمثلة زيادة حرفين بغرض المبالغة في المعنى هيذام ، وهو من الهذم أي

---

٢٦٠. أنظر اللسان (هلقم) ؛ الممتع ،١ : ٢٢٠.

٢٦١. شرح الشافية ، ٢ : ٣٨٥ ؛ شرح المفصل ، ١٠ : ٥.

٢٦٢. المقاييس ، ٣ : ١٥٩ ، ٤٥٧ ؛ ٥ : ١١٦.

٢٦٣. الصاحبي ، ص : ١٠٢ . أنظر : المقاييس ، ٢ : ٢٥٤.

٢٦٤. المقاييس ، ٤ : ٣٧٣.

الصرامة والقطع ، ومنه سيف هيذام أي شديد ، فزيدت الياء والألف للدلالة على الشدّة في القطع . وكذا الهرماس والفرناس وهما من أوصاف الأسد الشديد من الهرس والفرس وزيدت فيهما الزيادات لغرض ابراز الشدّة والمبالغة فيها . كذلك الترنموت وهو ترنّم القوس عند النزع ، والواو والتاء زائدتان للدلالة على إطالة الصوت . (٢٦٥) وزيدت النون والألف في حبنطىً ودلنظىً للغرض نفسه، يقال حبط بطنه إذا انتفخ وبالزيادة تعني الكبير البطن، وقالوا: دلظه بمنكبه إذا دفعه والدلنظى بالزيادة تعني الشديد الدفع . (٢٦٦)

هكذا ، وجرياً على عادتهم ، كان العرب يلجأون إلى الزيادة في أبنية الكلم كلّما رموا إلى إبراز المبالغة والتوكيد في المعنى . وما هذه الزيادات التي أشرنا إليها إلا تعبيرٌ عن الفكرة التي كانت ماثلة في أذهان علماء العربية ومؤداها أن أيّ تحوّل في بنية اللفظ لا سيما زيادة بنيته الأصلية ، يتبعه زيادة في معناه، وهو ما يكسب دلالته قدراً من المبالغة يتفاوت من حالةإلى أخرى تبعاً لمدى الانحراف عن الصورة الأصلية.

وطبّق العرب هذه الفكرة على الحيّز المكاني . ونقصد بذلك اسماء الإشارة المختصة بتحديد مكان المشار إليه بالنسبة للأبعاد الثلاثة : القريب والمتوسط والبعيد .

---

٢٦٥. شرح الشافية ، ٢ : ٣٣٤ ؛ الممتع ، ١ : ٢٧٠ ؛ المنصف ،١ : ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ؛ ٣ : ٢٢.

٢٦٦. المنصف ، ١ : ٤٩ ؛ الممتع ، ١ : ٥٥-٥٦ ؛ الكتاب ، ٢ : ٣٥١.

فجعلوا هنا وذا للقريب ، وهناك وذاك للمتوسط ، " فدلّوا بزيادة الكاف على المكان المنتحى إليه ." [٢٦٧] وجعلوا هنالك وذاك للبعيد ، " فأدخلوا اللام لتأكيد التباعد ، فيقولون هنالك كما يقولون ذلك ، ولا فرق بينهما في الاشارة غير أن هنالك وبابها إشارة إلى المكان وذلك إشارة إلى كل شيء . " [٢٦٨]

نرى هنا أنّ بُعد المشار إليه ، وما استتبع ذلك من زيادة في المسافة ، ترافق مع زيادة في حروف اسم الاشارة ليتناسب مع هذه الزيادة . فكلما خضعت المسافة للزيادة كثُرت حروف اللفظ الدال عليها . " فإذا أرادوا الاشارة إلى منتحٍ متباعد زادوا كاف الخطاب ، وجعلوه علامة لتباعد المشار إليه فقالوا ذاك ، فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام والكاف فقالوا ذلك واستفيد باجتماعهما زيادة في التباعد ، لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى . " [٢٦٩]

---

٢٦٧. شرح كتاب سيبويه ، ١ : ١٧٨.

٢٦٨. نفسه ، ١ : ١٧٨.

٢٦٩. شرح المفصل ،٣ : ١٣٥ . أنظر :الأشباه والنظائر، ١ : ٣١٤ حيث نقل السيوطي كلام ابن يعيش باختصار . ويسمّي الكوفيون تلك اللام التي تدخل على اسم الإشارة للدلالة على البعد وتوكيده لام التكثير وهي عندهم لم تزد هدراً وإنما أفادت فائدة . وهي عند سيبويه لتأكيد الإشارة. أنظر : اللاّمات للزجاجي ، ص : ١٤١-١٤٢ .

وفي ضوء هذا يمكن تفسير عدم اجتماع هاء التنبيه ولام البعد ، لأن اللام زيدت في أسماء الإشارة " لتدل على بعد المشار إليه ، فهي نقيضة ها التي للتنبيه ولذلك فلا تجتمعان، فلا يقال ها ذلك لأن ها تدل على القرب واللام تدل على بعد المشار إليه ، فبينهما تنافٍ وتضاد ." [٢٧٠] والمؤنث شأنه شأن المذكر لجهة تكثير الحروف للدلالة على البعد ، "وكما زادوا اللام مع المذكر لبعد المشار إليه فقالوا ذلك ، كذلك زادوها مع المؤنث فقالوا تلك وتالك . " [٢٧١] وبذلك ، فتحديد مكان المشار إليه يخضع لناموس الزيادة الأحرفية، ذلك أن زيادة بناء اسم الإشارة أدّى إلى مزيد من التباعد.[٢٧٢]

و تدخل هاء التنبيه على اسم الإشارة لغرض المبالغة : " فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في ايضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة وقالوا : هذا وهذه وهاته وهاتا وهاتي . " [٢٧٣] و يفصل أحياناً بين ها التنبيه وبين اسم الإشارة بضمير المشار إليه ،

---

٢٧٠. شرح المفصل،١٠: ٧ .أنظر: ٣ :١٣٦ حيث يقول: "هاء التنبيه واللام لا يجتمعان لأن ها للقريب واللام للبعيد ، والبعد والقرب معنيان متدافعان . "
أنظر: اللامات ، ص : ١٤٢ ؛ الهمع ، ١ : ٢٦٣.

٢٧١. شرح المفصل ، ٣ : ١٣٦ . وقد زيدت اللام في أولئك فقيل أولالك .
أنظر : اللامات ، ص : ١٤٢ ؛ المنصف، ١ : ١٦٥- ١٦٦؛٣ : ٢٦.

٢٧٢. شرح ابن عقيل ، ص : ٧١ — ٧٢.

٢٧٣. شرح المفصل ، ٣ : ٣٨.

نحو: ها أنا ذا وها نحن ذان وها أنت ذه . وقد تعاد هاء التنبيه بعد الفصل توكيداً نحو ها أنتم هؤلاء. [٢٧٤]

من مظاهر زيادة اللفظ لزيادة المعنى إلحاق الياء المشدّدة بالاسم للمبالغة والتوكيد وإشباع معنى الصفة، بحيث يزيد المعنىعن مجرد النسب.[٢٧٥]يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ فاتخذتموهم سخرياً ﴾[٢٧٦] : "السُخريّ بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر، إلاّ أن في النسب زيادة قوة في الفعل ." [٢٧٧] ومن ذلك قول الراجز [٢٧٨] :

والدهر بالإنسان دوّاريّ

أي دوّار . وقوله [٢٧٩] :

---

٢٧٤. شرح الأشموني ، ١ : ٦٦.

٢٧٥. الهمع ، ٦ : ١٧٤.

٢٧٦. سورة المؤمنون ، الآية : ١١٠.

٢٧٧. الكشاف ، ٢ : ٣٧٠.

٢٧٨. البيت للعجاج وهو في الخصائص ،٣: ١٠٤؛الهمع، ٦: ١٧٤؛الكتاب ،١: ١٧٠، ٤٨٥؛ الجمهرة ،٢ :١١٥١؛ المقتضب، ٣ : ٢٢٨، ٢٦٤،٢٨٩ ؛ شرح المفصل ، ١ : ١٢٣ ، ٣ : ١٣٩ .

٢٧٩. للعجاج وهو في الخصائص ، ٣ : ١٠٤.

غُضفٌ طواها الأمسَ كلاّبيّ

أي كلاّب . فالياء المشدّدة ، التي هي بمثابة يائين ، لم تلحق بدوّار وكلاّب بقصد النسب، بل لضرب من المبالغة في معنى الصفة. فهاتان الياءان "إذا الحقتا الصفة قوّتا معناها."[٢٨٠] ومن ذلك أحمريّ من أحمر وأشقريّ من أشقر ، فالياء إنما لحقت آخر الصفة لتقوية معناها " فلا يقال لهذه الأسماء إنها منسوبة ولا ليائها إنها ياء النسبة."[٢٨١]

وهكذا ، نجد في العربية ميلاً للزيادة بالياء المشدّدة لزيادة المعنى والمبالغة فيه . فقد قالوا: " في الغليظ الرقبة رقبانيّ ، زادوا الألف والنون للمبالغة دلالة على هذا المعنى وهو خارج عن قياس النسبة، ولذلك لا يستعمل إلا فيما استعملته العرب."[٢٨٢] ومن ذلك أيضاً قولك في طويل اللحية لحيانيّ ، وطويل الجمة (الشعر) جمّانيّ ، وفي كثير الشعر شعرانيّ . [٢٨٣] فالمعنى في كل ما مرّ يزيد عن معنى النسب إلى المبالغة.

ومما زيدت فيه الياء على سبيل المبالغة لا النسبة قولهم : الأذانيّ للعظيم الأذنين والرؤاسيّ للعظيم الرأس. كما قالوا : ستاهيّ لعظيم الأست وهو الستهم أيضاً ، إذ " قد

---

٢٨٠. الخصائص ، ٣ : ١٠٥.

٢٨١. شرح الشافية ،٢: ٤ .أنظر: الهمع،٦: ١٧٤.

٢٨٢. شرح المفصل ، ٦ : ١٢ . أنظر : الهمع ، ٦ : ١٧٣.

٢٨٣. الكتاب ، ٢ : ٨٩ ؛ المقتضب ، ٣ : ١٤٤ ؛ الهمع ، ٦ : ١٧٤.

يلحق يائي النسب أسماء أبعاض الجسد للدلالة على عظمها ، إما مبنيّة على فعال كأنافي للعظيم الأنف أو مزيداً في آخرها ألف ونون كلحيانيّ ورقبانيّ وجمانيّ للطويل اللحية. "(٢٨٤) وقيل إن ياء المبالغة هذه تلحق أواخر الكلمات للدلالة على نسبة الشيء إلى نفسه، فيكون المنسوب والمنسوب إليه بمثابة الشيء الواحد كأحمر واحمريّ ودوّار ودوّاريّ ، ووجه المبالغة أنهم لمّا رأوا المنسوب كاملاً في معناه ، ولم يجدوا شيئاً ينسبونه إليه أكمل منه في معناه نسبوه إلى نفسه . (٢٨٥)

ط . صيغ الجموع

يقوم مفهوم الجمع عند العرب على مبدأ الزيادة في المعنى تعتمد على الزيادة في البناء . وهذا المبدأ يتبدّى في صيغتي الجمع (فُعّل) و (فُعّال) ، لإفادتهما التكثير والمبالغة في المعنى ، إلى جانب جمع الجمع ، إذ جمع العرب بعض أبنية الجمع لتكثير العدد والمبالغة فيه.

---

٢٨٤. شرح الشافية ،٢ : ٨٤ . ويتابع الرضي كلامه للدلالة على أن اضافة هذه الياء تفيد المبالغة لا النسب:"وإذا سميت بهذه الأسماء ثم نسبت إليها رجعت إلى القياس، إذ لا تقصد المبالغة إذن. فتقول: جمّي ولحيّ على قول الخليل ولحوي على قول يونس . "

٢٨٥. نفسه ، ٢ : ٩ (الحاشية).

أولاً: فُعّل : يطّرد هذا الوزن جمعاً للوصف على وزن فاعل وفاعلة صحيح اللام. فجمعوا صائم وصائمة على صُوّم، وراكع وراكعة على رُكّع ، وساجد وساجدة على سُجّد . [٢٨٦] ويدل هذا الجمع على تكثير القيام بالفعل ، نحو: قولهم قوم رُحّل أي يرتحلون كثيراً.[٢٨٧] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخُنّس الجواري الكنّس﴾. [٢٨٨] فالخنّس والكُنّس هما اللاتي يخنّسن ويختفين كثيراً لا مرّة واحدة ، والتكثير يبدو جلياً وظاهراً في هذا الجمع . ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى﴾[٢٨٩] ، أي كانوا يكثرون من الغزو .

وهذا البناء يشبه بناء (فُعّل) الدال على الحركة والتكثير نحو قُلّب وحُوّل للسريع التقلّب والتحوّل . واتفاق الوزنين لا بد أن يومىء بتقارب المعنيين من حيث دلالتهما على المبالغة في القيام بعمل ما وتكثيره ، نحو قولك: رجل صُوّم وقوم صُوّم . فالأول يدل على كثرة قيام الرجل بفعل الصوم ، في حين يفيد الثاني اتصاف قوم بأداء فريضة الصوم على نحو متواصل ومتتابع .

---

٢٨٦. شرح ابن عقيل ، ص : ٥٤١.

٢٨٧. اللسان ، مادة (رُحّل).

٢٨٨. سورة التكوير ، الآية : ١٥ – ١٦.

٢٨٩. سورة آل عمران ، الآية : ١٥٦.

ثانياً : فُعّال : لا يختلف هذا الوزن عن (فُعّل) من حيث دلالته على التكثير والمبالغة في القيام بعمل ما . وهو يطّرد جمعاً لوصف صحيح اللام على فاعل للمذكر ، ويندر في فاعلة كصدّاد من صادّة . [٢٩٠] وهذا الوزن يدلّ على كثرة القيام بالفعل والمبالغة فيه كالقُرّاء والحُفّاظ والزُرّاع . وهؤلاء إذا لم يكثروا من القيام بالفعل ، لا نطلق عليهم هذا الجمع . فليس كل من يزرع هو من الزُرّاع حتى يكثر من ذلك ، ويتخذ الزراعة حرفة له. وكذا الأمر بالنسبة لحُفّاظ وقُرّاء ، تُطلقان على من كان قيامهم بالفعل واتصافهم به على نحو مستمر .

وينبغي التنبّه إلى أن (فُعّل) و (فُعّال) يختصان بتكثير القيام بالفعل ، لا بتكثير العدد. فلا نطلق على من حفظوا سورة واحدة حُفّاظاً ، ولا نطلق على من يقرؤون سورة واحدة قُرّاء مهما كَثُر عددهم. فصفة قُرّاء تطلق على أولئك الذين يكثرون القراءة والمتبحرين فيها دون الإلتفات إلى عدد القائمين بفعل القراءة قلّ أم كثر. فنحن نطلق على القُرّاء السبعة صفة قُرّاء مع أنهم قلة ، لأن لديهم قدماً راسخة وعلماً واسعاً في القراءات وأحكامها ، لا لأنهم يقرؤون القرآن . فهناك كثيرون يقرؤون القرآن دون أن يكثروا القراءة أو يلموا بأحكامها ويعرفون أمورها ودقائقها ، فنطلق عليهم قارئون لا قُرّاء .

ونظير ذلك قولك : قومٌ رُحّل . فهذه الصفة لا تطلق على قوم مهما بلغ عددهم ، إذا هم

---

٢٩٠. شرح ابن عقيل ، ص : ٥٤١.

لم يكثروا من الارتحال والتنقّل . فلا نطلق على من رحلوا مرّة أو مرّات قليلة رُحّل حتى يكثروا من الرحيل . ففُعّل إذن لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير القائمين به ، ونحو ذلك صُوَّم ورُكَّع وضُرَّب .

فالجمع السالم يدل على حدوث العمل والقيام بالحدث كالفعل ، في حين أن (فُعّال) و (فُعّل) يدلاّن على تكثير القيام بالفعل ، وإن كان عدد القائمين بالفعل يقع على أدنى الجمع. فأنت تطلق صفة قارئين أو راحلين على أولئك الذين يقرؤون سورة واحدة أو يرحلون مرة واحدة أو مرات عدّة مهما زاد عددهم، وتطلق صفة قُرّاء و رُحّل على أولئك الذين يقومون بالأمر على نحو كثير ويتصفون به مهما كان عددهم متدنياً .

ونشير إلى اتفاق (فُعّال) وهو وزن تكثير الجمع مع وزن المبالغة في المفرد . فتقول هو كُرّام وحُسّان ووضّاء [٢٩١] ، وهم قُرّاء وكُتّاب وحُفّاظ . ولا أرى ضيراً في ذلك ، إذ إن كلاً من الوزنين يفيدان المفهوم نفسه . وفي ضوء ذلك يمكن تفسير التشابه القائم بينهما ، لأن اتفاق المباني يوحي بتقارب المعاني . وقد يكون هذا الوزن منقول عن اسم الآلة (فُعّال) كالكُلاّب والخُطّاف ، وكأن من يتصفون بهذا الجمع آلة للقيام بالفعل لكثرة قيامهم به .

ثالثاً :جمع الجمع : جمع العرب بعض أبنية الجمع لتكثير العدد والمبالغة فيه .

---

٢٩١. المنصف ، ١ : ٢٤١.

قال ابن يعيش : " وإنما يجمعون الجمع إذا أرادوا المبالغة في التكثير والإيذان بالضروب المختلفة من ذلك النوع على تشبيه لفظ الجمع بالواحد ." [٢٩٢] فالجمع يجمع ليكثّر لأنه قد يشبّه بالواحد ، قالوا : نعم وأنعام وأناعيم ، وقول وأقوال وأقاويل. [٢٩٣] ويأتي جمع الجمع في جمع القلة وجمع الكثرة على حد سواء ، وهو في الأوّل أسهل لدلالته على القلة، فإذا أريد الكثير جمعوه ثانية . [٢٩٤]

وجمع الجمع عند جمهور النحاة ليس قياسياً بل سماعياً ، يقتصر فيه على المسموع ولا يتجاوز إلى غيره. لذا فكل ما ورد منه يحفظ ولا يقاس عليه .[٢٩٥] قال سيبويه : "واعلم أنه ليس كل جمع يجمع ." [٢٩٦] وذهب آخرون كالمبرد والرمّاني إلى قياس ذلك ، بيد أن أباحيّان النحوي الأندلسي ذهب إلى صحّة مذهب سيبويه لقلة ما حكي في هذا الباب . [٢٩٧]

---

٢٩٢. شرح المفصل ، ٥ : ٧٤.

٢٩٣. شرح جمل الزجاجي لابن هشام، ص:٤٢٧ ؛ الجمل ،ص : ٢٣.

٢٩٤. شرح المفصل ، ٥ : ٧٤.

٢٩٥. نفسه ، ٥ : ٧٤.

٢٩٦. الكتاب ،١ : ٢٠٠. أنظر: شرح الشافية، ٢ : ٢٠٨ ؛الأصول ، ٣ : ٣٢.

٢٩٧. الهمع ، ٦ : ١٢٥.

ولم تكتف العرب بجمع الجمع للمبالغة في الكثرة ، بل تعدّت ذلك إلى جمع جمع الجمع زيادة في المبالغة والتكثير . فقالوا : أصيل وأُصُل وآصال وأصائل .[٢٩٨] جاء في *الهمع* :" أما جمع جمع الجمع فأثبته الزجاجي، ومثله بأصائل ... وقال السهيلي: لا أعرف أحداً قال : جمع جمع الجمع غير الزجاجي وابن عزيز ." [٢٩٩] وقد أنكر نفرٌ من اللغويين ما ذهب إليه الزجاجي ، معتبرين ذلك ضرباً من تكلّف لا يضطر إليه.[٣٠٠]

وبعيداً عن جواز ذلك أو عدمه، نرى أنه من المفيد الإشارة إلى مفهوم الزيادة عند العرب. فهم أتوا بالجمع للدلالة على الكثرة، ثم أتوا بجمع الجمع للمبالغة في هذه الكثرة. وعندما أرادوا مزيداً من المبالغة والتكثير جمعوا جمع الجمع. وترافق ذلك مع زيادة في حروف اللفظ واكبت انتقاله من مرحلة إلى أخرى، وفي هذا يتجلّى مذهب العرب في الزيادة . فكل زيادة أصابت مبنى صيغة الجمع انعكست علىالمعنى زيادة في الدلالة على الكثرة.[٣٠١]

---

٢٩٨. الجمل ، ص : ٣٥٤ ؛ شرح الجمل ، ص : ٤٢٧ ؛ الهمع ، ٦ : ١٢٥.

٢٩٩. الهمع ، ٦ : ١٢٥.

٣٠٠. نفسه ، ٦ : ١٢٥.

٣٠١. جاء في المزهر،٢ :٨٩ أن (جمل) جُمعت ست مرات:" فإنهم جمعوا جملاً أجملاً، ثم أجمالاً ثم جاملاً، ثم جمالاً ، ثم جمالة ، ثم جمالات... جمالات جمع جمع جمع جمع الجمع.وليس في كلام العرب غيرها."

أودّ الإشارة إلى أن بعض صيغ جمع الجمع نحو رجالات وبيوتات باتت تستعمل للدلالة على النخبة من القوم ، وفقدت بذلك دلالتها على المبالغة في الكثرة . فقد قالوا : رجالات العرب وبيوتات قريش للإشارة إلى نفرٍ معين من الرجال أو عددٍ محدّد من البيوت ، دون الالتفات إلى العدد لجهة القلة أو الكثرة . وهذا ، فيما أرى ، لا يتناقض مع مفهوم المبالغة الذي تفيده هذه الصيغ . فرجالات أطلقت على هؤلاء الرجال لكثرة اتصافهم ببعض المزايا على نحو جعلهم متميزين عن غيرهم من الرجال . وبذلك، فلمّا بولغ في تمييزهم عن سواهم من رجال قريش ، أُطلق عليهم صفة رجالات. وكذا بيوتات، أطلقت على مجموعة من بيوت العرب لما تتحلّى به من صفات لا تتوافر في غيرها .

رأينا خلال ما مرّ معنا في ثنايا هذا الفصل أن أية زيادة أصابت المعنى ، رافقتها زيادة في اللفظ ترجمت تكثيراً في حروفه أو عدولاً فيه من حال إلى حال. يقول ابن جنّي: "ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى المعدول عن معتاد حاله . وذلك فُعال في معنى فعيل ، نحو طُوال ، فهو أبلغ معنى من طويل ، وعُراض فإنه أبلغ معنى من عريض ... فلمّا كانت فعيل هي الباب المطّرد وأريدت المبالغة ، عدلت إلى فُعال فضارعت فُعال بذلك فُعّالاً . والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله . أمّا فُعّال فبالزيادة، وأمّا فُعال فبالانحراف به عن فعيل ." (٣٠٢) فكل زيادة في المعنى

---

٣٠٢. الخصائص ، ٣ : ٣٦٧ – ٣٦٨.

أوجبت عدولاً في الصيغة من حال إلى حال، ذلك أنك في المبالغة لا بدّ أن تترك موضعاً إلى موضع أو تزيد في اللفظ مقابل الزيادة الطارئة على المعنى . " ومن ذلك أيضاً قولهم: رجل جميل ووضيء ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا : وُضّاء وجُمّال ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه . " (٣٠٣)

وقد دأب لغويو العرب على الحفاظ على هذا التوازن بين اللفظ والمعنى حين نظروا إلى تلك الزيادة من باب أن اللفظ كالقالب للمعنى لا يزيد عنه ولا ينقص . فجعلوا الزيادة في المعنى في مقابل الزيادة في اللفظ . لذا نراهم ينظرون إلى الصيغ التي تتضمن تكراراً لمقطع منها باعتبارها تنطوي على معنى الاستطالة والتكرار كصرصر وزلزل ، أو القوة والشدّة نحو دمكمك وصمحمح ، " وقد اتبعوا اللام في باب المبالغة العين ، وذلك إذا كررت العين معها في نحو دمكمك وصمحمح وعركرك وعصبصب وغشمشم ."(٣٠٤)وعلى هذا جاءت أمثلة ابن جنّي من نحو: (فعل/افتعل)، (فعل/افعوعل)، (فعل/فعّل) . فـ"العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة . " (٣٠٥) ذلك أن مقولة قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلاّ في نقل صيغة إلى صيغة أخرى أكثر منها حروفاً .

---

٣٠٣. الخصائص ، ٣ : ٣٦٦.

٣٠٤. الخصائص،٢ : ١٥.أنظر: الممتع ،١: ١١٥ ؛المنصف ،٣: ٣٠ – ٣١.

٣٠٥. الصاحبي ، ص : ٢٥٧ (باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة).

الفصل الرابع

الزيادة في الجملة

يقابل الزيادة التي تطرأ على اللفظ بغية تكثيره والمبالغة فيه ، زيادةٌ تقع في الجملة ترمي إلى تأكيد معناها ، أي تمكينه في النفس وتقوية أمره وإزالة أي شك يعتريه. ولا مناص من الإشارة أولاً إلى أن كثيراً من التراكيب اللغوية التي يُبوّب لها في كتب اللغة والنحو، يُقتصر فيها على بعض الوجوه التي تؤدّيها دون أُخرى . فنجد أنّ كثيراً من أساليب القول في العربية تفيد تأكيد مضمون الجملة ، إلى جانب دلالاتها المعروفة بها. ومن ثم فإن من الممكن أن نجد أن التركيب الذي يفيد القسم أو القصر، مثلاً، يفيد التوكيد في الآن نفسه . فللتوكيد أنماط تعبيرية متنوعة ، تُؤدّى بالأداة تارةً ، وبغيرها تارةً أخرى. وتختلف هذه الأنماط من حيث قوة دلالتها على التوكيد .

لقد بوّب علماء العربية لأسلوب التوكيد ، وعرضوا له بفرعيه المعنوي واللفظي . في حين أن لغتنا تملك ، إلى التوكيد ، أنماطاً وتراكيب مختلفة ترمي إلى تقوية المعنى ، إذ تخرج هذه التراكيب عن دلالتها الرئيسية ، لتفيد التوكيد وتؤدّي دلالته . " وليس التكرار - وهو ما قصروا العناية عليه - هو كل ما في التوكيد من صور التعبير ، فللتوكيد صور أخرى لها مجال أوسع من إعادة اللفظ نفسه بتكراره...لا أزعم أنهم كانوا

يجهلونها ، ولكني أزعم أنهم تجاهلوها ، لأنها لا تحقق لهم هدفاً ، ولا تظهر لهم براعة ، وليس لها صلة بالعامل الذي كان له نفوذ لا يقاوم على أساليب تفكيرهم . " [١]

هذه التراكيب وردت في سياقات ومباحث نحوية متفرّقة ، نُصّ على مجيئها توكيداً أحياناً ، ولم يُشر إلى ذلك أحياناً أخرى . بيد أني لم ألفِ باباً في أحد كتب اللغة أو النحو، قديمها وحديثها - فيما أعلم - جمع كل ما يفيد التوكيد من أساليب . ذلك أنّ موضوع التوكيد بوصفه أسلوباً أو معنى عاماً من معاني الكلم لم يستحوذ على اهتمام لغويي العرب ونحاتهم بما هو جدير به . فللتوكيد طرائق مختلفة ، وأدوات مختلفة ، غير أنه لم ينل ما يستحق من عناية ودراسة لازمين . [٢] وقد يكون مرد ذلك إلى تعدد أساليب القول التي تفيد التوكيد ، على نحو يجعل جمعها لتنضوي تحت باب واحدٍ أمراً عسيراً .

تأسيساً على ذلك ، كان الهدف الذي رمينا إليه في هذا الفصل استقصاء التراكيب التي تؤدي دوراً توكيدياً ، والتي بقيت متفرّقة ومكنونة في أمهات كتب اللغة والنحو، وجمعها تحت دلالة التوكيد . فحاولت ، وأرجو أن أكون قد وُفّقت إلى ذلك ، جمع أشتات هذه التراكيب المبعثرة في هذا الكتاب أو ذاك ، على نحو يجعل من دلالة التوكيد الجامع الذي يوحّد بينها . ولا يخفى أنّ هذا يسهم في كشف حقيقتها وجمع أنماطها ونماذجها ،

---

١. في النحو العربي لمهدي المخزومي ، ص : ٢٣٥.

٢. نفسه ، ص : ٢٣٤ ، ٢٣٦.

فلا يبقى الجانب الذي اعتنى به النحاة في التوكيد يقوم على تكرار اللفظ بلفظه أو معناه.

وسنعرض لهذه الأساليب على نحو يبرز دلالتها على التوكيد ، ويوضح خروجها عن وظيفتها الأساسية التي جُعلت لها ، لتؤدي دوراً في تقوية المضمون الذي تأتي به . وسنبدأ بأسلوب التوكيد لأنه أكثر تلك الأساليب دلالة على ترسيخ المعنى وتمكينه في نفس السامع .

أ. التوكيد

هو تثبيت الشيء في النفس ، وتقوية أمره . والغرض منه إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك ، وإحاطة ما خالجه من شبهات ، " ذلك أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له." [٣] وجاء في *المقرّب* أن " التوكيد لفظ يُراد به تمكين المعنى في النفس ، أو إزالة الشك عن الحديث أو المحدّث عنه . " [٤] ويتحقق هذا بتكرار اللفظ المراد توكيده ، أو إضافة ألفاظ مُتفق حول دلالتها على التوكيد. و التوكيد عند

---

٣. الخصائص ، ٣ : ١٠١.

٤. المقرّب لابن عصفور ، ص:٢٦١ . يقول الرضي في شرح الكافية ، ١: ٣٢٨-٣٢٩:" فالغرض الذي وضع له التأكيد أحد ثلاثة أشياء . أحدها أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه ، وثانيها أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط ،... والغرض الثالث أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوّزاً ."

سيبويه على ضربيْن : مكرر وغير مكرر . [٥] وأطلق عليه من جاء بعده التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي .

١ .التوكيد اللفظي

هو الذي يراد به تمكين المعنى في النفس . يقول الزمخشري: "جدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قرّرت المؤكَّد ، وما علق به في نفس السامع ، ومكّنته في قلبه ، وأمطّت شبهةً ربما خالجته أو توهّمت غفلة أو ذهاباً عما أنت بصدده فأزلته."[٦] ويتم ذلك بإعادة اللفظ المراد تأكيده . ويقع هذا الضرب من التوكيد في كل كلام يراد توكيده ، ذلك أن " التأكيد بتكرير اللفظ ليس عليه باب يحصره ، لأنه يكون في الأسماء والأفعال والحروف والجمل وكل كلام تريد تأكيده ." [٧] ومن أمثلة توكيد الاسم قول الشاعر : [٨]

مُرّ إنّي قد امتدحتُك مُرّا واثقاً أن تُثيبَنــي وتُــسرّا

---

٥. الكتاب ، ١ : ٣١٥.

٦. المفصل ، ص : ٥٢ – ٥٣.

٧. شرح المفصل ،٣ :٤١ . أنظر: المفصل ، ص :٥٢ ؛ الأصول ،٢ :١٩؛ أسرار النحو ، ص : ١٦٦ ؛ الهمع ، ٥ : ٢٠٦؛ شرح الكافية ،١: ٣٣١.

٨. البيتان لأعشى همدان.أنظر:المفصل ،ص:٥٢ ؛ شرح المفصل ، ٣: ٣٩ .

مُرَّ يا مرَّ مُرّةَ بن تُليدِ   ما وجدْناكَ في الحوادثِ غُرّا

أنظر هنا كم مرّة كرر الشاعر اسم (مُرّة) الممدوح على إرادة التوكيد، وبغرض تقرير المدح والتذكير باسم الممدوح منعاً للسهو أو النسيان. ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾.[٩] فتكرير هيهات لتأكيد بعدان التصديق والصحة والوقوع لما كان يوعدون من البعث . فزيادة اللفظ عبر تكراره في الأمثلة السابقة أفادت تقوية المعنى . فقولك :هذا زيدٌ يختلف عن قولك : هذا زيدٌ زيدٌ الذي ينطوي على زيادة في المعنى مبعثها تكرار لفظ (زيد) . ومن أمثلة توكيد الفعل قول الشاعر [١٠] :

فأينَ إلى أينَ النَّجاةُ بِبَغْلَتي   أتاكِ أتاكِ اللاحقونَ احْبِسِ احْبِسِ

ومن أمثلة توكيد الحرف قوله تعالى : ﴿ وأمّا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها﴾.[١١]

وقول الشاعر [١٢] :

---

٩. سورة المؤمنون ، الآية : ٣٦.

١٠. قائل البيت مجهول. وهو في الهمع ، ٥ : ١٤٥؛شرح الأشموني،١ : ٢٠١؛ الخصائص ، ٣ : ١٠٣؛ أوضح المسالك لابن هشام ، ٢ : ٢٤ ؛ شرح ابن عقيل ، ص: ٤١٢ ؛ شرح الكافية ،١ : ٣٣٢.

١١. سورة هود ، الأية : ١٠٨.

١٢. البيت لجميل بن مَعْمَر وهو في الهمع، ٥ : ٢٠٨ ؛ شرح الأشموني ، ٢ : ٤١١ ؛ أوضح المسالك ، ٣ : ٢٥ ؛ شرح الكافية ، ١ : ٣٣٢.

لالا أبوحُ بحبٍّ بَثْنَةَ إنّها   أخذَتْ عليَّ مَواثِقاً وعُهوداً

ويجمع النحاة على أنه إذا أُريد توكيد الحرف الذي ليس للجواب، وجُب إعادة الحرف المؤكِّد مع ما اتصل بالمؤكَد لا سيما إذا كان عاملاً، مع ضرورة الفصل بينهما.(١٣) أمّا حروف الجواب نحو(نعم) و(لا) فجائز توكيدها مفردة دون اتصالها بشيء.(١٤) وقد شذ ورود حرف غير جوابي مكرراً دون اتصاله بعامله .(١٥)نحو قول الشاعر (١٦) :

فلا والله لا يُلْفىَ لِما بي   ولا لِلِما بِهِمْ أبداً دواءُ

ولمّا لم يجز الفصل بين حرف الجر والمجرور،كان لا مندوحة من تكرارهما معاً، نحو :

---

١٣. الأصول ،٢: ٢٠ ؛ المقرّب ، ص: ٢٦١ ؛ الهمع ، ٥ : ٢١٠ ؛ شرح الأشموني،٢ : ٤١١ ؛ شرح ابن عقيل،ص: ٤١٣؛أوضح المسالك٣: ٢٧.

١٤. الهمع ، ٥ : ٢١٠ ؛ شرح الأشموني ، ٢ : ٤١١ ؛ أوضح المسالك ، ٣ : ٢٦ ؛ شرح ابن عقيل ، ص : ٤١٣.

١٥. المقرّب ،ص: ٢٦١؛ الهمع ،٥: ٢١٠.لا تجوز إعادة حرف غير جوابي وحده دون فصل إلا في الضرورة. أورد الزمخشري : إنّ إنّ زيداً قائم . أنظر:المفصل، ص: ٥٣؛ شرح المفصل، ٣ : ٤١ ؛ الهمع ،٥: ٢١٠.

١٦. قائل البيت مسلم بن معبد الوالبي . والشاهد في المغني ،١ : ١٠٤، ٢٠٦ ؛ ٢ : ٤٠٨ ؛أوضح المسالك ،٣ : ٢٩ ؛ شرح الأشموني ،٢ : ٤١٠ ؛ شرح المفصل ، ٨ : ٤٣ ؛١٠ : ١٥ ؛ المقرب ، ص : ٦١ ؛ الإنصاف ، ٢ : ٥٧١ ؛ الخصائص ، ٢ : ٢٨٢ ؛ سر الصناعة ،١ : ٣٣٢.

مررت بك بك ، ورغبت فيه فيه.[١٧] وقد يتكرر الضمير وحده عوضاً عن الاسم الظاهر نحو: مررت بزيد به وحده.[١٨]

ومن أمثلة توكيد الجملة قول الشاعر [١٩] :

قُمْ قائماً قُمْ قائماً   إنَّك لا ترجعُ إلاّ سالِماً

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنّ مع العسر يسرا ، إنّ مع العسر يسرا ﴾. [٢٠] فأعيدت الجملة نفسها بغرض التوكيد وزيادة المعنى . وقد تتكرر الجملة مع اقترانها بحرف عطف لا سيما (ثم)، وجعل بعضهم الفاء كثم. [٢١] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ [٢٢] ، وقوله :﴿وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما

---

١٧. شرح ابن عقيل ، ص : ٤١٢. عدّ الزمخشري (بك) الثانية في قوله نحو : مررت بك بك بدلاً لا توكيداً غير أن الرضي أنكر ذلك . أنظر: المفصل ، ص : ٥٨ ؛ شرح الكافية ، ١ : ٣٣٢.

١٨. الهمع ، ٥ : ٢١١.

١٩. قائله مجهول . والشاهد في الهمع،٥: ٢٠٨؛الخصائص،٣: ١٠٣.

٢٠. سورة الشرح ، الآية : ٥-٦.

٢١. يجب عدم اقتران الجملة بالعاطف عند إيهام التعدد ، نحو: ضربت زيداً ضربت زيداً .أنظر: أوضح المسالك ، ٣ : ٢٤.

٢٢. سورة القيامة ، الآية : ٣٤-٣٥.

يوم الدين﴾. [٢٣] والعطف هنا صوري لا وظيفة له ، فبين الجملتين، المؤكَّدة والمؤكِّدة، اتصال واتحاد تام وكامل ، وإلاّ كانت تبعية اللاّحق لما سبقه قائمة على العطف لا على التوكيد . وقد يأتي التكرير غير مقترن بعاطف نحو ما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ والله لأغزونّ قريشاً، والله لأغزونّ قريشاً، والله لأغزونّ قريشاً﴾.

نختم الكلام عن التوكيد اللفظي بما أورده ابن كمال باشا حول فائدة هذا النوع من التوكيد، قال: "فائدة التوكيد اللفظي إزالة الشك عن السامع، فإن ظننت أن السامع التبس عليه الفعل كررت الفعل، وإن ظننت أنه التبس عليه الفاعل كررت الفاعل، وإن ظننت أنه التبس عليه الفعل والفاعل معاً كررت الفعل والفاعل ." [٢٤]

٢. ***التوكيد المعنوي***

هذا الضرب من التوكيد يكون بتكرير المعنى دون لفظه، ويرجى منه إزالة الشك عن المحدّث عنه .[٢٥] وهو يتحقق بإعادة اللفظ المراد توكيده بأحد الألفاظ التي وضعتها العرب لذلك . فلهذا النوع من التوكيد ألفاظ محصورة ومبوّب لها في معظم كتب

---

٢٣. سورة الانفطار ، الآية : ١٧.

٢٤. أسرار النحو لابن كمال باشا ، ص : ١٦٦.

٢٥. الهمع ، ٣ : ٩٦.

النحو واللغة- وهي للواحد المذكر: نفسه وعينه وكلّه وأجمع وأكتع ، وقد يقال: أبصع وأبتع.وللمؤنّث الواحد ما يناسبه من تلك الألفاظ ،وكذلك للمثنى والجمع.(٢٦)

والمراد بالنفس والعين حقيقة الشيء ذاته ، وهما بمعنى الذات، " فيؤكد بهما ما ثبتت حقيقته . " (٢٧) ويمكن الجمع بينهما على أن تقدم النفس على العين لأن للنفس الرتبة على العين لأنها عبارة عن جملة الشيء والعين مستفادة في التعبير عن الجملة . (٢٨) "وفائدة التأكيد المعنوي بالنفس والعين رفع توهّم السامع أن المتكلّم تكلّم بطريق المجاز، نحو: بنى الأمير المدينة ، وإنما بناها من أمره بناها ، وإذا قيل : بنى الأمير نفسه أو عينه ارتفع ذلك الاحتمال . " (٢٩)ويضافان لضمير المؤكَّد المطابق له إفراداً وتذكيراً وفروعهما، نحو: حضر زيدٌ نفسه، وهند نفسها ، والزيدون أنفسهم، والهندات أنفسهن.(٣٠)

---

٢٦. المقرّب، ص : ٢٦٢ ؛ الجمل ، ص: ٣٣ ؛ شرح المفصل ، ٣ : ٤٠.

٢٧. شرح المفصل،٣: ٤٠ .أنظر: الهمع ،٥ : ٩٧.جاء في الأصول، ٢: ٢٠: "فحق هذا أن يتكلم به المتكلم في عقب شك منه ومن مخاطبه فتقول:مررت بزيد نفسه كما تقول: مررت بزيد لا أشك، ومررت بزيد حقاً لتزيل الشك."

٢٨. الهمع ، ٥ : ٢٠١.

٢٩. أسرار النحو ، ص : ١٦٦.

٣٠. الهمع ، ٥ : ١٩٧ ؛ شرح ابن عقيل ، ص : ٤٠٨.

أمّا (كل) و (اجمع) فيراد بها العموم والإحاطة ، ورفع توهّم عدم إرادة الشمول[٣١]، فلا يؤكد بهما إلا ما يتبعّض ويتجزأ بذاته أو بعامله . فمن الأول النقود لأنها تتبعّض مع كل عامل . ومن الثاني قولك : رأيت زيداً كله، إذ يمكن أن يتبعّض زيدٌ مع العامل (رأى) ولا يتبعّض مع العامل (تكلّم) أو (جاء) ،فلا يقال : جاء زيد كله ويقال : رأيت زيداً كله لإمكان رؤية بعض زيد واستحالة مجيء بعضه . [٣٢]

ومما يستعمل من ألفاظ التوكيد للدلالة على الشمول لفظ (عامّة)، " وفاعله من عمّ في التوكيد ." [٣٣] تقول : جاء الجيش عامته ، والقبيلة عامتها ، والزيدون عامتهم، والهندات عامتهن . وأنكر المبرد أن تكون (عامّة) من ألفاظ التوكيد ، وعدّ ابن مالك ذلك سهواً أو جهلاً ، ذاكراً أن سيبويه عدّها بمنزلة (كل) معنى واستعمالاً.[٣٤] ويستعمل في الجمع ومافي معناه (كل) و(جميع) و(عامة) و(أجمع) و(أكتع) و(أبصع) و(أبتع). ويجب

---

٣١. شرح المفصل ،٣ : ٤٠ .أنظر: أسرار النحو ١٦٦ حيث يقول ابن كمال:"وفائدة التأكيد بالكل وأخوته دفع توهم وضع الأعم موضع الأخص كذكر الكل وإرادة البعض مجازاً ، نحو : جاءني القوم يتوهم أن المراد به البعض ، فإذا قيل كلهم وأخوته ارتفع ذلك الاحتمال ."

٣٢. الهمع ، ٥ : ١٩٩.

٣٣. شرح الأشموني ، ٢ : ٤٠٥ .أنظر: شرح ابن عقيل ، ص : ٤٠٩.

٣٤. الهمع ، ٥ : ١٩٩.

إضافة هذه الألفاظ إلى ضمير مطابق للمؤكَّد تذكيراً وتأنيثاً ، تثنيةً وجمعاً باستثناء أجمع.[٣٥]

وهذه الألفاظ مرتّبة استناداً إلى درجة توكيدها . قال ابن يعيش : " الأسماء التي يؤكد بها مرتبة، فبعضها مقدم فنفسه وعينه مقدّمان على كل لأنهما أشد تمكناً في الاسمية من كل على ما تقدم وكل مقدمة على أجمع لأن كلاً تكون تأكيداً وغير تأكيد وأجمع لا تكون إلاّ تأكيداً ... وأما ما بعد أجمع فتوابع لا تقع إلا بعدها فأكتع تابع لأجمع يقع بعده كقولنا : حسن بسن وأبصع تابع لأكتع يقع بعده ." [٣٦] وأطلق ابن كيسان الحرية للمتكلم أن يأتي بما شاء من ألفاظ التوكيد بعد أجمع دونما أي ترتيب . [٣٧] غير أنّ نفراً من النحاة أجازوا استعمال هذه الألفاظ دون أدنى ترتيب جاعلين " هذه الأشياء كلها تواكيد ومعناها كمعنى أجمع فأيها شئت قدّمت وبأيها شئت أكّدت ." [٣٨]

---

٣٥. الهدف من الإتيان بهذا الضمير هو الربط بين المؤكِّد والمؤكَّد .أنظر: شرح الأشموني ، ٢: ٤٠٤.

٣٦. شرح المفصل،٣: ٤٦.أنظر:المقرّب، ص: ٢٦٣؛ الأشباه والنظائر، ٢ : ٢٣٠ ؛ المفصل ، ص: ٥٤ ؛ الهمع ، ٥ : ٢٠١؛ شرح الكافية،١ : ٣٣٦.

٣٧. شرح المفصل،٣: ٤٦.أنظر:أسرار النحو، ص:١٦٧؛شرح الكافية،١: ٣٣٦.

٣٨. شرح المفصل ، ٣ : ٤٦.

يظهر لنا من خلال مبحث التوكيد أنّ زيادة التوكيد وتقويته كان يتبعها زيادة في ألفاظ الجملة ، ومن ذلك جواز اتباع كله باجمع وكلها بجمعاء وكلهم باجمعين وكلهن بجمع . [٣٩] ونمثّل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [٤٠] ، "وفائدة ذكر كل رفع وهم من يتوهم أن الساجد البعض ، وفائدة ذكر أجمعون رفع وهم من يتوهم أنهم لم يسجدوا في وقت واحد بل سجدوا في وقتيْن مختلفيْن." [٤١] و من الممكن التوكيد بهذه الألفاظ دون أن تتقدمها (كل) نحو قوله تعالى: ﴿ ولأغوينّهم أجمعين ﴾. [٤٢] " لأن اغواء الشيطان لهم ليس في وقت واحد ، فدلّ على أنّ أجمعين لا تعرض فيه لاتحاد الوقت . وإنما معناه كمعنى كل سواء."[٤٣]ومن ذلك قوله تعالى:﴿فوربك لنسألهم أجمعين﴾.[٤٤]غير أن ذلك قليلٌ.[٤٥]

---

٣٩. أوضح المسالك ، ٣ : ٢٢.

٤٠. سورة الحجر ، الآية ٣٥.

٤١. شرح شذور الذهب لابن هشام ، ص : ٤٣١.

٤٢. سورة الحجر ، الآية : ٣٩ ؛ سورة ص ، الآية : ٨٢.

٤٣. شرح شذور الذهب، ص : ٤٣١.

٤٤. سورة الحجر ، الآية : ٩٢.

٤٥. شرح الأشموني ، ٢ : ٤٠٥ .

ب. الجملة المعترضة

تأتي الجملة المعترضة لتفيد معنى التوكيد أو التوضيح والتفسير.يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلامٌ،ولا يكون المعترض إلا مفيداً."[٤٦] وهذه الجملة ترد " بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً أو تحسيناً ." [٤٧] من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ فإذا تطهّرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾.[٤٨] فجملة(نساؤكم حرث لكم) تفسير لجملة (من حيث أمركم الله) ، "أي أن المأتيّ الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، دلالة على أن الغرض الأصلي من الإتيان طلب النسل لا محض الشهوة. وقد تضمنت

---

٤٦. الصاحبي ، ص : ٢٤٥.

٤٧. المغني ،٢ : ٤٤٦.أحصى ابن هشام المواضع التي تقع فيها الجملةمعترضة بين الشيئين المتلازمين: الفعل ومفعوله، والفعل وفاعله، والمبتدأ والخبر، وما أصله المبتدأ والخبر ، والشرط وجوابه ، والقسم وجوابه، والموصول وصلته ، وأجزاء الصلة ، والمتضايفين، والجار والمجرور ، والحرف الناسخ وما دخل عليه ، والحرف وتوكيده ، وقد والفعل، وحرف النفي ومنفيه،وحرف التنفيس والفعل ، والجملتين المستقلتين. أنظر: المغني، ٢ : ٤٤٦ – ٤٥٣ ؛ الخصائص١ : ٣٣٦–٣٤٠ ؛ الهمع ،٤: ٥١–٥٤.

٤٨. سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ ، ٢٢٣.

هذه الآية الاعتراض بأكثر من جملة . " [٤٩] وجملة (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) جملة معترضة بين المفسِّرة والمفسَّرة . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾.[٥٠] فجملة (لهم مغفرة) زيدت ههنا لتأكيد الموعود به وتفسيره وإيضاحه. ومما جاء في الشعر قول الشاعر [٥١] :

لَعَمْري ، وما عَمْري عليَّ بهيّنٍ لقد نطَقَتْ بُطلاً عليَّ الأقارِعُ

قال الثعالبي : " فقوله وما عمري عليّ بهيّن حشوٌ يتمّ الكلام بدونه ، ولكنَّه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد ." [٥٢] ومنه قول آخر [٥٣] :

إنّ الثمانين ، وبُلّغتَها قد أحوجَتْ سَمْعي إلى تَرْجُمان

فقوله : وبلّغتها جملة اعتراضية مستغنى عنها ، إذ إن إسقاطها لا يفسد المعنى ، "ولكنه

---

٤٩. المغني ، ٢ : ٤٥٣.

٥٠. سورة المائدة ، الآية :٩.

٥١. قائل البيت النابغة الذبياني والشاهد في فقه اللغة وسر العربية ، ص : ٣٦٨ ؛ المغني ، ٢ : ٤٤٩.

٥٢. فقه اللغة وسر العربية، ص : ٣٦٨.

٥٣. البيت لعوف بن محلِّم . الشاهد في فقه اللغة وسر العربية ، ص : ٣٦٨ ؛ المغني ،٢ : ٤٥٦،٤٤٧ ؛ الهمع ،٤: ٥٥ ؛ شرح الشذور، ص : ٤٥.

حسن في مكانه وأوقع في المعنى المقصود . وكان ابن عبّاد يُسمّي هذا الحشو حشو اللّوزينج ، لأن حشو اللوزينج خيرٌ من خبزته."[٥٤]

والاعتراض كثير في العربية ، وقد أفرد له ابن جني باباً في الخصائص قال فيه: "اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام . وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم . ولا يستنكر عندهم أنيعترض به بين الفعل والفاعل ، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره، إلا شاذاً أو متأوّلاً ." [٥٥]

ونشير إلى أن الجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب ، "ذلك أن الاعتراض لا موضع له من الإعراب، ولا يعمل فيه شيء من الكلام المعترض به بين بعضه وبعض على ما تقدّم ." [٥٦] فيؤتى بها في أثناء الكلام بين معنيين متصلين لإفادة زيادة في غرض المتكلم ليكون الكلام أكثر تأكيداً وتسديداً ، "وشرطها أن تكون مناسبة الجملة المقصودة بحيث تكون كالتأكيد ، أو التنبيه على حال من أحوالها ." [٥٧]

---

٥٤. فقه اللغة وسر العربية ، ص : ٣٦٨.

٥٥. الخصائص ،١ : ٣٣٥.

٥٦. نفسه ،١ : ٣٣٧.

٥٧. الهمع ، ٤ : ٥١.

جـ. الاتباع

يُعدّ الاتباع إحدى ظواهر التوكيد . وهو عند اللغويين صورة من صور الإبدال اللغوي . فقد وجد لغويو العرب أن الكثير من صور الإبدال يمكن إدراجها تحت باب الاتباع .ويعرّف ابن فارس الاتباع بقوله :"هو أن تتبع الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً ."(٥٨) ويقسم الاتباع إلى ضربين ؛ الأول يكون فيه الثاني أي اللفظ التابع بمعنى الأول ، فيؤتى به توكيداً لأن لفظه مخالف للفظ الأول ، ومن ذلك قولهم : رجل قسيم وسيم وكلاهما بمعنى الجميل ، وضئيل بئيل فبئيل بمعنى الضئيل ، وجديد قشيب والقشيب هو الجديد ، ومضيع مسيع والإساعة هي الإضاعة . (٥٩) والضرب الثاني يكون فيه معنى اللفظ الثاني مختلف عن معنى الأول ، نحو : عطشان نطشان ، وحاريار ، وجائع نائع ، وحسن بسن . فالكلمة الثانية هنا تابعة للأولى على سبيل التوكيد ، فلا يتكلم بها منفردة . (٦٠) ونقل السيوطي عن الكسائي قوله : " حار من الحرارة ، ويار إتباع ،

---

٥٨. الصاحبي، ص: ٢٦٣. نقل هذا التعريف بحرفيته الثعالبي دون أن يعزوه إلى ابن فارس. أنظر: في فقه اللغة ، ص : ٣٤٩. وأورد السيوطي هذا التعريف في المزهر منسوباًلابن فارس.أنظر:المزهر، ١: ٤١٤.

٥٩. المزهر، ١ : ٤١٦.

٦٠. جاء في المزهر،١ : ٤١٦: " وقال القالي في أماليه: الإتباع على ضربين: ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول ، فيؤتى به توكيداً، لأن لفظه مخالف للأول ، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول."

كقولهم : عطشان نطشان ، وجائع نائع ، وحسن بسن ، ومثله كثير في الكلام ، وإنما سمي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التأكيد لها ، وليس يتكلم بالثانية منفردة ، فلهذا قيل اتباع ." (٦١)

إنّ هذا الأسلوب يقوم على اتباع كلمة بأخرى على وجه التأكيد لا غير ، وقد تكون الكلمة التابعة لا معنى لها في ذاتها . يقول ابن جنّي :" ولهذا وقع الاتباع في كلامهم ، نحو قولهم : شيطان ليطانٌ ، لأنهم أرادوا أن يؤكدوا الكلام ، فكرهوا إعادة اللفظة بعينها، فغيّروا بعض حروفها، وتركوا الأكثر، ليُعلموا أنهم في توكيد الأوّل . "(٦٢)

فالاتباع إذاً ضربٌ من التوكيد يقصد منه تقوية المعنى ، وهذا ما دفع ابن فارس إلى تشبيهه بأوتادٍ تَتِد به العرب كلامها . (٦٣) ولم يفلح علماء العربية في تفسير الكثير من المفردات التي أتت في الإتباع نحو ياروبسن ، و تجرأ هؤلاء على الإقرار بجهلهم

---

٦١. المزهر ، ١ : ٤١٥.

٦٢. المنصف ، ٢ : ٣٢٥.

٦٣. الصاحبي،ص : ٢٦٣. أورد ابن جنّي في المنصف ،٢ : ٣٢٥-٣٢٦." أنه سأل بعضهم عن قولهم:" شيطان ليطان " ما معنى "الليطان" ؟ فقال : شيء نتدُ به كلامنا ، فهذا تصريح منهم بالغرض المطلوب ."

معاني هذه المفردات . [٦٤] وبما أن العرب لم تضع شيئاً سدى على حد قول السبكي ، فذلك يعني أن الهدف من إنشاء هكذا تراكيب إنما هو التوكيد وليس شيئاً آخر . وجهل علماء اللغة لها لا يعني أنه ليس لها معنى بل يجوز لها أن له معنى لا يعرفونه.[٦٥]

ويوضح لنا تاج الدين السبكي الفرق بين معنى التقوية في الإتباع ومعناها في التأكيد، فيقول :"والفرق بينه [الإتباع] وبين التأكيد أن التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز، وأيضاً فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع ، والتأكيد لا يكون كذلك."[٦٦] ويزيد ابن الدهان :" وزعم قوم أن التأكيد غير الإتباع ، واختلف في الفرق، فقال قوم : الإتباع منه ما لم يحسن فيه واو نحو : حسن بسن وقبيح شقيح. والتأكيد يحسن فيه الواو نحو حِلّ وبِلّ . "[٦٧]

---

٦٤. جاء في المزهر ، ١ : ٤١٥: " وقال الآمدي : التابع لا يفيد معنى أصلاً ، ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن، فقال: لا أدري ما هو ." أنظر : الجمهرة ، ٣ : ١٢٥٣.

٦٥. نقل السيوطي في المزهر، ١ : ٤١٦ . قول السبكي : " والتحقيق أن التابع يفيد التقوية، فانّ العرب لا تضعه سُدىً. وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ ، بل مقتضى قوله: إنه لا يدري معناه أن له معنى، وهو لا يعرفه."

٦٦. المزهر ،١ : ٤١٦.

٦٧. المزهر ،١ : ٤٢٥.

إنّ الإتباع ، كما رأينا ، لا يزيد معناه عن التقوية والتأكيد . وهو يقوم على ابتكار تركيب ليس له في الغالب معنى معروف أو شائع ، من قبيل الإيقاع الصوتي أو اللفظي بهدف تقوية المعنى وتقريره ، وإن كان يختلف عن هذا التوكيد في نواح عدّة إلاّ أنه "داخل في حكم التوكيد عند الأكثر ، والدليل على ذلك كونه توكيداً للأول غير مبيّن معنى بنفسه عن نفسه ، كأكتع وأبصع مع أجمع ، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع ، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها ، ولهذا المعنى كررت ببعض حروفها في مثل حسن بسن ، كما فُعل بأكتع مع أجمع ." (٦٨)

د. التوكيد بالأسماء

١. *المصدر (المفعول المطلق)*

للمصدر حين يأتي مفعولاً مطلقاً أحد ثلاثة أغراض : التوكيد أو بيان النوع أو بيان العدد.(٦٩) وما يهمنا في هذا المقام النوع الأول حين يأتي المصدر لتوكيد حدوث

---

٦٨. هذا الكلام لابن دهان نقله السيوطي في المزهر،١: ٤٢٤-٤٢٥ يتوخّى من خلاله اثبات أن الإتباع يدخل في باب التأكيد بالتكرار.

٦٩. اللمع ،ص: ٤٨، شرح الكافية،١: ١١٤-١١٥؛ أوضح المسالك،٢: ٣٣، شرح الأشموني،١: ٢١٠ ؛شرح شذور الذهب،ص:٢٢٦؛أسرار النحو، ص : ١١٧-١١٨.

الفعل، "ذلك أن المصدر يذكر لتأكيد الفعل ، نحو: قمت قياماً وجلست جلوساً فليس في ذكر هذه المصادر زيادة على ما دلّ عليه الفعل أكثر من أنك أكّدت فعلك . ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت دل على جنس الضرب مبهماً من غير دلالة على كميته أو كيفيته فإذا قلت ضربت ضرباً كان كذلك فصار بمنزلة جاءني القوم كلهم من حيث لم يكن في كلهم زيادة على ما في القوم." (٧٠)

وجاء في *شرح السيرافي* : " فإن قال قائل : ضربت زيداً ضرباً فالمصدر تأكيد الفعل ، وإذا كان تأكيداً له فهو بعده ، وما كان بعد الشيء فالأول أصل له إذا كان الشيء متعلّقاً به ." (٧١) فالمصدر هنا بمثابة تكرير للفعل نفسه . لذا عُدَّ من قبيل التوكيد اللفظي، لأنه يؤكد الفعل لفظياً بذكر مصدره بدلاً من تكريره بلفظه أو بمرادفه . (٧٢) وهذا ما ذهب إليه الرضي : " المراد بالتأكيد المصدر الذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه من وصف أو عدد، وهو في الحقيقة تأكيد لذلك المصدر المضمون، لكنهم سمّوه تأكيداً للفعل توسعاً.فقولك: ضربت بمعنى احدثت ضرباً، فلما ذكرت بعده ضرباً صار

---

٧٠. شرح المفصل ، ١ : ١١١.

٧١. شرح كتاب سيبويه ، ١ :٥٧.

٧٢. هذا مذهب ابن جنّي واستدل على ذلك بأن المصدر هنا لا يثنى ولا يجمع لأنه عومل معاملة الفعل في عدم التثنية والجمع. أنظر: الهمع : ٣ : ٩٦؛ شرح الأشموني ، ١ : ٢١١ ؛ أوضح المسالك : ٢ : ٣٥.

بمنزلة قولك : أحدثت ضرباً ضرباً . فظهر أنه تأكيد للمصدر المضمون وحده لا للإخبار والزمان اللذين تضمنهما الفعل ." (٧٣)

فالمصدر يؤتى به لتأكيد فعله أو عامله ، فيزيده قوةً ويقرره ويبعد عنه الشك واحتمال المجاز . لذا قيل " إنه من التوكيد المعنوي ، لإزالة الشك عن الحدث ، ورفع توهم المجاز ."(٧٤) فالمرء قد يقول : مات عمرو على سبيل المجاز ، ويعني بذلك أنه شارف على الموت ، أو تقول : قتلت زيداً أي كدت تقتله ولم تفعل ذلك حقاً . أمّا إن زدْت المصدر فقلت : مات عمرو موتاً أو قتلت زيد قتلاً ، فيكون فعل الموت أو القتل حقيقة واقعة لا مجازاً . واختلاف العلماء حوله من حيث كونه توكيداً لفظياً أو معنوياً لا يفقده دلالته على تقرير المعنى وتقويته . وقد تنبّه ابن مالك إلى ذلك ، فمنع حذف عامل المصدر المؤكد ، لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته والحذف مناف لذلك . في حين نراه يتساهل فيما خص المصدر غير المؤكد ، فيجيز حذف عامله للدلالة عليه جوازاً أو وجوباً. (٧٥) وجاء في *شرح الأشموني* : " وحذف عامل المصدر المؤكد امتنع، لأنه إنما

---

٧٣. شرح الكافية ،١ : ١١٤.

٧٤. الهمع ، ٣ : ٩٦.

٧٥. أوضح المسالك ، ٢ : ٣٦.

جيء به لتقوية عامله وتقرير معناه ، والحذف ينافي ذلك ." [٧٦]

وقد يأتي المصدر مؤكداً لنفسه على أن يقع بعد جملة هي نص في معناه ، نحو قولك: لفلان علي ألف درهم عرفاً . وقولك : " له علي ألف درهم هو اعتراف منك حقاً كان أو باطلاً فصار هذا توكيداً لنفسه إذ كان الذي ظهر فيه هو الاعتراف ." [٧٧] و فسّر السيوطي هذا قائلاً : " ما وقع مؤكداً لمضمون الجملة فإن كان لا يتطرّق إليها احتمال يزول بالمصدر سمّي مؤكداً لنفسه ، لأنه بمنزلة تكرير الجملة ، فكأنه نفس الجملة. "[٧٨]

وقد يأتي المصدر لتوكيد لمضمون الجملة ، نحو قولك: أنت ابني حقاً. فالمصدر (حقاً) هنا لا يؤكد المتكلم بل يؤكد معنى الجملة التي تسبقه . فيجعل هذا الابن ابناً حقيقياً لا مجازاً ، على معنى أنه ابن بالتبني أو هو عنده في الحنو بمنزلة ابنه . فجملة (أنت ابني) تحتمل معنيين معنى حقيقياً ومعنى مجازياً ، وباطلاقك (حقاً) تؤكد المعنى الحقيقي المراد من البنوة ، " فحقاً رفع ما احتمله أنت ابني من إرادة المجاز ." [٧٩] ويوضح السيوطي سبب جعل المصدر مؤكداً لغيره ، يقول : "وإن كان مفهوم الجملة يتطرق إليه

---

٧٦. شرح الأشموني ،١: ٢١٢ .

٧٧. النكت ،١ : ٤٠٥.

٧٨. الهمع ، ٣ : ١٢٣.

٧٩. نفسه ، ٣ : ١٢٣.

احتمال يزول بالمصدر سمّي مؤكداً لغيره لأنه ليس بمنزلة تكريرالجملة ، فهو غيرها لفظاً ومعنىً ." [٨٠] ونظير ذلك قولك : هذا عبد الله حقاً. [٨١]

ومنه قول الشاعر[٨٢]:

إنِّي لأمنحُكَ الصدودَ وإنَّني　　　قسماً إليكَ مع الصُّدودِ لأميَلُ

فنصب (قسماً) على المصدر المؤكد لما قبله من كلام والدال على القسم . قال سيبويه: "إنما صار توكيداً لنفسه ، لأنه حين قال :له علي فقد أقرَّ و اعترف وحين قال: لأميل عُلم أنه بعد حلف ولكنه قال : قسماً توكيداً ." [٨٣] أمّا ابن السراج فجعله توكيداً على جهة الاعتراض ، قال : "قوله قسماً اعتراض . وجملةُ هذا الذي يجيء معترضاً إنما يكون

---

٨٠. الهمع ، ٣ : ١٢٣.

٨١. يقول الشنتمري:"اعلم أن حقاً وما بعده مصادر، الناصب لها فعل قبلها يؤكد الجملة ... وذلك أنك إذا قلت : هذا عبد الله جاز أن يكون كلامك قد جرى على يقين منك وتحقيق ، وجاز أن يكون على شك ،فإذا قلت: حقاً أكدّت وبيّنت."أنظر: النكت،١ :٤٠٤.

٨٢. البيت للأحوص وهو في الكتاب ١ :١٩٠ ؛ النكت ، ١ : ٤٠٥ ؛ المقتضب ،٣ : ٢٣٣ ، ٢٦٧ ؛ شرح المفصل ، ١ : ١١٦ ؛ شرح الكافية ، ١ : ١٢٣ ؛ الأصول ، ٢: ٢٦٠.

٨٣. الكتاب ، ١ : ١٩٠. أنظر : شرح الكافية ، ١ : ١٢٣.

توكيداً للشيء أو لدفعه، لأنه بمنزلة الصفة في الفائدة يوضح عن الشيء ويؤكده."[٨٤]

ويرى الرضي أن المصادر التي تؤكد جمل تسبقها تؤكد نفسها في الآن نفسه، فيقول:"فالمصدر المؤكد لنفسه هو الذي يؤكد جملة تدل على ذلك المصدر نصاً...اعلم أن المؤكد لغيره في الحقيقة مؤكد لنفسه وإلا فليس بمؤكد لأن معنى التأكيد تقوية الثابت بأن تكرره، وإذ لم يكن الشيء ثابتاً فكيف يقوّى، وإذا كان ثابتاً فمكرره إنما يؤكد نفسه ." [٨٥]

وقد يكرر المصدر بغية زيادة التوكيد نحو : زيدٌ سيراً سيراً . فتكرير المصدر يدل على كثرة القيام بالفعل ومواصلته . وحُذِفَ عامل المصدر الفعل (يسير) لدلالة المصدر المكرر عليه .[٨٦] ومن ذلك أيضاً قول للشاعر [٨٧] :

فَما نيْلُ الخلودِ بِمُستطاعٍ فصَبْراً في مجالِ الموتِ صَبْراً

ويحذف الفعل لدلالة المصدر عليه في الحصر ، نحو قولك: ما أنت إلا ضرباً أو إنما أن تسيراً. ولا يكرر المصدر لما في الحصر من تأكيد قائم مقام التكرير. [٨٨] قال

---

٨٤. الأصول ،٢ : ٢٦١.

٨٥. شرح الكافية ،١ : ١٢٣.

٨٦. الهمع ، ٣ : ١٢٣.

٨٧. قائله قطري بن الفجاءة وهو في أوضح المسالك ،٢ : ٣٩.

٨٨. شرح المفصل ، ١ : ١١٥ .أنظر: الكتاب ، ١ : ١٦٨.

الأشموني: " فالتكرار عوض من اللفظ بالفعل ، والحصر ينوب مناب التكرير." [٨٩]

ويجوز تكرير المصدر المحصور لزيادة التوكيد ، فيقال: إنما أنت سيراً سيراً أو ما أنت إلا قتلاً قتلاً أو ما أنت إلا الضرب الضرب . [٩٠] و تجدر الاشارة ألى أنّ رفع المصدر يزيل الدلالة على الكثرة . فإذا قلت : ما أنت سيرٌ سيرٌ ، فهو على معنى ما أنت إلا صاحب سير إذ تكون قد حذفت (صاحب) وأقمت السير مقامه .وهذا لا يدل على كثرة ومواصلة كما دلّ النصب ، وإنما يدلّ على أنه صاحب سير لا غير . [٩١] ومن ذلك قولهم : سير بزيد سيراً ، " فالوجه النصب في سير لأنك لم تُفِد بقولك سيراً شيئاً لم يكن في سير أكثر من التوكيد . " [٩٢]

إنّ زيادة المصدر على الجملة لم تكن لتؤدي معنى جديداً لم يكن قائماً في الجملة قبل ذلك ، إذ إن المعنى كان تاماً وما فائدة هذا المصدر إلا زيادة التحديد والتوكيد دون الإتيان بمعان طارئة . ذلك " أن التحديد والتوكيد هي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق ، والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعل ، وذلك

---

٨٩. الأشموني ، ١ : ٢١٣.

٩٠. الكتاب ، ١ : ١٦٨.

٩١. شرح المفصل ، ١ : ١١٥ – ١١٧.

٩٢. الأصول ، ١ : ٨٠ . وهنا يجعل ابن السراج التوكيد من جهة الإعتراض.

بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته لأن المصدر هو اسم الحدث ، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل وتكون التقوية بواسطة ذكره مفرداً منوناً على سبيل التأكيد ." (٩٣)

٢. *الحال*

تأتي الحال في التركيب لتفيد التوكيد في الجملة فتسمّى الحال المؤكدة . (٩٤)

وهي الحال التي يتم معنى الجملة بدونها ، و ما ذكرت إلا لتقوية مضمون الجملة وتقريره وتأكيد ما انطوى عليه الكلام . (٩٥) قال الزمخشري :" والحال المؤكدة هي التي تجيء على أثر جملة عقدها من اسمين لا عمل لهما لتوكيد خبرها وتقرير مؤداه ونفي الشك عنه." (٩٦) والحال المؤكدة تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أولاً : الحال المؤكدة لعاملها : هي كل وصف دل على معنى عامله سواء وافقه

---

٩٣. اللغة العربية: معناها ومبناها لتمام حسان ، ص : ١٩٨.

٩٤. يقسم النحاة الحال إلى ضربين : مؤسسة أو مبيّنة أي تبيّن هيئة صاحبها وهي التي لا يستفاد معناها بدونها، نحو: جاء زيدٌ راكباً .وهي الغالب في العربية . ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها بدونها .أنظر : الهمع ،٤ : ٢٩.

٩٥. المقرّب ، ص : ١٦١.

٩٦. المفصل ، ص : ٣٣.

لفظاً أو خالفه ، فهي يستفاد معناها من صريح لفظ عاملها . ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وأرسلناك للناس رسولاً ﴾[٩٧] ، وقوله:﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾[٩٨] ، وقوله : ﴿فتبسّم ضاحكاً ﴾.[٩٩] والمعنى الذي تدل عليه هذه الحال كان العامل فيها يدل عليه قبل مجيئها ، واقتصر عملها على تقرير هذا المعنى وتوكيده. فلو جاءت الآية على (ارسناك للناس) لفهم أنه رسول ، ولكن زيدت الحال بهدف تأكيد المعنى وتمكينه في نفوس السامعين . وكذا فيما يخص (ضاحكاً) و (مفسدين) . فكل كلمة من هذه الكلمات "حال لا مصدر، لأنه قد تكون الحال توكيداً كما يكون المصدر تأكيداً وإن كان الفعل قد دلّ عليه."[١٠٠]

ثانياً : الحال المؤكدة لصاحبها : هي التي تأتي لتأكيد صاحبها ، ويستفاد معناها من صريح لفظ صاحبها ، نحو قوله تعالى: ﴿لآمن من في الأرض كلهم جمعياً﴾.[١٠١] فـ(جميعاً) توكيد في المعنى لـ (من) في الآية الكريمة لأن كلاً من (من) و (جميعاً) يدل

---

٩٧. سورة النساء ، الآية : ٧٩.

٩٨. سورة البقرة ، الآية : ٩٥.

٩٩. سورة النحل ، الآية : ١٩.

١٠٠. النكت ،١ : ٣٨١ . أنظر :الكتاب ، ١ : ١٧١.

١٠١. سورة يونس ، الآية : ٩٩.

على الاحاطة والشمول ، ولو أضيفت إلى الضمير لكانت توكيداً ، ولما امتنع ذلك لم يبق سوى جعلها حالاً مؤكدة لصاحبها (من) . ومن ذلك قولهم : جاء القوم طُرّاً أو قاطبةً أو كافّةً . (١٠٢)

ثالثاً: الحال المؤكدة لمضمون الجملة : هي التي تأتي لتأكيد معنى جملة قبلها ، نحو قولك: زيدٌ أبوك عطوفاً . فـ (عطوفاً) حال أوتي بها لتأكيد مضمون الجملة السابقة لها. ذلك أن معنى (زيدٌ أبوك) هو زيدٌ عطوفٌ . فكأنك قلت : زيد عطوف عطوفاً ، فتصبح هنا الحال بمنزلة توكيد لفظي لهذا المضمون . وهذا لا يتنافى مع غرض الإتيان بالحال المؤكدة. ومن ذلك قول الشاعر: (١٠٣)

أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نَسَبي   وهل بدارةَ يا للناسِ من عارِ؟

---

١٠٢. رفض المبرد اعتبار هذه الألفاظ أحوالاً ، يقول: "واعلم أن هذه المنتصبات عن المصادر في موضع الأحوال ، وليست بأحوال ، ولكنها موافقة وموضوعة في مواضع غيرها، لوقوعها معه في المعنى." أنظر:المقتضب، ٣ : ٢٣٨ . وجاء في الكتاب : " وجعلوا قاطبة وطراً إذا لم يكونا اسمين بمنزلة الجميع وعامّة . أنظر: الكتاب ، ١ : ١٨٩ . أما يونس فاعتبرها بمنزلة وحده أسماء نكرة للجماعة لا تقع إلا حالاً وزعم آخرون أنها في موضع المصدر الذي يكون حالاً . أنظر المصدرين المذكورين .

١٠٣. هذا البيت لسالم بن دارة وهو شواهد الكتاب ،١ : ٢٥٧ ؛الخصائص، ٢ : ٢٦٨ ؛ ٣: ٦٠ ؛ شرح الكافية، ١: ٢١٥؛شرح الجمل، ص: ١٦٥؛ شرح المفصل،٢ : ٦٤ ؛شرح شذور الذهب، ص : ٢٤٧ ؛شرح الأشموني، ١ : ٢٥٥ ؛ النكت ، ١ : ٤٨٢ ؛ شرح ابن عقيل، ص : ؛ الهمع ،٤ : ٤٠.

فقوله : (معروفا بها نسبي) هو (أنا ابن دارة) في المعنى ، ولذا صار مضمون البيت على الصورة التالية : أنا معروف نسبي بدارة معروفاً بها نسبي. وهذا توكيد واضح محمول على التكرير اللفظي . فنصبت (معروفاً) على الحال المؤكد بها.

ومما يأتي حالاً مؤكدة لفظة (صاعداً) في قولك : أخذت هذا بدرهم فصاعداً ، "ألا ترى أن تقديره : فزاد الثمن صاعداً ومعلوم أنه إذا زاد الثمن لم يكن إلاّ صاعداً ... صاعداً ناب في اللفظ عن الفعل الذي هو زاد." [١٠٤] فالمعنى أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً ، و(صاعداً) حال مؤكدة لا يختل المعنى بحذفها استغناءً .

٣. *التمييز*

قد يرد التمييز حيث لا إبهام يرفعه لمجرد تقوية المعنى وتوكيده [١٠٥] ، نحو قوله تعالى: ﴿إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ﴾.[١٠٦] فـ (شهراً) تمييز أوتي به توكيداً، إذ إنّ المعنى لا يمس بإسقاطه. ومما أتى فيه التمييز مؤكداً للمعنى قول

---

١٠٤. الخصائص،٢: ٢٦٨.أنظر:الكتاب، ١: ١٤٦-١٤٧ ؛المقتضب، ٣: ٢٥٥.

١٠٥. الأشموني ، ٢ : ٣٧٦.

١٠٦. سورة التوبة ، الآية : ٣٦.

الشاعر [١٠٧] :

ولقد علمْتُ بأنَّ دينَ مُحمدٍ   من خيرِ أديانِ البريّةِ ديناً

و (ديناً) لا تفيد المعنى إلا توكيداً .

يرى الزمخشري أن التمييز يقصد به المبالغة في المعنى ، إذ لا فرق بين قولك : (اشتعل رأسي شيباً) و (اشتعل شيب رأسي) ، وبين (طبت نفساً) و(طابت نفسك) ، إلا من حيث العدول إلى التمييز بغرض المبالغة ، ذلك " أن هذه المميزات عن آخرها أشياء مزالة عن أصلها ، ألا تراها إذا رجعت إلى المعنى متّصفة بما هي منتصبه عنه ... والسبب في هذه الإزالة قصدهم إلى ضرب من المبالغة والتأكيد." [١٠٨]

وقد يكرّر اللفظ على التمييز لإفادة التوكيد ، نحو قولك : نعم الرجل رجلاً زيد ، فقولك : (رجلاً) توكيد لأنه مستغنى عنه بذكر الرجل أولاً، وهو بمنزلة قولك : عندي من الدراهم عشرون درهماً. " [١٠٩] يجيب المرء على من يسأل : كم درهماً معك ؟ بقوله عشرون درهماً أو ثلاثون درهماً ، فيأتي بالنوع توكيداً ، "وإذا حذفه دلّ عليه الكلام لأن

---

١٠٧. لم أعثر على قائله وهو في شرح الأشموني ، ٢ : ٢٧٦.

١٠٨. المفصل ، ص : ٣٧.

١٠٩. المقتضب ،٢ : ١٥٠ .أنظر: الأصول ، ١ : ١٦٦ حيث الكلام بحرفيته .

١١٠. النكت ، ١ : ٥٢٧.

السائل قد ذكره فلا اضطرار بالمجيب إلى ذكره."[١١٠] فذكر (درهماً) و (رجلاً) يفيد التوكيد ولو لم يذكرا لم يُحتج إليهما، إذ لا يتأثر المعنى البتة. وقد يُجمع بين التمييز والفاعل لإفادة التوكيد[١١١] ، نحو قول الشاعر [١١٢] :

نعمَ الفتاةُ فتاةً هندٌ لو بذلَتْ ردَّ التحيةِ نُطقاً أو بإيماء

فـ (الفتاة) فاعل للفعل الجامد (نعم) ،و (فتاة) تمييز مؤكد لعامله ، و(هند) مخصوص بالمدح ، وليس في التمييز معنى زائد على ما يدل عليه الفاعل سوى تقرير المعنى وتوكيده.

٤ . النعت

ليس الهدف من الإتيان بالنعت دائماً تخصيص نكرة أو إزالة اشتراك في معرفة على ما عرّف النحاة النعت . فإنه يأتي لغير ذلك لأن الاسم المنعوت يكون غنياً عن الإيضاح أو التخصيص ، فينعت لأغراض أخرى منها التوكيد .[١١٣] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾.[١١٤] فـ (واحدة) نعت مؤكد لـ (نفخة) ،

---

١١١. المفصل، ص : ١٤٥ . أنظر: شرح المفصل ، ٧ : ١٣٢.

١١٢. قائله مجهول. أنظر: شرح الأشموني،١: ٢٦٧؛أوضح المسالك، ٢ : ٢٨٦.

١١٣. شرح ابن عقيل، ص:٤٠٠؛ شرح الأشموني، ٢: ٣٩٣؛المفصل،ص: ٥٤.

١١٤. سورة الحاقة ، الآية : ١٣.

ذلك أن المعنى يتم بإسقاط (واحدة) على النحو التالي: (فإذا نفخ في الصورنفخة،" فهنا دلّ الموصوف على معنى الوصف." [١١٥] ومنه قوله تعالى: ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين﴾.[١١٦]

ويشرح ابن يعيش معنى مجيء النعت مؤكداً ، يقول : " معنى التأكيد هنا أن مدلول الصفة استفيد مما في الموصوف ، فصار ذكره في الصفة كالتكرار ، إذ ليس فيه زيادة معنى ." [١١٧] ومن ذلك قولك:أمس الدابر و الميت العابر ، إذ أمس لا يكون إلا دابراً، والميت لا يكون إلا عابراً.[١١٨] فالصفة المؤكدة يؤتى بها لغرض التوكيد حين لا تتضمّن معنى زائداً على الموصوف، فيجوز اثباتها، وحذفها لا يفسد المعنى.

٥. *البدل*

يأتي البدل في بعض الأحيان ليفيد تقوية المعنى وتقريره . يقول ابن جنّي : "اعلم أن البدل يجري مجرى التوكيد في التحقيق والتشديد ." [١١٩] ومن ذلك قوله تعالى:

---

١١٥. أسرار النحو ، ص : ١٦٣ .

١١٦. سورة النحل ، الآية : ٥١.

١١٧. شرح المفصل ، ٣ : ٤٨.

١١٨. نفسه، ٣ : ٤٨.

١١٩. اللُّمع ، ص : ٨٧.

﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾.[١٢٠] والصراط الثاني بدل من الصراط الأول لتأكيد البيان.[١٢١]فالمبدل يتحد مع المبدل منه زيادة في البيان،" فقوله: رأيت قومك أكثرهم بمعنى رأيت أكثر قومك، وقوله: صرفت وجوهها أولها بمعنى صرفت وجوه أولّها ولكنه ثنّى الاسم توكيداً ." [١٢٢]

فالبدل يرمي إلى إيضاح المبدل وذلك برفع اللبس والمجاز عنه وابطال التوسّع الذي قد يصيب المعنى،" ألا ترى أنك إذا قلت: جاءني أخوك جاز أن تريد كتابه أو رسوله ، فإذا قلت : زيدٌ زال ذلك الاحتمال كما لو قلت نفسه أو عينه. "[١٢٣]ونظير ذلك قوله تعالى:﴿وترى كل أمّة جاثية كلَّ أمة تدعى إلى كتابها﴾ [١٢٤] ، فنصبت(كل) الثانية على التمييز المؤكد لأنه اتصل بها ذكر سبب الجثو.[١٢٥]

---

١٢٠. سورة الفاتحة ، الآية : ٦.

١٢١. شرح المفصل ، ٣ : ٦٨.

١٢٢. المفصل ، ص : ٥٧ . أنظر: شرح الكافية ، ١ : ٣٣٨.

١٢٣. شرح المفصل ، ٣ : ٦٦.

١٢٤. سورة الجاثية ، الآية : ٢٨.

١٢٥. شرح الأشموني ،٢ : ٤٤١.

ويأتي الضمير المنفصل بدلاً من الضمير المتصل للدلالة على التوكيد نحو قولك : زيدٌ ضربته إياه.فـ (إياه)ضمير منفصل وهو بدل من الضمير المتصل في(ضربته) ، وجيء به لتأكيد ضرب شخص بعينه. فؤتى بالمبدل والمبدل منه ليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الإفراد.(١٢٦) فكأنه أفيد من اجتماعهما شيئاً من التوكيد نظير لما يفاد من مجيء النفس والعين في الجملة . (١٢٧)ولشدّة دلالة البدل هنا على التوكيد ، رفض الرضيّ عدَّ الضمير المنفصل في نحو:ضربتك إياك بدلاً من الضمير المتصل بالفعل ، وحمله على التوكيد لاتحاد المعنيين، معتبراً أن(ضربتك إياك) بمنزلة(ضربتك أنت).(١٢٨) هكذا نرى أن مفهومي التوكيد والبدل متقاربان إلى حد جعل النحاة يخلطون بينهما. وهذا مرده إلى اعتماد كليهما على مفهوم التكرار. ذلك أن "المناسبة بين التوكيد والبدل أنهما تكريران يلحقان الأوّل في أحد أقسام البدل ، وأنّ كل واحد منهما لا يتقدّم على صاحبه، وأنّ إعرابهما كإعراب مايجريان عليه، وأنك في التوكيد مسدد لمعنى المؤكد ، وكذلك في البدل، تعني بالأول فتبدل منه ." (١٢٩)فقد عدّ النحاة مجيء البدل في الجملة بمثابة تكرار

---

١٢٦. المفصل ، ص : ٥٧ .

١٢٧. شرح الكافية ، ١ : ٣٣٢ ، ٣٤٠.

١٢٨. نفسه ، ١ : ٣٤١. عدّ الرضي (إياه) توكيداً لفظياً لا بدلاً يفيد التوكيد.

١٢٩. القول لابن الدهان في الغرّة نقله السيوطي في الأشباه والنظائر ،٢ : ٤٨٦.

العامل ، فقولك : رأيت أخاك زيداً تقديره: رأيت أخاك رأيت زيداً.[١٣٠]

٦. *الظروف*

ترد بعض الظروف في سياق الجملة للتوكيد ، إلى جانب دلالتها على الزمن .

ومن هذه الظروف (قط) ، وهو لا يفيد معنى التوكيد إلاّ عند مجيئه ظرفاً للدلالة على الوقت الماضي عموماً ، ويكون بمعنى أبداً. فـ "(قط) لا يستعمل إلاّ بمعنى أبداً لأنه مشتق من القط وهو القطع كما تقول : لا أفعله البتة ." [١٣١] وهو يختص بنفي الماضي. [١٣٢] وزعم بعضهم أن أصلها المصدر (القط) بمعنى القطع ، ونقلت فيما بعد إلى الظرفية ، فقولك : ما رأيته قط معناه : ما رأيته فيما انقطع من عمري . [١٣٣]

ومن الظروف التي تفيد تأكيد معنى الجملة في المستقبل (عَوْض) . وهو اسم من أسماء الدهر للمستقبل من الزمان ، كما أن (قط) للماضي . [١٣٤] و (عَوْض) يختص

---

١٣٠. شرح المفصل ، ٣ : ٦٧ . أنظر : شرح الكافية ، ١ : ٣٣٣.

١٣١. شرح الكافية ، ١ : ١٢٤ . أنظر : الهمع ، ٣ : ٢١٣.

١٣٢. نفسه ، ١ : ١٢٤.

١٣٣. الممتع،٢ : ٦٢٨ ؛المقرّب، ص:٥٦٢ ؛المغني،١: ١٩٨ ؛الهمع،٣ : ٢١٣.

١٣٤. شرح المفصل ، ٤ : ١٠٨.

بنفي المستقبل عموماً ، نحو قولك : لا أفعل هذا الأمر عَوْض أي لا أفعله في زمن من الأزمنة المستقبلة . وهو يستغرق جميع ما يستقبل من الزمان ، وندر استعماله للزمان الماضي .وكثر استعمال الظرف (عَوْض) مع القسم حتى أجروه مجراه ، نحو قولك : عوض لا أفارقك أي لا أفارقك أبداً ، مع أنه لا يتضمّن معنى القسم صراحة . جاء في *شرح الكافية* :"وقد تحذف الجملة القسمية لكون ظرف من معمولات الفعل الواقع جواباً دالاً عليها نحو لا أفعله عَوْض ...وإنما كان كذلك لكثرة استعمال عَوْض مع القسم مع أن معناه أبداً والبته ففيه من التأكيد ما يفيد فائدة القسم ولأجل إفادة فائدته."[١٣٥]

هـ. التوكيد بالأدوات والحروف

١ . حروف الجر

تَرِد أغلب حروف المعاني زائدة ، فتفيد حينئذ تقوية المعنى المراد توكيده ، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة مرّة أخرى . وهي " سميت زائدة لأنه لا يتغيّر بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى العام الثابت وتقويته ، فكأنما لم تفد شيئاً لما لم تغايرفائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها ."[١٣٦] هذا إلى فائدة لفظية ، إذ قد تزاد

---

١٣٥. شرح الكافية، ٢ : ٣٤١ .أنظر: الهمع ،٣ : ٢١٢.

١٣٦. نفسه ،٢ : ٣٨٤.

هذه الحروف لجعل الكلام أسهل لفظاً أو اجمل ايقاعاً ، لا سيما في فواصل السجع ، أو لتقويم وزن الشعر . وربما اجتمعت هاتان الفائدتان في الحرف الزائد . وبذلك ، لا يجوز خلو الزيادة من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً ، وإلاّ عدت عبثاً. وهذا غيرجائز في كلام العرب . [١٣٧]

نبدأ بزيادة حروف الجر لأننا أكثر ما نجد الزيادة تطرأ فيها . ويجمع النحاة على أن حرف الجر الزائد ومجروره لا يتعلقان بشيء ، "وذلك لأن معنى التعلّق الارتباط المعنوي ، والأصل أن أفعالاً قُصرت عن الوصول إلى الأسماء ، فأعينت على ذلك بحروف الجر ، والزائد إنما دخل في الكلام تقوية له وتوكيداً ولم يدخل للربط ."[١٣٨] فيما يلي عرض لحروف الجر الزائدة ومواضع زيادتها .

- الباء : يقول ابن جنّي : " اعلم أن هذه الباء قد زيدت في أماكن ، ومعنى قول زيدت أنها إنما جيء بها توكيداً للكلام ولم تحدث معنى."[١٣٩]وتزاد الباء في سبعة مواضع :

أولاً: المبتدأ : نحو قولك: بحسبك قول السوء فكأنك قلت:حسبك قول السوء[١٤٠] ،

---

١٣٨. المغني، ٢ : ٥٠٧–٥٠٨. أنظر : الهمع ، ٥ : ١٣٣.

١٣٩. سر الصناعة ، ١ : ١٣٣.

١٤٠. الكتاب ، ١ : ٣٥٣ . أنظر: سر الصناعة ، ١ : ١٣٧.

ونظير ذلك قولك : بحسبك زيدٌ [١٤١] ، ودخلت الباء زائدة للتوكيد . ولم تُزد على غير هذه اللفظة في المبتدأ . [١٤٢]

ثانياً : الخبر: كما في قوله تعالى :﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾.[١٤٣] والمعنى عند الأخفشي جزاء سيئة مثلها [١٤٤] ، بدليل قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة مثلها﴾. [١٤٥]

ثالثاً: الفاعل : نحو قوله تعالى:﴿ كفى بالله شهيداً ﴾. [١٤٦] والتقدير: كفى الله شهيداً. [١٤٧] جاء في *الكتاب* أن (كفى بك فارساً) تعنى (كفيت فارساً) ، والباء دخلت زائدة للتوكيد . [١٤٨] فالباء دخلت على فاعل كفى زائدة مؤكدة وحذفها لا يضير المعنى، إذ

---

١٤١. الأصول ،١ : ٤١٣ . أنظر: المفصّل ، ص : ١٥٥.

١٤٢. سر الصناعة، ١ : ١٣٨ . أنظر : رصف المباني ، ص: ١٤٧-١٤٨.

١٤٣. سورة يونس ، الآية : ٢٧.

١٤٤. سر الصناعة ،١ : ١٤٠ ؛ شرح المفصل ، ٨ : ١٣٩.

١٤٥. سورة الشورى ، الآية : ٤٠.

١٤٦. سورة النساء ، الآية : ٧٩.

١٤٧. الأصول ، ١ : ٤١٣ .

١٤٨. الكتاب ، ٢ : ٣٠٧-٣٠٨ . أنظر: الأصول ، ١ : ٣٠٩.

لو ألقيناها لاستقام الكلام كما في قول الشاعر [١٤٩] :

عُمَيْرةَ ودِّعْ إنْ تجهّزْتَ غازِياً   كَفَى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيا

رابعاً : المفعول به : معظم زيادة الباء إنما تكون في المفعول به[١٥٠] ، نحو قوله تعالى:﴿ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[١٥١] ، والمعنى لا تلقوا أيديكم إذ إنّ الفعل (ألقى) متعدٍ بنفسه والباء دخلت على المفعول به توكيداً .[١٥٢]

خامساً :خبر (ليس): تزاد الباء في خبر (ليس) مؤكدة النفي[١٥٣]، نحو قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[١٥٤] ، والتقدير: كافياً عبده فقولك : ما أنت بمنطلقٍ ولست بذاهبٍ أراد أن يكون مؤكداً حيث نفي الإنطلاق والذهاب. " [١٥٥]

---

١٤٩. قائل البيت سحيم عبد بني الحسحاس. وهو في الكتاب، ١ : ٢٣٠ ؛٢ : ٣٠٨ ؛ سر الصناعة ،١ : ١٤١ ؛شرح المفصل ،٧ : ٨٤ ؛ ٨ : ٢٤.

١٥٠. سر صناعة الإعراب ، ١ : ١٣٧.

١٥١. سورة البقرة ، الآية : ١٩٥.

١٥٢. شرح المفصل ٨ : ٢٥ ، ١٣٨.

١٥٣. اللمع ، ص : ١٢٣.

١٥٤. سورة الزمر ، الآية : ٣٦.

١٥٥. الكتاب ، ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨.

سادساً: خبر (ما): تزاد الباء في خبر ما كما في خبر ليس لتأكيد النفي وسواء كانت ما حجازية أو تميمية فالباء داخلة في خبر ها زائدة . [١٥٦] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [١٥٧] ، والتقدير : ما ربك ظلاماً . ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون ﴾. [١٥٨] والمعنى : وما الله غافلاً.

وقد تزاد الباء مؤكدة في مواضع أخرى ، غير أن ذلك قليل . منها زيادتها في خبر (لكن) لشبهه بالفاعل ، وفي الحال المنفية لشبهها بالخبر. وتدخل في خبر (كان) المسبوقة بنفي أو نهي .ووردت زيادتها في خبر(لا) . وجاء في التنزيل دخول الباء على خبر (أنّ) في قوله تعالى: ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلَق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر ﴾. [١٥٩] وقد جاز ذلك لأنه بمعنى أوليس الله بقادر .

- من: ترد من في الجملة زائدة لمجرد التوكيد ، نحوقولك: ما قام من أحد أي ما قام أحد ،" فهي مزيدة هنا ، لمجرد التوكيد، لأن ما قام من أحد و ما قام أحد في افهام

---

١٥٦. الرصف ، ص : ١٤٨.

١٥٧. سورة فصلت ، الآية : ٤٧.

١٥٨. سورة البقرة ، الآية : ٧٤.

١٥٩. سورة الأحقاف ، الآية : ٣٣.

العموم دون احتمال ."[١٦٠] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وما لكم من إله غيره ﴾ [١٦١] ، المعنى: والتقدير أما لكم إله غيره فـ (من) ، هنا "زائدة قد دخلت على ما هو مستغنٍ من الكلام إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة."[١٦٢] جاء في *الكتاب* : "وقد تدخل (من) في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ولكنها توكيد بمنزلة ما ، إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة ، وذلك قولك : ما أتاني من رجل ، وما رأيت من أحد ولو أخرجت (من) كان الكلام حسناً ، ولكنه أكد بـ (من) لأن هذا موضع تبعيض ، فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس ." [١٦٣]

• الكاف: تدخل الكاف الكلام زائدة مؤكّدة ، نحو قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾. [١٦٤] والتقدير ليس مثله شيء ، والكاف زيدت لتأكيد نفي المثل . فهي "زائدة لاستغناء الكلام عنها للتأكيد ، لأن معناها معنى مثل ." [١٦٥] ويُحمل هذا التأكيد

---

١٦٠. الجنى الداني ، ص: ٣١٦ . أنظر: الأزهية ، ص: ٢٣٤.

١٦١. سورة الأعراف ، الآية : ٥٩.

١٦٢. الأصول ، ١ : ٤١٠ .

١٦٣. الكتاب ، ٢ : ٣٠٧. أنظر : المقتضب ، ٤ : ٤٥٣.

١٦٤. سورة الشورى ، الآية : ١١.

١٦٥. رصف المباني ، ص :٢٠١.

علىالوجهين اللفظي والمعنوي . فزيادة الكاف في الآية الكريمة تفيد ما يفيده التوكيد اللفظي، إذ إنّ الحرف الزائد في الجملة هو بمثابة إعادتها مرة أخرى. والكاف بزيادتها هنا قامت مقام تكرار الآية مرتين : ليس مثله شيء، ليس مثله شيء. [١٦٦] "وأشار الزمخشري إلى ذلك بقوله: ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كُرّرت للتأكيد ." [١٦٧]

أمّا حمل زيادة الكاف على التوكيد المعنوي "فإنه من باب قول العرب : مثلك لا يفعلُ كذا . فنفوا الفعل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته ، لأنهم قصدوا المبالغة في ذلك . فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن هو أخص أوصافه فقد نفوه عنه." [١٦٨] ونبّه الزمخشري على هذا في *الكشاف* ، قال : "فإذا عُلِم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله : ليس كالله شيء ، وليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها." [١٦٩] فنفي الوصف عن مثل الشخص يعني نفيه عن الشخص عينه وهو عند

---

١٦٦. الجنى ، ص : ٨٧ . أنظر: المغني ، ١ : ٢٠٣.

١٦٧. الكشاف ، ٤ : ٢١٣ .أنظر: الجنى ، ص : ٩٠ حيث الكلام بحرفيته.

١٦٨. الجنى الداني ، ص : ٨٨.

١٦٩. الكشاف ،٤: ٢١٣. أنظر: الجنى الداني ، ص : ٨٨ حيث ينقل المرادي كلام الزمخشري.

العرب من باب الزيادة للمبالغة . ويشرح ذلك ابن عطية [١٧٠] فيقول : " الكاف مؤكدة للتشبيه ، فنفي التشبيه أوكد ما يكون . وذلك أنك تقول : زيد كعمر ، وزيد مثل عمرو ، فإذا أردت المبالغة التامة قلت : زيد كمثل عمرو ." [١٧١] وقد ترد الكاف بعد (مثل) تأكيداً لها كما في قول الشاعر [١٧٢] :

ولعبَتْ طيرٌ بِهم أبابيلْ　　　فصيّروا مثل كَعصفٍ مأكولْ

فأقحمت الكاف بعد (مثل) توكيداً للمثل والنظير . وتدخل الكاف على نفسها زيادة في التوكيد كما في قول الشاعر: [١٧٣]

وغيرُ ودٌ جازلٌ أو ديّنٌ　　　وصالياتٍ ككَما يُؤَثْفيْنْ

استناداً إلى ما سبق من الكلام عن حروف الجر الزوائد ، نقول إن هذه الحروف متى وردت زائدة أريد بها توكيد الكلام الذي تأتي في سياقه. ويتحقق ذلك عن طريق

---

١٧٠. هو عبد الحق بن غالب الغرناطي المتوفى عام ٥٤٢ هـ.

١٧١. الجنى الداني ، ص : ٨٨.

١٧٢. البيت لرؤبة وهو في الكتاب ،١: ٤٠٨ منسوباً إلى حُميد الأرقط. أنظر: ص :٣٠٠ والرصف ، ص :٢٠١، واللسان (عصف) ؛ المغني/الهمع.

١٧٣. البيت لخطام المجاشعي.وهو في الكتاب،١ :٣٢ ؛المقتضب،٢: ٩٥ ؛ شرح المفصل، ٨: ٤٢؛المزهر،١: ٢٢٣ ؛سر الصناعة، ١:٢٨٢ ؛الرصف، ص: ١٩٦ ؛ الجنى،ص:٨٠ ؛ الخصائص ،٢ : ٣٦٨ ؛المنصف ،١ : ١٩٢.

تجرّدها من معانيها الأصلية التي تؤديها ، لتأتلف وتتحد مع المعنى العام الذي تفيده الجملة وتعمل على تقويته وتمكينه في النفس . وقد ترد حروف أخرى سوى حروف الجر زائدة مؤكدة دخولها في التركيب اللغوي كخروجها. ونعرض فيما يأتي لهذه الحروف على نحو يبرز دورها في توكيد معنى الجمل التي تأتي في سياقها.

٢. *حروف المعاني*

- الواو : ترد (الواو) أحياناً زائدة لإفادة التوكيد ، نحو قوله تعالى: ﴿ وما أهلكنا من قرية إلاّ ولها كتاب معلوم﴾.[١٧٤] "ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما ... وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيدٌ عليه ثوب وجاءني زيدٌ وعَليه ثوب." [١٧٥] وقد يكون القول بزيادتها في هذه الآية ناجماً عن ورود الآية نفسها بسقوط الواو على النحو التالي: ﴿وما أهلكنا من و ابن قرية إلا لها منذرون﴾.[١٧٦]

وقد جاءت الواو زائدة مؤكدة في قوله تعالى:﴿ إن الذين كفروا ويصدّون عن

---

١٧٤. سورة الحجر ، الآية : ٢٥.

١٧٥. الكشاف ، ٢: ١٨٧.

١٧٦. سورة الشعراء ، الآية : ١٠٨.

سبيل الله﴾.[١٧٧] والتقدير:إنّ الذين كفروا يصدّون عن سبيل الله، والواو اقحمت توكيداً.[١٧٨]ومنه قوله تعالى: ﴿وثامنهم كلبهم﴾.[١٧٩] قال الزمخشري : " هي الواو ، الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهي التي آذنت بأن الذين قالوا : سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ، وطمأنينة نفس، ولم يرموا بالظّن كغيرهم ." [١٨٠]

• السين : تزاد (السين) على الجملة بهدف تأكيد الوعد كما في قوله تعالى: ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾.[١٨١]فدخول السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة . فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك : سأنتقم منك يوماً تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك.[١٨٢] جاء في *المغني* : " زعم الزمخشري أنها [السين] إذا دخلت على فعل محبوب

---

١٧٧. سورة الحج ، الآية : ٢٥.

١٧٨. الجمل في النحو ، ص : ٢٨٨ .أنظر: الأزهية ،ص: ٢٤٣.

١٧٩. سورة الكهف ، الآية : ٢٢ .

١٨٠. الكشاف ، ٢ : ٤٧٩ . أنظر : الجنى ، ص : ١٦٨.

١٨١. سورة التوبة ، الآية : ٧١.

١٨٢. الكشاف ، ٢ : ٤٨ – ٤٩. أنظر : المغني ، ١: ١٥٩.

أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ... ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضٍ لتوكيده وتثبيت معناه . " (١٨٣)

• أمّا : يرى الزمخشري أن (أمّا) تزاد للتوكيد وأورد في *الكشاف*: " فائدة (أمّا) في الكلام أنها تعطيه فضل توكيد (أي زيادة توكيد) ، تقول : زيدٌ ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وإنه لا محالة ذاهب وإنه بصدد الذهاب وأنه من عزيمة قلت: أمّا زيدٌ فذاهب."(١٨٤) فـ (أمّا) تفيد تحقيق الكلام وتسديده . قال المبرّد : " ولو قلت: أمّا أنه منطلق جاز على معنى حقاً أنه منطلق إذا أردت بها التحقيق والتوكيد ما أردت بقولك : حقاً لأنهم يضعونها في موضعها ." (١٨٥)

• أما : تأتي (أما) بمعنى (حقاً) فتفيد التوكيد . قال سيبويه : " وتقول : أما إنه ذاهبٌ وأما أنّه منطلق . فسألت الخليل عن ذلك فقال : إذا قال : أما أنّه منطلق ، فإنه يجعله كقولك حقاً أنه منطلق ، وإذا قال : أما إنه منطلق ، فإنه بمنزلة قوله : ألا ، كأنك قلت : ألا إنه ذاهب "(١٨٦) فالخليل كسر همزة إن وفتحها بعد (أما) في المثالين السابقين

---

١٨٣. المغني ، ١ : ١٥٩.

١٨٤. الكشاف ،١ : ٢٠٦ .أنظر : المغني، ١ :٦٩ .

١٨٥. المقتضب ، ٢ :٣٥٣ .

١٨٦. الكتاب ،٣ : ١٢٢ هارون .أنظر: الجنى الداني ، ص :٣٩٠ – ٣٩١.

على اعتبار (أما) حرف استفتاح وتنبيه أو حرف بمعنى (حقاً) . وفي الحالتين هي تفيد التوكيد ذلك أن التنبيه ضرب من التوكيد كما يزعم ابن جنّي. (١٨٧) ومن ذلك قولك: أما أن جزاك الله خيراً والتقدير: أما أنه جزاك الله خيراً أي حقاً أنه جزاك الله خيراً.(١٨٨)

• قد : من معاني (قد) الكثيرة التأكيد والتحقيق . (١٨٩) وتؤكد بها الجملة الفعلية المصدّرة بفعل ماضٍ ، نحو قوله تعالى:﴿ قد أفلح المؤمنون﴾.(١٩٠)فدخلت (قد) لتأكيد وتحقيق فلاح المؤمنين وفوزهم . قال سيبويه:" فأمّا (قد) فجواب لقوله : لما يفعل، فتقول: قد فعل . وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون." (١٩١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾.(١٩٢) فـ (قد) أتت هنا بهدف تأكيد السمع لأن الداعية كانت تتوقع استجابة الله لدعائها ، فهي لتصديق وتأكيد خبر أو فعل

---

١٨٧. سر صناعة الإعراب ، ١ : ٣٤٣.

١٨٨. النكت ، ٢ : ٧٩٥ . أنظر: الصاحبي ، ص : ١٣٧.

١٨٩. حروف المعاني ، ص : ١٣.

١٩٠. سورة المؤمنون ، الآية : ١.

١٩١. الكتاب ، ٢ : ٣٠٧ . أنظر: الأزهية ، ص : ٢٢٢ ، وحروف المعاني ، ص: ٢٥٥ ؛ الصاحبي ، ص : ١٦١ ؛ شرح المفصل ، ص : ١٦١.

١٩٢. سورة المجادلة ، الآية : ١.

منتظر الوقوع . قال المالقي:" فتكون [قد] مع الماضي حرف تحقيق ، نحو قولك : قد قام زيدٌ في تقدير جواب من قال : هل قام زيدٌ أو لم يقم، فـ (قد) في تقدير الجواب حققت القيام ." (١٩٣)

وترد (قد) لتأكيد الجملة الفعلية المصدرة بفعل مضارع ، غير أنّ ذلك قليل. (١٩٤) ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قد يعلم ما أنتم عليه﴾.(١٩٥) و (قد) هنا – كما نُقل عن الزمخشري في *المغني* " دخلت لتوكيد العلم ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ." (١٩٦)

- إنْ : تأتي (إنْ) زائدة ومؤكدة في الكلام . وتطرد زيادتها بعد (ما) النافية، نحو قولك: ما إن رأيته والمعنى: ما رأيته ، " و(إنْ) لغو لم يحدث دخولها شيئاً لم يكن من قبل."(١٩٧) ومن ذلك قول الشاعر : (١٩٨)

---

١٩٣. رصف المباني ، ص : ٣٩٢.

١٩٤. نفسه ، ص : ٣٩٢ ؛ الجنى الداني ، ص : ٢٥٦.

١٩٥. سورة النور ، الآية : ٦٤.

١٩٦. المغني ،١ : ١٩٧.

١٩٧. شرح المفصل ، ٨ : ١٢٩ ؛ أنظر: الأزهية ، ص : ٤٠.

١٩٨. البيت لفروة بن مسيك. وهو في الكتاب،١ :٤٧٥؛المقتضب،١: ٥١ ؛ الأصول ،١ : ٢٣٦ ؛الخصائص ،٣ : ٢٠٨ ؛الأزهية ،ص:٤٠ ؛الجنى، ص:٣٢٧ ؛ المنصف،٣ : ١٢٨؛ شرح المفصل،٨: ١١٣؛ الرصف، ص:١١٠،٣١١ ؛ النكت،٢: ٧٨٨ ؛الصاحبي،ص :١٣٥، المغني،١: ٣٢.

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ مَنَايَانا ودُولةُ آخرينا

والمعنى : ما طِبُّنا جُبْنٌ وجاءت (إنْ) بعد (ما) لغواً وتأكيداً . قد ذهب الفرّاء إلى أنّ (ما) و (إنْ) تفيدان النفي معاً ، وجعل (إنْ) زائدة بعد (ما) على وجه المبالغة في النفي وتوكيده ، كما زيدت اللام لتأكيد الايجاب . واستند في ذلك إلى تجويزه تعدد أدوات النفي وإمكان دخولها بعضها على بعض بحيث تفيد جميعها معنى النفي وتقوّيه .[١٩٩] واستشهد على ذلك بقول الشاعر [٢٠٠] :

إلا الأوّاريَّ لا إنْ ما أُبيِّنُها والنؤى كالحوضِ بالمظلومة الجَلَد

حيث اجتمع ثلاثة حروف للنفي (لا) و (إنْ) و (ما) . غير أن جمهور النحاة أنكر مقولة الفرّاء مجمعين على أن (إنْ) بعد (ما) زائدة و(ما) وحدها للنفي ، إذ إن اجتماع حرفين للنفي يقلب المعنى من النفي إلى الايجاب.[٢٠١]

- أنْ : تزاد (أنْ) في الكلام توكيداً وتطرد زيادتها بعد (لمّا) التوقيتية ، نحو

---

١٩٩. شرح المفصل ، ٨ : ١٢٩.

٢٠٠. البيت للنابغة الذبياني وهو في الأزهية ، ص : ٧٧ ؛ شرح المفصل ، ٨ : ١٢٩.

٢٠١. شرح المفصل ، ٨ : ١٢٩- ١٣٠. وقد فسّر ابن جنّي رفض اجتماع حرفين لمعنى واحد بأنه يرى في اجتماعهما نقضاً لما اعتزم عليه من الاختصار في استعمال الحروف. أنظر:الخصائص ،٣: ١٠٧-١٠٨.

قوله تعالى:﴿ ولمّا أن جاءت رسلنا ﴾.[٢٠٢] فـ (أن) ههنا زائدة مؤكدة ، والدليل قوله تعالى في موضع آخر من السورة نفسها: (ولما جاءت).[٢٠٣]

وتزاد (أن) باطّراد بين القسم و(لو) ، وعدّها سيبويه ، متى وردت في القسم ، بمنزلة لام القسم، قال:" وأما (أنْ) فتكون بمنزلة لام القسم في قوله : أما والله أن لو فعلت لفعلت... وتكون توكيداً أيضاً في قولك: لما أن فعل ، كما كانت توكيداً في القسم ." [٢٠٤]

ومن ذلك قول الشاعر [٢٠٥] :

فَأقسِمُ أنْ لَو التَقَيْنا وأنتُمُ   لكانَ لكمْ يومٌ من الشرِّ مُظْلِمُ

وزعم الأخفش أنّ (أنْ) تنصب الفعل المضارع كما تجر (الباء) و (من) الزائدتان الاسم.[٢٠٦] غير أن الجمهور أجمع على أن لا معنى لـها سوى التوكيد كسائر الزوائد. يقول المرادي: " ولا تعمل (أنْ) الزائدة شيئاً ، وفائدة زيادتها التوكيد ." [٢٠٧]

---

٢٠٢. سورة العنكبوت ، الآية : ٣٣.

٢٠٣. نفسها ، الآية : ٣١.

٢٠٤. الكتاب،٢ : ٣٠٦ ؛١: ٤٧٥.أنظر : المقتضب، ١ : ٤٩؛ النكت،٢: ٧٥٦.

٢٠٥. البيت للمسيب بن علس . وهو في الكتاب ،١ : ٤٥٥ ؛ شرح المفصل ، ٩: ٩٤ ؛ النكت ، ٢ : ٧٥٦ ؛ المغني ، ١ : ٤٢.

٢٠٦. الجنى الداني ، ص : ٢٢٢ ؛ المغني ، ١ : ٤٢ – ٤٣.

٢٠٧. نفسه ، ص : ٢٢٢.

• ما: تزاد (ما) في الكلام لأجل التوكيد ، ويكون دخولها في الكلام كخروجها. وتطّرد زيادتها بعد (إن) و (إذا) الشرطيتين.[٢٠٨] جاء في *الكتاب* : " وتكون [ما] توكيداً لغواً ، وذلك قولك : متى ما تأتني آتك وقولك : غضبت من غير ما جُرمٍ وقال الله تعالى:﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾[٢٠٩] ،فهي لغوٌ في أنها لم تحدث إذا جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل وهي توكيد للكلام ."[٢١٠] ومن ذلك قوله تعالى:﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم﴾[٢١١] ، والمعنى : برحمةٍ ، و (ما) زائدة مفيدة التأكيد ولا تحدث أي تغيير في المعنى ، بل تقويه وتمكنه في نفس السامع ، ولو حذفناها لبقي المعنى المشار إليه متحققاً . وتظهر زيادتها من خلال عمل الخافض فيما بعده ، " فيعود الجار إلى ما بعد (ما) وعمله فيه دليل على أنها ملغاة زائدة والمعنى على فبنقضهم ميثاقهم وفبرحمة من الله إذ لا يسوغ حملها على ظاهر النفي إذ يصير المعنى إنك لنت لهم لا برحمة من الله."[٢١٢]

---

٢٠٨. الجنى ، ص : ٣٣٣.

٢٠٩. سورة النساء ، الآية : ١٥٥.

٢١٠. الكتاب ، ٢ : ٣٠٦ – ٣٠٧ . أنظر: شرح المفصل ، ٨ : ٣٣ .

٢١١. سورة آل عمران ، الآية : ١٥٦.

٢١٢. شرح المفصل ، ٨ : ١٣٤.

وتزاد (ما) بعد (إنْ) الشرطية مؤكدة للمعنى ، نحو قولك : إمّا تأتني آتك والمعنى: إن تأتني آتك ، وزيدت (ما) على (إن) لتأكيد معنى الجزاء .[٢١٣] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فإمّا ترينّ من البشر أحداً ﴾.[٢١٤] وتطرد زيادة نون التوكيد معها على الفعل للتوكيد ، ويعلل ابن يعيش ذلك ، فيقول : " زيدت (ما) على (إنْ) لتأكيد معنى الجزاءويدخل معها نون التوكيد وإن لم يكن الشرط من مواضعها لأن موضعها الأمر والنهي وما أشبههما مما كان غير موجب ... والعلة في دخولها أنها لما لحقت أول الفعل بعد (إنْ) أشبهت اللام في والله ليفعلنّ فجامعتها نونا التوكيد كما تكون مع اللام في ليفعلنّ ."[٢١٥] وتأتي (ما) زائدة مؤكدة بعد (إذا) الشرطية غير الجازمة كما في قوله قوله عزّ وجلّ : ﴿ إذاماغضبوا هم يغفرون ﴾.[٢١٦]

ونشير إلى أن مجيء (ما) زائدة بعد الشرط إنما هو لتأكيد معناه ، فبزيادتها تأخذ معنى الشرط وتؤكده دون إضافة أي معنى جديد، وحذفها لا يفسد المعنى ، إذ يبقى معنىالشرط قائماً في الكلام . يقول الهروي : "يسمّي بعض النحويين (ما) الصلة زائدة

---

٢١٣. شرح المفصل ، ٩ : ٥.

٢١٤. سورة مريم ، الآية : ٢٦.

٢١٥. شرح المفصل ، ٩ : ٥ .أنظر: الرصف ، ص : ١٠٣.

٢١٦. سورة الشورى ، الآية : ٣٧.

ولغواً، وبعضهم يسمّيها توكيداً للكلام ، ولا يسمّيها صلة ولا زائدة لئلا يُظنّ ظان أنها دخلت لغير معنى البتة . وإنما يعرف أن الحرف صلة زائدة في الكلام بأن حذفه لا يخل بالمعنى . " [٢١٧]

- لا: تزاد (لا) لمجرد تقوية الكلام وتوكيده [٢١٨]دونما أي تأثير إعرابي ، على أن تكون في موضع لا لبس فيه.[٢١٩] وهي تزاد في ثلاثة مواضع :

أولاً : بعد حرف عطف متقدم عليه نفي أو نهي ، نحو : ما قام زيدٌ ولا عمروٌ والمعنى : ما قام زيدٌ وعمرو . فالعاطف هو (الواو) و (لا) زائدة لتأكيد النفي ،" لأن الواو تُشرِك بين الاسمين والفعلين في النفي ، كما تشرك بين النوعين في الإثبات ، فلا تحتاج إلى (لا) النافية ، ولكن زيدت لضرب من التأكيد ." [٢٢٠] (فلا) المؤكدة تدخل في النفي كما في قولك : ما جاءني زيدٌ ولا عمرو" إذا أردت أنه لم يأتك واحدٌ منهما على انفراد ولا مع صاحبه ، لأنك لو قلت : لم يأتني زيدٌ وعمرو وقد أتاك أحدهما لم تكن

---

٢١٧. الأزهية ، ص : ٧٦.

٢١٨. نقل ابن فارس عن قطرب قوله: "إن العرب تدخل (لا) توكيداً في الكلام ." أنظر : الصاحبي ، ص : ١٧٠.

٢١٩. الجنى ، ص : ١٦١ ؛ شرح المفصل ، ٨ : ١٣٨.

٢٢٠. الرصف، ص: ٢٧٣. أنظر: الجنى، ص: ٣٠١ ؛ الأزهية ، ص : ١٦٠.

كاذباً."[٢٢١] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾[٢٢٢] ، والتقدير : لا تستوي الحسنة والسيئة [٢٢٣] ، إذ إن المعنى يتحقق لو جاءت الآية على (ولا تستوي الحسنة والسيئة) .فـ (لا) زيدت هنا لتقوية النفي أي تأكيد عدم استواء الحسنة والسيئة .

ونشير هنا إلى أن تكرار أداة النفي (لا) في الجملة يدل على أن النفي منصبٌ على مضمون كل من الجملتين على حده ، لا على نفي اجتماع مضمونهما معاً ، وإن كان المعنى قد يومىء إلى ذلك . فقولك : ما جاءني زيدٌ ولا عمرو يعني عدم مجيء زيد وعمرو منفردين أو مجتمعين . وقولك : ما جاءني زيد وعمرو يعني عدم مجيئهما معاً ، في حين يُفهم منه احتمال اتيان كل منهما على حده .

ثانياً: بعد (أن) المصدرية في سياق نفي: قال سيبويه:"وأمّا (لا) فتكون كما في التوكيد واللغو قال الله تعالى:﴿لِئَلاَّ يَعلَمَ أهلُ الكتابِ ألاَّ يَقدِرونَ على شيءٍ﴾[٢٢٤]

---

٢٢١. المقتضب ، ٢ : ١٣٤ – ١٣٥.

٢٢٢. سورة فصلت ، الآية : ٣٤.

٢٢٣. الأصول ،١ : ٢٧٩ ، ٤٠٢.

٢٢٤. سورة الحديد ، الآية : ٢٩.

أي لأن يعلم ." [٢٢٥] ومن ذلك قوله تعالى :﴿ما منعك ألاّ تسجد ﴾.[٢٢٦] ومعناه : أن تسجد أي ما منعك من السجود . وزيدت (لا) من أجل التوكيد . [٢٢٧] ومن ذلك قول الشاعر [٢٢٨] :

وتَلْحيْنني في اللَّهوِ أن لا أُحِبَّهُ   وللّهو دَاعٍ دائبٌ غيرُ غَافِلِ

والتقدير: يلحينني في اللهو أن أحبه ، و (لا) دخلت زائدة مؤكدة . [٢٢٩]

ثالثاً قبل القسم : نحو قوله تعالى:﴿ لا أقسم بهذا البلد﴾.[٢٣٠] وقوله تعالى:﴿لا

---

٢٢٥. الكتاب،٢ : ٣٠٦. أنظر: الأصول، ٣ : ١٧٢ ؛شرح المفصل ،٨ : ١٣٦.

٢٢٦. سورة الأعراف ، الآية : ١٢.

٢٢٧. الأزهية ، ٦٠ ، ١٦٠-١٦١.أنظر: الرصف ، ص :٣٧٤ ؛الصاحبي ، ص: ١٧٠ ؛ أسرار النحو، ص: ٢٥٧ ؛الجمل في النحو، ص : ٣٠١-٣٠٢ ؛ المغني ، ١ : ٢٧٥.

٢٢٨. البيت للأحوص وهو في الجنى، ص: ٣٠٢؛ الأزهية ، ص : ١٦٥ ؛ المغني ، ١ : ٢٧٥.

٢٢٩. الصاحبي ، ص :١٧١. أنظر الأزهية ، ص :١٦٤ ؛ شرح المفصل، ٨ : ١٣٦-١٣٧؛ المغني ١ : ٢٧٥.

٢٣٠. سورة البلد ، الآية : ١.

أقسم بيوم القيامة﴾.[٢٣١] فـ(لا) زائدة ومؤكدة والمعنى أقسم ، ودخلت(لا) لتوكيد القسم وتمكينه في نفس السامع . [٢٣٢] وأنكر الفراء كون (لا) زائدة في مثل هاتين الآيتين ذاهباً إلى أن لا تكون زائدة في أول الكلام . وعدّها بمثابة رد لكلام من المشركين متقدم ، كأنهم أنكروا البعث فقيل لهم : لا ليس الأمر كما تقولون ثم أوتي بالقسم . [٢٣٣]

• الفاء : تأتي (الفاء) زائدة للتوكيد في خبر كل ما يحتاج إلى صلة[٢٣٤]،نحو قوله تعالى:﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾.[٢٣٥] فدخلت (الفاء) في خبر (الذين) للتوكيد.[٢٣٦] وقد تدخل (الفاء) زائدة للتوكيد في ما لا يحتاج إلى صلة ، نحو قول الشاعر [٢٣٧] :

وحتّى تركْتُ العائداتِ يَعُدْنَهُ يقُلْنَ : فلا يَبْعَد ، وقلْتُ لهُ : ابْعَد

---

٢٣١. سورة القيامة ، الآية : ١.

٢٣٢. الأصول،١ :٤٠١.أنظر:شرح المفصل ،٨: ١٣٦ ؛الصاحبي ، ص :١٧٠.

٢٣٣. الأزهية ، ص : ١٦٣.

٢٣٤. الأزهية ، ص : ٢٥٥.

٢٣٥. سورة البقرة ، الآية : ٢٧٤.

٢٣٦. الأزهية ، ص : ٢٥٥-٢٥٦.

٢٣٧. البيت لحاتم الطائي وهو في الأزهية، ص : ٢٥٦.

فجاءت الفاء زائدة للتوكيد ولو حذفت كان معنى الكلام صحيحاً وتاماً . (٢٣٨)

• اللام : للاّم معان كثيرة تؤدّيها حسب ورودها في السياق ، من هذه المعاني "أن تكون للتأكيد أي لتمكين المعنى في النفس ." (٢٣٩) وهي تفيد هذا المعنى في مواضع عدّة تبعاً لمجيئها في الجملة ، بحيث تكتسب اسمها من خلال دورها أو موقعها .

تدخل اللاّم على الجملة الاسمية دون أن تحدث تغييراً في نظامها ، أو في الحالة الاعرابية للمسند أو المسند إليه لأنها غير عاملة ، فتدعى لام الابتداء . "وهذه اللام أكثر اللامات تصرفاً ومعناها التوكيد ، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك . "(٢٤٠) وهي بدخولها على الجملة الاسمية تجعل نظامها ثابتاً ، فلا يجوز إعادة ترتيب ركني الاسناد . يقول الزجاجي : "لام الابتداء تدخل على الابتداء والخبر مؤكدة ومانعة ما قبلها من تخطيها إلى ما بعدها ، كقولك : لأَخوك شاخصٌ ، ولَزيدٌ قائم ." (٢٤١) ولشدّة دلالة هذه اللام على توكيد مضمون الجملة التي تتصدرها ، قرن بعضهم بينها وبين لام القسم.

---

٢٣٨. الأزهية ، ص : ٢٥٦.

٢٣٩. رصف المباني ، ص : ٢٣١.

٢٤٠. شرح المفصل ، ٩ : ٢٥ . أنظر: الجنى ، ص : ١٢٤.

٢٤١. اللاّمات للزجاجي ، ص : ٦٩.

جاء في *اللاّمات* : "هذه اللام لشدّة توكيدها وتحقيقها ما تدخل عليه يُقدّر بعض الناس قبلها قسماً فيقول هي لام القسم، كأن تقدير قوله : لَزيدٌ قائم والله لزيدٌ قائم ، فأضمر القسم ودلّت عليه اللام ." [٢٤٢] وليس في ذلك من تناقض البتّة ، ذلك أن اللامين تتفقان في نواح عدةّ منها أن اللفظ بهما سواء ، إذ إنّ كليهما مفتوحتان تدخلان على الجملة وتفيدان التحقيق والتوكيد . ولا يفرق بينهما إلا من خلال المعنى الذي به يُستدل على القصد . فإذا أفاد معنى القسم ، ذكر أم لا ، تكون لام القسم وإلا كانت لام الابتداء.[٢٤٣]

وإذا دخلت لام الابتداء على جملة اسمية مصدّرة بـ (إنّ) ، تفقد حقّها في الصدارة وتزحلق إلى الخبر ، فيطلق عليها عندئذ اللاّم المزحلقة . [٢٤٤] وهي زحلقت عن مركز الصدارة لأن العرب كرهت اجتماع حرفين للتأكيد في صدر الكلام : اللام وإنّ ، فنقلت الأولى إلى ما تأخر من معمولي (إنّ) ، وأُبقيت الثانية في بداية الكلام.[٢٤٥] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إنّ ربي لسميع الدعاء﴾ [٢٤٦] ،فاللاّم في الآية الكريمة نقلت من موضعها

---

٢٤٢. اللاّمات ، ص : ٧٠.

٢٤٣. أنظر تفصيل ذلك في اللاّمات ، ص : ٧٠-٧١.

٢٤٤. يطلق عليها الزجاجي لام إن . أنظر: اللامات ، ص : ٦٠.

٢٤٥. رصف المباني ، ص: ٢٣٣ . أنظر: الخصائص ،١ : ٣١٤ .

٢٤٦. سورة ابراهيم ، الآية : ٣٩.

الأساسي تاركة الصدارة لـ (إنّ) ، لأنه ليس في الكلام حرفان لمعنى واحد مجتمعان.[٢٤٧]

وتدخل اللاّم على النفي لتوكيده ، وهي تُسبق بـ (كان) المنفية نحو قوله تعالى: ﴿ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل﴾. [٢٤٨] " ومعنى اللاّم تأكيد النفي وأن الايمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر ."[٢٤٩] قال الزمخشري : "فاللاّم لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم."[٢٥٠] وزيدت اللاّم مؤكدة في جواب (لو) الشرطية، ومعنى التوكيد هنا توكيد ارتباط الجملتين ببعضهما البعض ، نحو قولك : لو جئتني لأكرمتك ، فاللاّم زيدت لتؤكد ارتباط جملة (أكرمتك) بجملة (لو جئتني) . [٢٥١] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم﴾.[٢٥٢]والدليل على زيادتها مجيء (لو) بحذف اللاّم كما في قوله تعالى:﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾.[٢٥٣]

---

٢٤٧. سر الصناعة ، ١ : ٣٧٣.

٢٤٨. سورة الأعراف ، الآية : ١٠١.

٢٤٩. الكشاف ، ٢ : ١٠٠.

٢٥٠. نفسه ، ٢ : ٢٢٨ .

٢٥١. سر الصناعة ، ١ : ٣٩٣ . أنظر: شرح المفصل ، ٩ : ٢٢.

٢٥٢. سورة الإسراء ، الآية : ١٠٠.

٢٥٣. سورة الواقعة ، الآية : ٧٠.

ونظير ذلك زيادتها في جواب لولا نحو قوله تعالى:﴿ ولولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾.(٢٥٤)

وتزاد اللاّم بغرض التوكيد قبل الفعل المضارع ، فتنصب المضارع بـ (أن) المضمرة كما في الآية الكريمة : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾. (٢٥٥) يرى الزمخشري في سياق تفسيره للآية الكريمة : ﴿ يريد الله ليبيّن لكم ﴾. (٢٥٦) إن أصل المعنى يريد الله أن يبيّن لكم ، فزيدت اللاّم مؤكدة لإرادة التعيين كما زيدت في لا أبالك.(٢٥٧)

وتقحم اللاّم بين الشيئين المتلازمين لتقوية المعنى وتأكيده ، كما اللاّم الواقعة بين المضاف والمضاف إليه ، نحو قول الشاعر (٢٥٨) :

ومِنَ البَلِيّةِ لا أبالَك أنَنّي ضربتْ عليَّ الأرضُ بالأسْدادِ

فاللاّم زيدت هنا لضرب من التوكيد ، والتقدير : لا أباك . (٢٥٩) ويرى سيبويه أن اللاّم

---

٢٥٤. سورة سبأ ، الآية : ٣١.

٢٥٥. سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣.

٢٥٦. سورة النساء ، الآية : ٢٦.

٢٥٧. الكشاف . ١ : ٣٩٢.

٢٥٨. البيت للأسود بن يعفُر .وهو في اللاّمات ، ص : ١٠٣.

٢٥٩. اللاّمات، ص:١٠٣.يقول الزجاجي:"وكذلك من قال:لا أبالك، فإنما زاد اللاّم بين المضاف إليه مقحمة للتوكيد على ما ذكرنا في قوله: يا تيمَ تيمَ عديٍّ".

أدخلت ههنا بين المضاف والمضاف إليه مشدّدة معنى الاضافة ومؤكدة له .[٢٦٠] ويستدل الزجاجي على زيادتها بحذفها في مثل قول الشاعر [٢٦١] :

وقدْ ماتَ شمّاخُ وماتَ مُزَرِّدٌ   وأيُّ عزيزٍ لا أباكَ يُخلَّدُ

واعتبر الزمخشري هذه اللاّم " مانعة للإضافة فاكّة لتركيبها لفصلها بين ركنيها المضاف والمضاف إليه، وهي مع ذلك مؤكدة لمعناها مؤيدة لفائدتها من حيث أنها موضوعة لإعطاء معنى الإختصاص ." [٢٦٢]

تأتي اللاّم مقحمة للتوكيد بين المنادى والمضاف إليه ، نحو قول الشاعر [٢٦٣] :

يا بُؤسَ للحرْبِ التي   وضَعَتْ أرَاهِطَ فاستَراحوا

---

٢٦٠. اللاّمات ، ص : ١٠٣.

٢٦١. البيت لمسكين الدرامي واسمه ربيعة بن عامر وهو من شواهد الكتاب،١: ٣٤٦؛ اللاّمات ، ص : ١٠٣ ؛ النكت، ١: ٥٩٨ ؛ المقتضب ، ٤: ٣٧٥ ؛ شرح المفصل ، ٢: ١٠٥.

٢٦٢. الأحاجي النحوية للزمخشري ، ص : ٤٣ – ٤٤.

٢٦٣. البيت لسعد بن مالك وهو في الكتاب ،٢ : ٢٠٧ ؛ اللاّمات، ص : ١١٠ ؛ الخصائص ، ٣ : ١٠٦ ؛ الرصف ، ص : ٢٤٤ ؛ الجنى ، ص : ١٠٧ ؛ شرح المفصل ، ٥ : ٧٢ ؛ المقتضب ، ٤ : ٢٥٣ ؛ اللسان (رهط).



فاللاّم مقحمة بين المضاف والمضاف إليه والتقدير: يا بؤس الحرب . " إلا أنهم أبقوا الإضافة وزادوا اللاّم توكيداً للتخصيص ." [٢٦٤] فأُدخلت اللاّم بين المضاف و المضاف إليه توكيداً لأن الإضافة بمعنى اللاّم . [٢٦٥] واعتبر سيبويه هذه اللاّم بمنزلة تكرير الاسم، قال : "وصارت اللاّم بمنزلة الاسم الذي ثُني به في النداء ، ولم يغيّروا الأول عن حاله قبل أن تجيء به ، وذلك قولك: يا تيم تيم عدي. "[٢٦٦]

ومن أمثلة ذلك اعتراض اللاّم المؤكدة بين الشيئين المتلازمين مجيئها زائدة بين الفعل والمفعول به ، نحو قوله في الآية الكريمة :﴿ قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعملون ﴾.[٢٦٧] والتقدير: ردفكم واقحمت اللاّم توكيداً وتقوية للمعنى .[٢٦٨]

---

٢٦٤. الرصف، ص: ٢٤٤. أنظر:الجنى، ص : ١٠٧؛سر الصناعة ،١ : ٣٣٢.

٢٦٥. الأصول ،١ : ٣٨٩ يقول ابن السراج : "إنما يجوز في اللاّم وحدها أن تقحم بين المضاف والمضاف إليه لأن معنى الإضافة معنى اللاّم ، ألا ترى أنك إذا قلت: غلام زيد، معناه: غلام لزيد. أنظر: النكت ،١ : ٥٩٨.

٢٦٦. الكتاب ،١: ٣٤٦.وجاء في المقتضب،٤ : ٣٧٣: "كما وقع في النداء في قولك : يا بؤس للحرب إذا كانت اللاّم تؤكد الإضافة ، كما يؤكدها الإسم إذا كرر كقولك: يا تيم تيم عديٍّ . وذلك قولك : لا أبالك ."

٢٦٧. سورة النحل ، الآية : ٧٢.

٢٦٨. الرصف، ص:٢٤٦ ؛الجمل في النحو،ص:٢٦٧ ؛ أسرار النحو، ص:٢٧٨.

ومن ذلك قوله في الآية الكريمة :﴿وانصح لكم ﴾. [٢٦٩] والمعنى : أنصحكم وزيدت اللاّم توكيداً ، " يقال نصحته ونصحت له ، وفي زيادة اللاّم مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة ، وإنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه ." [٢٧٠]

• كان : تأتي زيادة (كان) على ضربين . الأول أن يُلغى عملها مع احتفاظها بدلالتها على الزمن ، وهذا الضرب أشار إليه السيرافي بقوله : " إنه ليس المعنى بذلك أن دخولها كخروجها في كل معنى ، وإنما يعني بذلك أنه ليس لها اسم ولا خبر ، ولا هي لوقوع شيء مذكور ولكنها دالة على زمان ."[٢٧١] ومن ذلك قولك : ما أحسن كان زيداً.

فـ (كان) هنا ملغاة من حيث العمل إذ لا اسم لها ولا خبر ، دون أن تفقد دلالتها الزمان، ذلك أنها تدل على أن الحدث كان فيما مضى . [٢٧٢] وهذه لا تفيد التوكيد .

والضرب الثاني هو زيادتها في الكلام توكيداً[٢٧٣] ، مع الغائها عن العمل والمعنى

---

٢٦٩. سورة الأعراف ، الآية : ٦٣.

٢٧٠. الكشاف ، ١ : ٥٥٣.

٢٧١. شرح كتاب سيبويه،٢: ٣٥٤-٣٥٥. ونقله ابن يعيش في شرح المفصل، ٧: ٩٩ على شيء من الاختلاف.

٢٧٢. شرح المفصل ٧ : ١٠٠.

٢٧٣. اللمع ، ص : ٣٨ ؛ الأزهية ، ص : ١٩٧ ؛ شرح المفصل ٧ : ١٠٠ ؛ الأصول ، ١ : ٩٢.

معاً ، نحو قوله تعالى في الآية الكريمة :﴿ كيف نكلّم من كان في المهد صبياً ﴾.[٢٧٤]

والتقدير: كيف نكلّم من في المهد صبياً ، " ولو انتصب [صبياً] بخبر كان لم يكن لعيسى عليه السلام فضل على سائر الناس ، لأن جميع الناس كانوا في المهد صبياناً ، فالآية في أمر عيسى عليه السلام أنه كلّم الناس في المهد صبياً ، لا أنه كلمهم وقد كان قبل ذلك في المهد صبياً. " [٢٧٥] ومن ذلك زيادتها مؤكدة بين الفعل والفاعل ، نحو قولهم : "ولدت فاطمة بنت الخُرْشُب الكملة من بني عَبْسٍ لم يوجد كان مثلهم . " [٢٧٦]

وجاءت زائدة مؤكدة كذلك بين الصفة والموصوف كما في قول الشاعر [٢٧٧] :

فكيفَ إذا مررْتُ بدارِ قوْمٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ

فكان زائدة للتوكيد لا اسم لها ولا خبر . والمعنى : وجيران لنا كرام ، بجر (كرامٍ) على

---

٢٧٤. سورة مريم ، الآية : ٢٩.

٢٧٥. الأزهية ، ص : ١٩٨ . أنظر : شرح المفصل ، ٧ : ٩٩- ١٠٠.

٢٧٦. المقتضب ،٤ : ١١٧.وجاء في شرح المفصل ،٧ : ١٠٠شرح هذا القول: " فالمراد بالكملة الجماعة ... والمراد أن هذه المرأة ولدت الجماعة المشهورين بالكمال الذين لم يوجد مثلهم في الكمال والفضل وكان زائدة. "

٢٧٧. الشاهد للفرزدق وهو في الكتاب، ١ : ٢٨٩ ، المقتضب ٤ : ١١٦ ؛ الصاحبي ، ص:١٦٥ ؛الأزهية ،ص:١٩٧؛ اللسان (كون) ؛ شرح الأشموني ، ١: ١١٧؛ شرح ابن عقيل ، ص : ١٣٢، مغني اللبيب ، ١ : ٣١٦.

أنها نعت للجيران مع إلغاء عمل (كان) وإلا لقال : كانوا كراماً . [٢٧٨]

هكذا ، فـ (كان) حين تزاد للتوكيد تفقد دلالتها على الزمان مع فقدانها عملها ، " فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزمان لكانت كالناقصة ولم يكن للعدول إلى جعلها زائدة فائدة."[٢٧٩] فقولك : إن من أفضلهم كان زيداً معناه : إن من أفضلهم زيداً وزيدت (كان) لضرب من التأكيد إذ المعنى الآن هو أفضلهم أو من أفضلهم ، وليس ذلك فيما مضى وإلاّ فقدت الجملة دلالتها على المدح . [٢٨٠] وهذا ما رمى إليه ابن السراج ذهب إلى أن إنّ حق الزائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولاً ولا يحدث معنى سوى التأكيد . [٢٨١] ولهذااعتبر (كان) زائدة مؤكدة في قولهم : زيدٌ كان منطلقٌ وأجاز الغاءها لاعتراضها بين المبتدأ أو الخبر . [٢٨٢] وعلى ضوء ذلك يُفسّر قوله في الآية الكريمة :﴿ قال وما علمي بما -كانوا-يعملون ﴾[٢٨٣] ، والمعنى :وما علمي بمايعملون ، لأنه قد كان عالماً بما

---

٢٧٨. الأزهية، ص: ١٩٨.ورد المبرد هذا القول زاعماً أن كان هنا عامله واسمها الواو . التي فيها وخبرها لنا على تقدير : وجيران ، كانوا لنا كرام . أنظر :المقتضب ٤ :١١٦-١١٧.

٢٧٩. شرح المفصل ، ٧ : ٩٩.

٢٨١. الأصول ، ١: ٩٢. أنظر : شرح المفصل ،٧ : ٩٩.

٢٨٢. الأصول في النحو ، ٢ : ٢٥٩ . أنظر : شرح المفصل ، ٧: ٩٩.

٢٨٣. سورة الشعراء ، الآية : ١١٢.

عملوه وهو إيمانهم به . (٢٨٤)

٣. *حروف الجواب*

مما يضاف إلى الجملة بقصد توكيد ما أتت به أحرف الجواب . فهذه الحروف تأتي مصدّقة لما سبقها من كلام منفي أو مثبت . (٢٨٥) وفي ما يلي عرض لهذه الحروف.

أولاً: (نعم) : معنى (نعم) العدّة والتصديق (٢٨٦) ، فهي " لتصديق مخبر أو اعلام مستخبر أو وعد طالب ." (٢٨٧) قال السهيلي : " وأمّا (نعم) فتصديق لحديث متقدّم ، فإن كان موجباً فقد صدّقت إيجابه ، وإن كان نفياً فقد صدّقت نفيه . يقال : الخمر حرامٌ ، فتقول : نعم ، ويقال: ليست الخمر حلالاً ، فتقول : نعم ، أي الأمر كما ذكرت . فقد صدّقت النفي كما صدّقت الإيجاب ." (٢٨٨) فـ (نعم) جاءت لتصديق المعنى الذي أتت به

---

٢٨٤. الصاحبي ، ص : ١٦٥.

٢٨٥. المفصل ، ص : ١٦٩.

٢٨٦. الكتاب ، ٢ : ٣١٢.

٢٨٧. الجنى،ص: ٥٠٦. من أمثلة التصديق قولك:نعم لمن قال:قام زيدٌ واعلام المستخبرقولك: نعم لمن سأل: هل جاء زيدٌ والوعد قولك: نعم لمن قال: أضرب زيداً أي نعم أضربه.أنظر:الجنى ،ص: ٥٠٦؛الرصف،ص:٣٦٤.

٢٨٨. أمالي السهيلي ، ص :٤٤.

الجملة وتحقيقه ايجاباً أو نفياً . فعندما تجيب على سؤال من قال : ضربت زيداً أو قتلت عمراً ؟ بنعم ، فالمعنى : قد ضربت زيداً أو قتلت عمراً ، فإنك تجيب على السؤال وتصدّقه. [٢٨٩] ومن ذلك قوله في الآية الكريمة :﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾.[٢٩٠] وقد تجتمع مع الكلام توكيداً كما في قولهم : هل ضربت زيداً ؟ تقول : نعم ضربت زيداً . وتأتي (نعم) في صدر الجملة للتوكيد ، نحو : نعم هذه أطلالهم .[٢٩١]

ثانياً: (بلى) : تختص (بلى) بالنفي وتبطله . فهي لا تقع أبداً إلاّ إضراباً عن نفي ، ومن أضرب عن النفي فقد أراد الإيجاب [٢٩٢] ، نحو قوله في الآية الكريمة :﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾. [٢٩٣] فالعرب أجرت النفي مع التقرير مُجرى النفي المجرّد في ردّه بـ(بلى)، ولذا قال ابن عباس: " لو قالوا (نعم) لكفروا ، لأن (نعم) لتصديق المخبر في

---

٢٨٩. رصف المباني ، ص : ٣٦٤.

٢٩٠. سورة الأعراف ، الآية : ٤٤.

٢٩١. الجنى الداني ، ص : ٥٦ . أنظر: المغني ، ٢ : ٣٩٨. وقيل: إنما هي في صدر الجملة حرف اعلام وتذكير.

٢٩٢. أمالي السهيلي ، ص : ٤٥.

٢٩٣. سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢.

الإيجاب والنفي ."[٢٩٤] فهم باجاباتهم بـ (نعم) يكونون قد صدقوا النفي فيقعون في الكفر ، بينما "(بلى) تنفيه وتُوجب الجواب ، فيكون المعنى على (نعم) : لست ربنا وعلى (بلى) : بل أنت ربنا ، فخرج من هذا أن (نعم) لا تقع في مواضع (بلى) ، وأن (بلى) تقع في مواضع (نعم) ، إذ لا يقع قبلها الموجب . " [٢٩٥]

والواقع أنه كثر اللغط فيما يخص استعمال (نعم) و (بلى) ، إذ كثيراً ما توضع أحدهما موضع الأخرى ، لذا فقد عمد علماء اللغة إلى تبيان الفرق الدلالي بينهما . [٢٩٦] جاء في *المقتضب* : "إنما الفصل بين (بلى) و (نعم) أنّ (نعم) تكون جواباً لكل كلام لا نفي فيه ، و (بلى) لا تكون جواباً إلا لكلام فيه نفي ." [٢٩٧] انبرى ابن يعيش ليوضح الفرق بينهما : " أمّا (بلى) فيوجب بها بعد النفي ، فهي ترفع النفي وتبطله وإذا رفعته فقد أوجبت نقيضه ، وهي أبداً توجب نقيض ذلك المنفي المتقدّم ولا يصح أن توجب إلا بعد رفع النفي وإبطاله ، وأمّا (نعم) فانها تبقي الكلام على ايجابه ونفيه لأنها وضعت

---

٢٩٤. الجنى الداني ، ص : ٤٢٢ . أنظر: المغني ، ١ : ١٣١.

٢٩٥. رصف المباني ، ٣٦٤ – ٣٦٥.

٢٩٦. أنظر: في ذلك الجمل للزجاجي، ص: ٣٣٣ – ٣٣٤ ؛ شرح الجمل ، ص:٤٠٨ وأمالي السهيلي ٩٤ وشرح المفصل ٨ : ١٢٣.

٢٩٧. المقتضب ، ٢ : ٣٣٢.

لتصديق ما تقدّم من إيجاب أو نفي من غير أن ترفع ذلك وتبطله ." [٢٩٨]

ثالثاً: (أجل) : لا تأتي (أجل) في الكلام إلا جواباً في الطلب والخبر، " وتكون لتصديق الخبر ولتحقيق الطلب." [٢٩٩] فأمرها أمر (نعم) في التصديق . [٣٠٠] إنّ (أجل) يؤتى بها، حين ترد جملة خبرية تتضمن خبراً يقينياً يحتاج إلى ما يؤكده ، فتكون جواباً يؤكد ما يقول السائل مثبتاً . وهي لا تكون جواباً للنفي ولا للنهي .[٣٠١] فيما ذهب بعضهم إلى أنها "لتصديق الخبر ماضياً كان أو غيره ، موجباً أو غيره،ولا تجيء جواباً للاستفهام."[٣٠٢]

رابعاً: (جير) : اختلف فيها النحاة ؛فمنهم من اعتبرها حرفاً بمعنى نعم [٣٠٣] ،

---

٢٩٨. شرح المفصل ، ٨ : ١٢٣.

٢٩٩. الجنى الداني ، ص: ٣٥٩ – ٣٦٠ .أنظر: المفصل ، ص : ١٧٠ ؛ المغني ، ١ : ٢٧.

٣٠٠. شرح المفصل، ٨ : ١٢٤ . أنظر : المغني، ١ : ٢٧.

٣٠١. رصف المباني ، ص : ٥٩ ؛ الجنى الداني ، ص : ٣٦٠.

٣٠٢. الجنى ، ص : ٣٦٠ – ٣٦١.

٣٠٣. رصف المباني ، ص : ١٧٦ ؛ الجنى الداني ، ص : ٤٣٣.

ومنهم من عدّها اسماً بمعنى حقاً .[٣٠٤] وقيل هي اسم فعل بمعنى اعترف .[٣٠٥] والرأي الأول هو الأرجح ،" لأن كل موضع وقعت فيه (جير) يصلح أن تقع فيه (نعم) ، وليس كل موضع وقعت فيه (نعم) يصلح أن تقع فيه (حقاً). فالحاقها بـ (نعم) أولى. "[٣٠٦] ومن أمثلة مجيئها توكيداً للكلام قول الشاعر [٣٠٧] :

وقائلةٍ : أسَيْتُ فقُلْتُ : جَيْرِ ... أَسِيٌّ إنّني مِنْ ذَاكَ إنَّه

وربما جُمع بين (أجل) و (جير) لمزيد من التأكيد كما في قول الشاعر [٣٠٨] :

وقُلْنَ على الفِرْدَوْسِ أوّلَ مَشْرَبِ ... أجَلْ جَيْرِ ، إنْ كانَتْ أُبيحَتْ دَعَاثِرُهُ

وذهب المالقي إلى " أنها اسم بمعنى حقاً متضمّنة معنى القسم ، إذ هي عوض منه وفيها

---

٣٠٤. الصاحبي ، ص : ١٥٢ ؛ الرصف ، ص : ١٧٦.

٣٠٥. شرح الكافية ، ٢ : ٣٤١.

٣٠٦. الجنى الداني ، ص : ٤٣٣-٤٣٤ . هذا إلى أدلة أخرى ينقلها المرادي تؤيد رأيه القائل بحرفيتها.

٣٠٧. نسب إلى ذي الرمة وهو في الجنى الداني، ص :٤٣٥ ؛الرصف ، ص : ١٢٤ ، ١٧٧ ؛ الصاحبي ، ص : ١٥٣؛ المغني ، ١ :١٣٩.

٣٠٨. البيت لطفيل الغنوي وهو في شرح المفصل ، ٨ : ١٢٢ ؛الجنى ، ص : ٣٦٠ ، ٤٣٤ ؛ المغني ، ١ : ١٣٨ ؛ المفصل ، ص : ١٧٠.

معنى التوكيد ، فتقول: جير لأفعلنّ كما تقول : حقاً لأفعلن ." [٣٠٩] و (جير) ، سواء كانت حرفاً أو اسماً ، تفيد تقرير المعنى وتوكيده متى دخلت في سياق الكلام.

خامساً: (إي) : هي حرف جواب كـ(نعم) و(جير) . [٣١٠] غير أنها مختصة بالقسم ، فلا تستعمل في سواه ، [٣١١] يقول المالقي : "اعلم أن (أي) المذكورةلا تقع في الكلام إلاّ جواباً مع المقسم به قبله . " [٣١٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويستنبؤنك أحقٌ هو قل إي وربي إنّه لحق﴾.[٣١٣] فمعنى (إي) الاثبات والتوكيد ، وقيل هي بمعنى حقاً[٣١٤]، وهذا لا يتنافى مع دورها في توكيد المعنى حين ترد جواباً ، كما في قولك : هل جاء زيدٌ؟ فتجيب : إي والله أو إي وربي بمعنى نعم وربي . [٣١٥]

---

٣٠٩. رصف المباني ، ص :١٧٦ – ١٧٧.

٣١٠. شأنها شأن نعم في جعلها لتصديق مخبر أو إعلام مستخبر أو وعد طالب. أنظر: الجنى الداني، ص : ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ المغني، ١ : ٨٩.

٣١١. المفصل،ص: ١٧ ؛شرح المفصل، ٨ : ١٢٤ ؛ المغني، ١ : ٨٩.

٣١٢. رصف المباني ، ص : ١٣٦.

٣١٣. سورة يونس ، الآية : ٥٣.

٣١٤. رصف المباني ، ص : ١٣٦.

٣١٥. الصاحبي ، ص : ١٣٣.

سادساً: (إنّ) : تأتي (إنّ) حرف جواب بمعنى أجل ونعم [٣١٦] ، وتقع بعد الطلب والخبر ولا تحدث أي أثر اعرابي في الجملة الداخلة عليها . جاء في *الكتاب* :" أمّا قول العرب في الجواب إنّه ، فهو بمنزلة أجل . وإذا وصلت قلت : إنّ يا فتى ، وهي التي بمنزلة أجل."[٣١٧] ومن ذلك قول القائل لابن الزبير : لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال : إنّ وراكبها ، والمعنى أجل ولعن راكبها أو نعم ولعن راكبها . [٣١٨]

٤. *التوكيد بالحروف المشبّهة بالفعل*

• إنّ: تدخل (إنّ) على الجملة الاسمية ، فلا تغيّر شيئاً في وظيفة المسند إليه، وإنْ غيرت حالته الاعرابية من الرفع إلى النصب . وقد لفت هذا بعض النحاة فاعتبروا " أنها مع اسمها في موضع مبتدأ، إذ لم تغيّر معناه وإن كانت ناصبة ." [٣١٩] وهي بذلك لاتغيّر في معنى الابتداء شيئاً ، إنما تزيده قوّة وتمكيناً في ذهن السامع، وهذا زائد على

---

٣١٦. حروف المعاني ، ص : ٥٦ ؛ الجنى الداني ، ص : ١٩٨ ، المغني ١ : ٤٧ ؛رصف المباني ، ص : ١٢٤.

٣١٧. الكتاب، ٢ : ٤٧٤.

٣١٨. الجنى، ص: ٣٩٨- ٣٩٩؛ حروف المعاني، ص: ٥٦ ؛المغني، ١ : ٤٧.

٣١٩. رصف المباني، ص : ١٢٢.

معنى الابتداء ، إلا أنه لا يلغيه أو ينقضه . [٣٢٠] فقولك : إن زيداً قائمٌ بمعنى زيدٌ قائم، إلاّ أنّ دخول (إنّ) يضفي المزيد من القوة على المعنى . [٣٢١] فـ (إنّ) يؤتى بها لتأكيد مضمون الجملة وتحقيقه . [٣٢٢]

وتدخل اللاّم على خبر (إنّ) مبالغة في التوكيد ، "والزيادة في التوكيد جائز أن يؤتى بها وجائز ألاّ يؤتى بها ، فإذا أُتي بها كان أشدّ للتوكيد وأبلغ ، وإذا لم يؤت بها كان في (إنّ) كفاية ." [٣٢٣] إذن قد يُكتفى بـ (إنّ) للدلالة على توكيد مضمون الجملة، إنما يؤتى باللاّم زيادة في التوكيد وتشديداً له . يقول ابن يعيش : "إنّا إذا قلنا : زيدٌ قائم فقد أخبرنا بأنه قائم لا غير ، وإذا قلنا : إن زيداً قائم فقد أخبرنا عنه بالقيام مؤكداً كأنه في حكم المكرر، نحو: زيدٌ قائم ، زيدٌ قائم . فإن أتيت باللاّم كان كالمكرر ثلاثاً فحصلوا على ما أرادوا من المبالغة في التوكيد . "[٣٢٤] وذهب الزجاجي إلى أن اللاّم تدخل توكيداً للخبر ، أمّا (إنّ) فهي توكيدٌ للجملة برمتها . قال: " اعلم أنّ لام إنّ تدخل مؤكدة للخبر،

---

٣٢٠. رصف المباني ، ص : ٢٣٣.

٣٢١. شرح كتاب سيبويه ، ٢ : ٦٤.

٣٢٢. المفصل ، ص : ٢٩٣.

٣٢٣. اللاّمات ، ص : ٦٥.

٣٢٤. شرح المفصل ، ٨ : ٦٣.

كما تدخل إنّ في قولك : إن زيداً قائمٌ ، وإن زيداً لقائمٌ، دخلت اللاّم في الخبر مؤكدة كما دخلت (إنّ) مؤكدة للجملة . " [٣٢٥]

وقد تخفّف(إنّ) فتلزمها اللاّم غالباً نحو قوله تعالى :﴿وإنْ وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾[٣٢٦] ، وهي تبقى دالة على التوكيد، " إلاّ أنّ لام التوكيد تلزمها عوضاً لما ذهب فيها، فتقول: إنْ زيداً لقائم ، ولا بد من اللاّم إذا خففت كأنهم جعلوها عوضاً ولئلا تلتبس بالنفي." [٣٢٧] وجعل الزجاجي اللاّم الداخلة في الآية الكريمة:﴿وإنْ كان مكرهم لتزول فيه الجبال ﴾. [٣٢٨] للتوكيد باعتبارها اللاّم التي تلزم في خبر (إنْ) المخففة من الثقيلة، وتفصل بينها وبين النافية . فدخلت في هذا الموضع لتعظيم مكر الكافرين . [٣٢٩]

---

٣٢٥. اللاّمات ، ص : ٦٠. وقد أنكر المالقي ما ذهب إليه الزجاجي مستدلاً بدخول اللاّم على غير الخبر.أنظر:رصف المباني، ص : ٢٣٤-٢٣٥.

٣٢٦. سورة الأعراف ، الآية : ١٠٢.

٣٢٧. الأصول،١ : ٢٢٩.أنظر:اللاّمات ، ص:١١٨-١١٩؛ المقتضب ،١: ٥٠. ويجوز في (إنْ) الإلغاء والأعمال كالثقيلة ، فإذا أُعلمت لم تلزم اللاّم في الخبر كالمثقلة، وإذ ألغيت لزمت اللاّم في الخبر فرقاً بينها وبين النافية . أنظر: الرصف ، ص : ١٠٨.

٣٢٨. سورة ابراهيم ، الآية : ٤٦.

٣٢٩. اللاّمات ، ص : ١٧٩ - ١٨٠.

نلمس هنا ذلك التوازن الذي أقامه العرب بين اللفظ والمعنى . فهم لاحظوا أن تخفيف (إنّ) أصاب هذا التوازن بخلل ما ، فعمدوا إلى زيادة اللاّم المؤكدة في خبرها لإعادة التوازن.

وتفتح همزة (إنّ) ، فتبقى دلالتها على التوكيد قائمة شأنها شأن المكسورة . فـ (أنّ) بدخولها على الاسم الذي يليها ، تحدث فيه تغييراً إعرابياً إلى جانب دلالة التوكيد التي تضفيها على مضمون الجملة ، فيستوي بذلك دورها الدلالي مع دور (إنّ) من حيث الوظيفة التوكيدية ، إذ لا يوجد ثمة فرق بينهما إلاّ في تصدّر (إنّ) للجمل الأساسية ، نحو: إن زيداً قائمٌ ، في حين تتصدّر (أنّ) الجمل الفرعية ، نحو : إعلم أنّ زيداً قائم . يقول الزمخشري : " (إنّ) و (أنّ) هما تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه إلاّ أنّ المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها ، والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد ." [٣٣٠]

- لكنَّ: يؤتى بها ضمن السياق للاستدراك أي تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه. فتكون للتوكيد من خلال تقوية النسبة وتقريرها في ذهن السامع ايجابية أو سلبية ، نحو قوله عزّ وجلّ :﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى ﴾. [٣٣١] فجاءت (لكنّ) للاستدراك متوسطة بين جملتين

---

٣٣٠. المفصّل ، ص : ١٥٨.

٣٣١. سورة الأنفال ، الآية : ١٧٠.

متغايرتين نفياً أو إيجاباً، مستدركاً النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي.[٣٣٢] ونقل السيوطي في *الهمع* عن ابن مالك أنها للتوكيد،" ومعناها الاستدراك لخبر يوهم أنه موافق لما قبله في الحكم، فإنه يؤتى بـه لرفع ذلك التوهم وتقريره ، أو لتأكيد الأول وتحقيقه ، نحو: ما قائمٌ زيدٌ لكنّ عمراً قاعدٌ، لمّا قيل : ما قائم زيد . فكأنه يوهم أن عمراً مثله لشبه بينهما أو ملابسة، فيرفع ذلك التوهم بالاستدراك. ونحو : لو قام فلانٍ لقمت لكنه لم يقم . فأكدت (لكنّ) ما دلت عليه (لو) . وكأنها في المعنى مُخرجة لما دخل في الأول توهماً ، ولذا لا يقع بين وفاقين ." [٣٣٣]

فـ (لكنّ) تستعمل لإفادة الاستدراك أي نفي شيء واثبات غيره ، وهذا يتحقق بالتعقيب على مضمون الجملة الأصلية ، وذلك يقتضي أن يكون ما بعده مخالفاً له في المعنى . والتأكيد بـ (لكنّ) ينطوي على التفرقة والتمييز ، إذ إن تأكيد ما بعدها يستتبع تمييزه عما قبلها ، كما في قوله تعالى :﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكنّ البر من آمن بالله﴾. [٣٣٤] والمعنى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، إنما الحق خلاف ذلك وهو أن البر من آمن بالله . وهذا التطور في

---

٣٣٢. شرح المفصل ، ٨ : ٨٠.

٣٣٣. الهمع ، ٢ : ١٤٩ – ١٥٠.

٣٣٤. سورة البقرة ، الآية : ١٧٧.

معنى (لكن) من التأكيد إلى الاستدراك يؤيده ما ذهب إليه بعض النحاة من أن (لكن) تارة للاستدراك ، وتارة أخرى للتأكيد . حتى أن بعضهم ذهب إلى أنّ (لكنّ) دائماً للتوكيد مثل (إنّ) ، ومعنى الاستدراك ليس إلا مصاحباً لمعنى التأكيد . [٣٣٥] وقد تخفف (لكنّ) إلى (لكنْ) دون أن تفقد دلالتها على التوكيد. قال ابن السراج:"ولكنّ ثقيلة وخفيفة توجب بها عند النفي، ويستدرك بها، فهي تحقيق وعطف حال على حال."[٣٣٦]

كأنّ : هي عند الخليل وسيبويه مركبة من كاف التشبيه وإنّ المشبهة بالفعل ، قال سيبويه: "سألت الخليل عن (كأنّ) فزعم أنها (أنّ) لحقتها كاف التشبيه ، ولكنها صارت مع (أنّ) بمنزلة كلمة واحدة ." [٣٣٧]. وجعلها ابن مالك للتشبيه المؤكد، "وأصل كأنّ زيداً أسدٌ: إنّ زيداً كالأسد. فالكاف للتشبيه، وأنّ مؤكدة له ، ثم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا له الجملة، فأزالوا الكاف من وسط الجملة وقدموها إلى أولها لإفراط عنايتهم بالتشبيه ."[٣٣٨]

---

٣٣٥. المغني ، ١ : ٣٢١.

٣٣٦. الأصول ، ١ : ٢٢٩.

٣٣٧. الكتاب ، ١: ٤٧٤. وذهب آخرون إلى أنها بسيطة.أنظر:الجنى الداني ، ص:٥٦٩ -٥٧٠ ؛ الهمع ،٢: ١٥١-١٥٢؛ الرصف، ص :٢٠٨-٢٠٩.

٣٣٨. الهمع ،٢: ١٥٢.أنظر: الجنى الداني، ص :٥٧٠- ٥٧١؛ رصف المباني، ص:٢٠٩.

وذهب الكوفيون والزجاجي إلى أنها تأتي للتحقيق والوجوب دون دلالتها على التشبيه (٣٣٩) ، ومن ذلك قول الشاعر (٣٤٠) :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كأنَّ الأرضَ ليسَ بها هَشامُ

والتقدير:لأنّ الأرض، إذ إن هشام مات والشاعر يرثيه،فهو ليس في الأرض حقيقة.(٣٤١)

صفوة القول إنّ (كأنّ) تفيد التشبيه المؤكد ، فتستعمل حيث يقوى التشبيه حتى يكاد المرء لا يساوره الشك ولا يداخله الريب في أن المشبه هو المشبه به ، نحو : قوله تعالى:﴿ كأنه هو ﴾.(٣٤٢)

و. التوكيد بالضمائر

١. *ضمير الفصل*

إنّ من الأغراض النحوية لضمير الفصل التوكيد ، فهو من مؤكدات الجملة.

---

٣٣٩. الجنى الداني ، ص : ٥٧١ . أنظر : الهمع ، ٢ : ١٥٠ .

٣٤٠. البيت للحارس بن خالد. أنظر: الجنى الداني ، ص : ٥٧١ ؛ الهمع ، ٢ : ١٥٠ ؛ المنصف ، ٢ : ٢٠ ؛ المغني ١ : ٢١٦.

٣٤١. المغني ، ١ : ٢١٦.

٣٤٢. سورة النحل ، الآية : ٤٢.

وقد نص سيبويه على أنه يفيد التأكيد . قال في الآية الكريمة:﴿ إن ترني أنا أقلَّ منك مالاً وولداً ﴾.[٣٤٣] إن ضمير الفصل (أنا) وصف للياء في (ترني) ، يريد تأكيداً.[٣٤٤] فهذا الضمير يؤتى به ليتوسط بين المبتدأ والخبرلتأكيد الاسناد ، لذا اعتُبر المبتدأ نفسه مكرراً . فالعرب جعلت منه ضرباً من التأكيد لما قبله . تقول:ظننت زيداً هو القائم و ظننتك أنت القائم ، " ولما فيه من التأكيد لم يستجيزوا الجمع بينه وبين التأكيد، فلا يقولون : ظننك أنت أنت القائم ، ويجعلون أحدهما تأكيداً و الآخر فصلاً، بل استغنوا بأحدهما عن الآخر."[٣٤٥] فقوله تعالى:﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴾.[٣٤٦] يعني : أولئك أولئك الخاسرون . ويرى الرضي " أن ضمير الفصل يفيد التوكيد لأن معنى زيدٌ هو القائم زيد نفسه القائم لكنه ليس تأكيداً لأنه لا يجيء بعد الظاهر" [٣٤٧] فقد استغنت العرب بما يؤديه ضمير الفصل من توكيد عن الإتيان بمؤكد آخر ، لأن الفصل إنما هو للتوكيد ولا يجوز الجمع بين مؤكدين . فاستعمال هذا الضمير يعادل ويوازي في المعنى

---

٣٤٣. سورة الكهف ، الآية : ٣٩.

٣٤٤. الكتاب ، ١ : ٣٩٥.

٣٤٥. المقرّب ، ص : ١٣١. أنظر : المغني ، ٢ : ٥٧١.

٣٤٦. سورة البقرة ، الآية : ١٢١.

٣٤٧. شرح الكافية ، ١ : ٢٤.

استعمال أحد ألفاظ التوكيد كالنفس والعين .

يطلق البصريون على هذا الضمير اسم الفصل لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر ، أو بين الخبر والتابع كالنعت أو البدل ، فهو يؤتى به ليوضح كون الثاني خبراً لا تابعاً.[٣٤٨] أمّا الكوفيون فيسمونه عماداً لأنه يُعتمد عليه في الفائدة إذ به يتبيّن أن الثاني خبر لا تابع، "كأنه عمد الاسم الأول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده."[٣٤٩] وتسمية الكوفيين أكثر وضوحاً لأنها تعبّر عن قيمة هذا الضمير في توكيد المبتدأ و تحقيقه . وأطلق عليه سيبويه الصفة، لأنك جئت به للتوكيد والتوضيح فصار كالصفة .[٣٥٠] وإن كانت العرب قد اختلفت في تسمية هذا الضمير ، إلا أنها أجمعت على دور هذا الضمير من حيث العمل والوظيفة ، أي التوكيد . وهذا يتحقق بتوسطه بين جزأي الجملة : المبتدأ والخبر .

ويذهب الرضي أبعد من ذلك حين يجعل لضمير الفصل وظيفة أخرى هي القصر أو الحصر المفيد للتأكيد ، متى وليه اسم معرّف بأل التعريف . فيشبهه بدخوله على الخبر بأداة الحصر (إلاّ) ، يقول : " كان حق الخبر الذي بعد الفصل أن يكون معرّفاً

---

٣٤٨. شرح الكافية ،١ :٢٤ ؛ شرح المفصل ، ٣: ١١٠ ؛ الهمع ،١ : ٢٣٥ – ٢٣٦؛ المغني ٢ : ٥٧٠.

٣٤٩. شرح المفصل ، ٣ : ١١٠.أنظر: شرح الكافية ،١ : ١٢٤ ؛ الهمع ١: ٢٣٥؛ المغني ٢ : ٥٧٠-٥٧١.

٣٥٠. الكتاب ، ١ : ٣٩٤ .أنظر: الهمع، ١ : ٢٣٥ – ٢٣٦.

باللاّم لأنه إذا كان كذا أفاد الحصر المفيد للتأكيد فناسب ذلك تأكيد المبتدأ بالفصل. فالمبتدأ المخبَر عنه بذي اللاّم إذا كان معرّفاً بلام الجنس فهو مقصور على الخبر ... وإن كان في المبتدأ لام الجنس فالخبر المعرّف باللاّم مقصور على المبتدأ." (٣٥١)

وقد تدخل لام التوكيد على ضمير الفصل ، فتقترن به زيادة في التوكيد وتقوية المعنى ، و حكي عن أبي عمرو قوله : إنّ كان لهو العاقل. (٣٥٢) فجاءت زيادة اللفظ هنا لزيادة المعنى.

ولشدة دلالة هذا الضمير على التأكيد التبس الفصل بالتأكيد، " والفرق بين الفصل والتأكيد أنّ التأكيد إذا كان ضميراً لا يؤكد به إلا المضمر ، والفصل ليس كذلك ، بل يقع بعد الظاهر والمضمر ، فقولك : كان زيدٌ هو القائم فصلٌ لا تأكيد لوقوعه بعد الظاهر، وقولك : كنت أنت القائم يحتملهما . ومن الفرق بينهما أنك إذا جعلت الضمير تأكيداً فهو باق على اسميته، ويحكم على موضعه بإعراب ما قبله، وليس كذلك إذا كان فصلاً."(٣٥٣)

٢. *ضمير الشأن*

هو ضمير بلفظ الغائب المفرد يأتي في صدر الجملة لإفادة التوكيد ، وتعظيم

---

٣٥١. شرح الكافية ، ١ : ٢٤.

٣٥٢. الكتاب ، ١ : ٣٩٦.

الأمر وتفخيمه ، واسترعاء الانتباه إلى شيء هام يرد في الجملة التي تليه [٣٥٤] ، نحو قوله تعالى:﴿ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾ ." [٣٥٥] فيمهّد المتكلّم لهذا الأمر بالضمير لينتبه السامع إلى أهميته ، ثم يفسّر الضمير بالجملة لإزالة الغموض و الإبهام ، وجلب الانتباه إلى ما يُقصد من شأنٍ عظيم أو رواية هامة .

وللرضي تفسير قريب من هذا إذ يرى أن " القصد بهذا الابهام ثم التفسير تعظيم الأمر وتفخيم الشأن ، فعلى هذا لا بد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئاً عظيماً يُعتنى به ، فلا يقال مثلاً هو الذباب يطير."[٣٥٦] ومع هذا التفسير لمعنى استخدام ضمير الشأن ، أرى أن هذا الضمير راجع في الحقيقة إلى أمر ما لأجل العناية والاهتمام به .ونلمح في ذلك توافقاً مع مقولة أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى.

إنّ العربَ إذا أرادوا أن يذكروا جملة تتضمن معنى هاماً يستحق توجيه الإنتباه إليه، لم يذكروها مباشرة خالية مما يدلّ على تلك الأهمية ، وإنما يقدّمون لها بضمير يسبقها .

٣٥٣.الأشباه والنظائر،٢ :٤٠٦.الكلام لابن يعيش في شرح المفصل،٣: ١١٣.

٣٥٤. الهمع ، ٢ : ٢٣٢.

٣٥٥. سورة الأنبياء ، الآية : ٩٧.

٣٥٦. شرح الكافية ، ٢ : ٢٧.

وهذا ما يفسّر مجيئه في الجمل التي تنطوي على التفخيم ، وفي مواضع التعظيم من خلال الغموض والإبهام الذي يضفيه على الجملة مما يزيد تشويق السامع لمعرفة معنى ما يليه . وفي ضوء ذلك نفسّر تسمية الكوفيين لضمير الفصل بضمير المجهول " لأنه لا يدري عندهم ما يعود عليه . "[٣٥٧] ومن ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وهو محرمٌ عليكم اخراجهم﴾ ."[٣٥٨]

وها هو الجرجاني يرى ما نذهب إليه من افتراض دور توكيدي لهذا الضمير حين يعتبره أكثر توكيداً للمعنى من (إنّ) نفسها . يقول : " وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام ، في التأكيد والإحكام ، ومن ههنا قالوا : إن الشيء إذا أضمر ثم فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار ." [٣٥٩] فتصدير الجملة بضمير الشأن يكسبها تأكيداً وفخامة وروعة ، كذا يقول الجرجاني .

وضمير الشأن يختلف عن باقي الضمائر في نواح عدّة . [٣٦٠] وهذا الاختلاف

---

٣٥٧. الهمع ، ٢ : ٢٣٢. أنظر : المغني ، ٢ : ٥٦٤.

٣٥٨. سورة البقرة ، الآية : ٥٨ .

٣٥٩. دلائل الإعجاز ، ص : ٩٩.

٣٦٠. أنظر ذلك في الهمع ،٢ :٢٣٢ ؛الأشباه والنظائر،٢ : ٤٠٤ – ٤٠٥؛ المغني ، ٢ : ٥٦٤–٥٦٨.

يجعلني أذهب إلى أن دلالة هذا الضمير اللغوية ليست كسائر الضمائر ، ومجيئه في الجملة زيادة في العناية والاهتمام والتأكيد ، إلى ما يحمله من معنى التنبيه الذي هو فرع من التوكيد . وهو بالتالي لا يتجاوز مفهوم أدوات التوكيد والتنبيه . وهذا ما جعل الرضي يرى أنه يجوز حذفه " لبقاء تفسيره وهو الجملة ، ولأنه ليس معتمد الكلام بل المراد به التفخيم فقط فهو كالزائد ."[٣٦١]

ز. أساليب تفيد التأكيد

١. *القصر*

يرمي هذا الأسلوب إلى إفادة التأكيد ، وهذا التأكيد يتحقق بأكثر من صيغة . فثمة تأكيد لمضمون الجملة وآخر لأحد طرفيها . فالأول يكون بدخول (ما) الكافة على (إنّ) زيادة في تحقيق مضمون الجملة للدلالة على الحصر ، نحو قوله تعالى:﴿ إنمّا الله إلهٌ واحد﴾.[٣٦٢] وهنا يكون المقصور عليه هو المتأخر في جملة القصر . ففي الآية الأخيرة يكون (الله) هو المقصور و (إله) هو المقصور عليه . ونشير إلى أن التوكيد بالقصر من أشد أنواع التوكيد وأبلغها .

---

٣٦١. شرح الكافية ،٢ : ٣٦٢.

٣٦٢. سورة النساء ، الآية : ١٧١.

والضرب الثاني من القصر يقوم على تخصيص شيء بشيء . هذا التخصيص يفيد تمكين الكلام وتقريره في نفس السامع ، ومنه قوله عزّ وجلّ:﴿ ما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ ﴾.[٣٦٣] فالمعنى في الآية الكريمة يقوم على تخصيص الرسول محمد (صلى الله عليه وسلّم) بالرسالة وقصرها عليه ، ونفي أية صفة ألصقها المشركون به ، إلى جانب نفي أن يُظن في أمره الخلود فلا يموت . دلّ على هذا التخصيص النفي بـ (ما) والاستثناء بـ (إلاّ) . فهذا المعنى الإيجابي للجملة الناتج عن القصر ينطوي على معنى التوكيد المتأتي من النفي والاستثناء معاً ، "فالإخبار بالنفي أقوى لأنه أوكد ، ألا ترى أن قولك : ما قام إلا زيدٌ أوكد من قولك : قام زيدٌ ؟ " [٣٦٤]

إنّ جملة (قام زيدٌ) تعني أنّ زيداً قام ويمكن أن يكون قد قام معه آخرون ، ففعل القيام ليس محصوراً بزيد وحده دون سواه . أمّا جملة (ما قام إلا زيدٌ) ، فهي تنفي حدوث القيام عن أحد سوى زيد ، وتعني أن زيداً قام وحده . وهنا " احتجت إلى النفي والاستثناء لأنك إذا قلت : جاءني زيد ، فقد يجوز أن يكون معه غيره . فإذا قلت : ما جاءني إلا زيدٌ ، نفيت المجيء كله إلا مجيئه. " [٣٦٥] فـ (إلاّ) هنا ليست أداة استثناء،

---

٣٦٣. سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤.

٣٦٤. شرح المفصل ، ١ : ٨٦.

٣٦٥. المقتضب ، ٤ : ٣٨٩.

"وإنما هي مسبوقة بالنفي أداة قصر ، ووظيفتها قصر ما قبلها على ما بعدها ، والقصر توكيد وايجاب أبداً . وهذا ما يفرق بينها وبين (إلاّ) في الاستثناء ، لأن وظيفة (إلاّ) في الاستثناء اخراج ما بعدها من حكم ما قبلها، فهما مختلفتان "[٣٦٦]

إنّ هذا الأسلوب ينطوي على التوكيد بما فيه من قصر الصفة على الموصوف أو قصر الموصوف على الصفة . [٣٦٧] فتنحصر الصفة بذلك بالمقصور نفسه دون غيره . ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين ﴾.[٣٦٨] فوقوع (إنْ) النافية في صدر جملة نفي تقريري ، بعد نفي له صفة القطع دليلٌ على إفادة هذه الأداة لمعنى النفي على جهة التوكيد والقوة . فجملة القصر في هذه الآية هي لتقرير مضمون الإنكار على سبيل التوكيد . فلما كانت نفوسهم مستيقنة قصر المدة التي لبثوها في قبورهم ، قرروا هذه الحقيقة تقريراً مؤكداً : (إنْ لبثتم إلاّ قليلاً) .

---

٣٦٦. في النحو العربي ، ص : ٢٤٠.

٣٦٧. من أمثلة قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى:﴿ ما نعبد هم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى﴾(سورة الزمر،الآية : ٣٩) فقد قصرت العبادة على التقريب ومن أمثلة قصر الصفة على الموصوف ما في الدار إلاّ زيدٌ ، فقد قصر الوجود في الدار على محمد .

٣٦٨. سورة يس ، الآية : ٦٩.

وهذا الأسلوب من القصر المصدر بـ (إنْ) النافية أقوى الصيغ في إفادة التقرير المؤكد ، و التقريرهنا ناجم عن اتحاد صيغتي الاستثناء والنفي ، ولذا عدّ الهروي (إلاّ) حرفاً يفيد التحقيق والايجاب بعد الجحد . (٣٦٩)

وليس القصر بـ (إنّما) ، و (ما وإلاّ) بمنزلة واحدة ، لأنهما – كما يقول الجرجاني– " لو كانا سواء لكان ينبغي أن يكون في (إنّما) من النفي مثل ما يكون في (ما و إلاّ) ، وكما وجدت (إنّما) ، وذلك في قولك : إنما هو درهم لا دينار ، لو قلت : ما هو إلا درهم لا دينار لم يكن شيئاً ، واذ قد بان بهذه الجملة أنهم حين جعلوا (إنما) في معنى (ما وإلا) لم يعنوا أن المعنى فيهما واحد على الاطلاق ، وان يسقطوا الفرق ." (٣٧٠)

غير أننا نجد النحاة ، على ما يبدو ، يسوّون بين الصيغتين : صيغة القصر بـ (إنّما)، وصيغة القصر بـ (ما وإلا) . فقد نقل الجرجاني عن أبي علي الفارسي " يقول : الناس من النحويين نحو قوله في الآية الكريمة:﴿ قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ (٣٧١) أما المعنى : ما حرّم ربي إلاّ الفواحش."(٣٧٢) كما أورد قول أبي

---

٣٦٩. الأزهية ، ص : ١٨٣.

٣٧٠. دلائل الإعجاز ، ص : ٢١٨.

٣٧١. سورة الأعراف ، الآية : ٧.

٣٧٢. دلائل الإعجاز ، ص : ٢١٧.

إسحاق الزجاج:"والذي اختاره في قوله في الآية الكريمة:﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ [٣٧٣] أنه في معنى ما حُرّم عليكم إلاّ الميتة ، لأن إنما تأتي اثباتاً لما يذكر بعدها ، ونفياً لما سواه ." [٣٧٤]

٢. *القسـم*

من المعاني التي يفيدها القسم التوكيد . قال سيبويه : " اعلم أن القسم توكيدٌ لكلامك . فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللاّم ولزمت اللاّم النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة . وذلك قولك : والله لأفعلنّ . " [٣٧٥] فجملة القسم يؤتى بها لتأكيد جملة أخرى وإزالة الشك عن معناها ، ذلك " أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو اثبات كقولك : والله لأقومنّ ، ووالله لا أقومنّ . إنما أكّدت خبرك لتزيل الشك عن المخاطب . " [٣٧٦] فالغرض من القسم إذن هو الإخبار المقترن بالتوكيد، " ولو قلت : أقسم بالله وسكتَّ لم يجز لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط ، وإنما أردت

---

٣٧٣. سورة البقرة ، الآية : ٢.

٣٧٤. دلائل الإعجاز ، ص : ٢١٧.

٣٧٥. الكتاب ، ١ : ٤٥٤.

٣٧٦. شرح المفصل ، ٩ : ٩٠.

أن تخبر بأمر آخر وهو قولك:لأفعلنّ، وأكدته بقولك: أحلف بالله."[٣٧٧]

وتدخل اللاّم المؤكّدة في جواب القسم لتقوية المعنى وتقريره ، والغالب اقترانها بالمضارع المؤكد بالنون ، نحو قوله تعالى:﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلباً ﴾[٣٧٨] ، فـ "اللاّم للتأكيد واتصال القسم إلى المقسم عليه وتفصل بين النفي والإيجاب ، ودخلت النون أيضاً مؤكدة وصارفة الفعل إلى الاستقبال وإعلام السامع أن هذا الفعل ليس للحال ." [٣٧٩] ويرى الرضي أن التأكيد الذي ينطوي عليه القسم حاصل من اللاّم ، يقول: " وهذه اللاّم لام الابتداء المفيدة للتأكيد الذي لأجله جاء القسم ." [٣٨٠] وقد تقترن هذه اللاّم بالمضارع غير المؤكد بالنون نحو ، قولك : والله لأضربه . غير أن دخول النون على القسم يؤذن بمزيد من تقوية المعنى وتأكيده . وبما أن التوكيد من معاني القسم ، كثر دخول نون التوكيد على جملة القسم ، في حين ندر إسقاطها . فقولك :والله

---

٣٧٧. شرح المفصل ، ٩ : ٩١.

٣٧٨. سورة الكهف ، الآية : ٣٦.

٣٧٩. شرح المفصل ، ٩ : ٢١ . أنظر: كذلك ٩ : ٩٦.

٣٨٠. شرح الكافية ،٢ : ٣٣٨. وجاء في الرصف،ص : ٢٣٩ " وإنما دخلت اللاّم في جواب القسم ليُتلّى بها مبالغة في التوكيد، إذ القسم توكيد المقسم عليه. "

لأضربنه أوكد وأقوى من حيث المعنى من (والله لأضربه).

وتدخل (قد) على جملة القسم الماضوية توكيداً لمعناها ، نحو قوله تعالى:﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ﴾. [٣٨١] فأجري قوله : لقد آتينا مجرى القسم لتأكيده الكلام ، لأن فيه اللاّم المفيدة للتأكيد مع (قد) المؤكدة ، وفي (آتينا) معنى التحقيق . فـ (قد) في الجملة الفعلية المجاب بها القسم بمنزلة (إنّ) و اللاّم في الجملة الاسمية المجاب بها في إفادة التوكيد . فهناك تناسبٌ بين معنى (اللاّم) و (قد) إذ إن في كليهما معنى التحقيق والتوكيد . [٣٨٢] وتزاد (أنْ) المخففة على جملة القسم للمبالغة في التوكيد . وعدّها سيبويه بمنزلة لام القسم المؤكدة ، قال: " ومثل هذه اللاّم [لام القسم] الأولى (أنْ) إذا قلت : والله أنْ لو فعلْتَ لفعلْتُ ." [٣٨٣]

و تأتي (كلاّ) في الكلام موحية بالقسم . فترد مقترنة بالقسم الصريح ، نحو قوله تعالى:﴿ كلا والقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر ﴾،[٣٨٤] أو

---

٣٨١. سورة المؤمنون ، الآية : ٤٩.

٣٨٢. شرح الكافية ،٢ : ٣٣٨.

٣٨٣. الكتاب ، ١ : ٤٥٥ . أنظر: الأصول، ٣ : ١٧٢.

٣٨٤. سورة المدثر ، الآية : ٣٢.

مقترنة بالقسم المضمر ، كقوله عزّ وجلّ:﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعنّ بالناصية ﴾.[٣٨٥]

وقد ذهب النحاة في معنى (كلاّ) مذاهب شتى ، غير أنها تجري في الغالب على معانٍ ثلاث. أولها : الردع والزجر ، وهذا مذهب سيبويه والخليل والمبرد وعامة البصريين . [٣٨٦] فإن قال قائل : اضرب زيداً ، قلت له : كلا أي ارتدع عن هذا أو ازدجر وتنبّه عن الخطأ فيه [٣٨٧]، ومنه قوله تعالى:﴿يحسب أن ماله أخلده كلاّ﴾[٣٨٨] ، والمعنى لا يخلده ، فـ (كلاّ) هنا جاءت رداً للكلام قبلها بمعنى (لا) [٣٨٩]. و لذا عدّها ثعلب أقوى معنى من لا ، فزيد في معناها لزيادة مبناها. [٣٩٠] وثانيها : أن تكون بمعنى

---

٣٨٥. سورة العلق ، الآية : ١٥.

٣٨٦. المغني، ١: ٢١٢ ؛ شرح المفصّل ، ٩: ١٦ ؛ الرصف ، ص : ٢١٢ ؛ حروف المعاني، ص : ١١؛ الجنى، ص: ٥٧٧ ؛أسرار النحو، ص: ٣١٠.

٣٨٧. المفصل ، ص : ١٧٨ ؛ الصاحبي ، ص : ١٦٦ ؛ رصف المباني، ص : ٢١٢ ؛ أسرار النحو ، ص : ٣١١.

٣٨٨. سورة الهمزة ، الآية : ٣ – ٤.

٣٨٩. شرح المفصل ، ٩ : ١٦.

٣٩٠. المغني ، ١ : ٢١٢. قال ثعلب:" شدّدت لامها لتقوية معناها."

(حقاً) ، [٣٩١] ومنه قوله تعالى:﴿ كلاّ إن الإنسان ليطغى ﴾ [٣٩٢] ، فجاءت (كلاّ) على معنى التحقيق فابتدىء بها لتوكيد ما يأتي بعدها . وثالثها : الإستفتاح والتنبيه، فتكون بمنزلة (ألا) نحو قوله تعالى:﴿ كلاّ إنها تذكرة ﴾.[٣٩٣] وقد تأتي حرف جواب بمنزلة إي ونعم ، وعلى هذه حملت (كلاّ) في قوله تعالى: ﴿كلاّ والقمر﴾ [٣٩٤] ، فقالوا: معناها إي والقمر . [٣٩٥] غير أن معنى الردع والزجر هو الغالب على (كلا) ، وهو مذهب أئمة اللغة. وتجدر الإشارة إلى أنّ (كلا) في كل معانيها تحمل معنى التوكيد .فهي توحي بالقسم لأن الجواب بعدها في الغالب مما يصح به استقبال جواب القسم .وليس ببعيد أن تفيد توكيد القسم إلى جانب ما تحمله من معان أخرى ، إذ إنّ ما لا ريب فيه أنها تنطوي على معنى التوكيد والتحقيق شأنها شأن (لا) حين تقترن بالقسم .

وهناك ألفاظ تفيد القسم وتقوم مقام الجملة القسمية ، نحو (قطعاً) ، و (حقّاً) ، و(يقيناً)، و (عَوْض)، و (جَيْر) ، ومرد ذلك أن هذه الألفاظ فيها من التأكيد ما يفيد

---

٣٩١. المغني ،١ : ٢١٣ ؛ الجنى ، ص : ٥٧٧ ؛ الإنصاف ، ١ : ٤٠٢.

٣٩٢. سورة العلق ، الآية : ٦.

٣٩٣. سورة المدثر ، الآية : ٥٤.

٣٩٤. السورة نفسها ، الآية : ٧٤.

٣٩٥. المغني ، ١ : ٢١٣ ؛ الجنى ، ص : ٥٧٧ ؛ شرح المفصل ،٩ : ١٦.

فائدة القسم. قال ابن الأنباري : " فأمّا قولهم جَيْر لأذهبنَّ ، وعَوْض لأقومنَّ ، وكلاّ لأنطلقنّ فإنما أقسموا بها لأنهم أجروها مجرى حق ، والحق معظّم في النفوس ، بخلاف الظن الذي فيه معنى الشك . "(٣٩٦)

ختاماً ، نقول إن للتأكيد في العربية طرائق مختلفة منها التكرار والقسم والقصر، هذا إلى التوكيد بالنعت والبدل والتمييز والحال . وتقوم أدوات معينة تتصدر الجملة بمهمة توكيدها، نحو (إنّ) التي تؤكد الجملة الإسنادية المؤلفة من المبتدأ و الخبر . كما تدخل حروف المعاني كحروف الجر الزائدة وحروف الجواب في تركيب الجملة بغرض توكيدها. وتأتي الضمائر مؤكدة كذلك ، نحو ضمير الفصل وضمير الشأن .

استناداً إلى ذلك ، نرى أن التوكيد ليس قائماً على التكرار فقط ، فهناك ، كما أشرنا ، ضروبٌ مختلفة من أساليب الكلم تفيد فائدة التكرار وتقوم مقامه، " ولم يكن النحاة بجاهلين هذه الضروب من التوكيد ، فقد عرضوا لأكثرها ، وخاصة التوكيد بالأدوات ، ولكنهم لم يتناولوا التوكيد بوصفه موضوعاً عاماً ، أو معنى عاماً تتعرض له الجملة في الاستعمال ، بل تناولوه اجزاءً متفرقة لا ترسم صورة للتوكيد ، ولا تستوعب ضروبه ، ولا تستجلي فوائده ." (٣٩٧) لذا ، فإني حاولت في هذا الفصل أن أعرض

---

٣٩٦. الانصاف، في مسائل الخلاف لابن الانباري ، ١ : ٤٠٠.

٣٩٧. في النحو العربي ، ص : ٢٤٥.

لأساليب التعبير المختلفة التي تفيد توكيد المعنى وتمكينه.

يبدو لنا من استعراض طرائق التأكيد أن العرب قد تجمع في كلامها ، حين تخلص المقام للتأكيد بين أكثر من مؤكّد ، فينقلب المعنى من وكيد إلى آكد . فالعرب عندما كانت تلمس حاجة الى تمكين معنى ما وتثبيته كانت تلجأ إلى تأكيد الكلام بمؤكّدٍ ، وإن شعرت بالحاجة إلى مزيد من التأكيد أتت بمؤكد آخر. " فإن كان المخاطب خالي الذهن استغنى المتكلم عن مؤكدات الكلام ، وإن كان المخاطب طالباً منتظراً حسن تقوية الكلام بمؤكد، وإن كان منكراً أو حاكماً بخلاف ما في نفس المتكلم وجب توكيد الكلام بحسب ما تشعر به حال المتكلم من شدة الإنكار أو ضعف فيه . " [٣٩٨]

---

٣٩٨. في النحو العربي ، ص : ٢٢٧-٢٢٨ .

الفصل الخامس

خاتمة

في ختام هذا البحث بوسعنا القول إن العلاقة بين اللفظ ومدلوله حقيقة لغوية كانت ماثلة في ذهن لغويي العرب ، إذ إن هؤلاء قد لمسوا شيئاً من التناسب أو قلْ التناظر بين اللفظ ومعناه . فالبحث في هذه الحقيقة اللغوية لدى علمائنا لم يكن بحثاً سطحياً ، إنما كان دراسة متأنية لعلاقة اللفظ الدال بمدلوله ، ثم طريقة التعبير عن المدلول بما يوازيه من اللفظ المفرد أو الجملة المركبة .

وقد كانت هذه الحقيقة الأساس الذي قامت عليه زيادة اللفظ لزيادة المعنى . ورأينا في تضاعيف هذا البحث أن جمهور اللغويين نظر غالباً الى الكلمة المزيدة على أنها تنطوي على معنىً زائد عن قرينتها المجردة . ولذا ، فهم حين أرادوا تكثير المعنى ، عمدوا الى تكثير حروف اللفظ الدال عليه . ولم تكن هذه الزيادة مقتصرة على حروف الزيادة المتعارف عليها والمجموعة فيه " سألتمونيها " ، بل تعدت ذلك إلى حروف أخرى عُدت لواصق تصريفية مدى زيدت على اللفظ أومأت بزيادة معناه. كما نراهم قد لجأوا الى تكرير عين اللفظ أو إعادة جزء منه للدلالة على استطالة الحدث وتتابعه .

غير أن ذلك لا يعني أن زيادة اللفظ مقتصرة على الكلمة دون الجملة ، بل الأمر بخلاف ذلك. فالزيادة اللفظية في الجملة – كما رأينا – شأنها في الكلمة تسهم في زيادة

المعنى الذي تفيده الجملة أي توكيده وتقريره. ففي العربية أنماط مختلفة من الأساليب اللغوية تفيد التوكيد ، جميعها قائم على مبدأ الزيادة . فالتركيب معراً من الزيادة يفيد معنىً ما ، ومقترناً بها يفيد المعنى نفسه ، إنما على شيء من التوكيد .ومعنى هذا أن دلالة التوكيد غير منوطة بما يعرف بباب التوكيد فقط ، وهو الباب الذي التفت اليه نحاة العرب ولغويوهم ، بينما أهملوا اساليب أخرى تنطوي على الدلالة نفسها . وما أعنيه بكلمة أهملوا ليس عدم انتباههم الى دلالة التوكيد في هذه الأساليب ، إنما ما أريده انهم لم يلتفتوا إلى التوكيد باعتباره موضوعاً عاماً تندرج تحته أساليب مختلفة من طرائق التعبير.

نحن ، مثلاً ، نجد ابن جني يفرد في *الخصائص* باباً يتناول فيه نماذج مختلفة للزيادة اللفظية الطارئة على الكلمة مبرزاً أثرها الدلالي في تقوية المعنى والمبالغة فيه . إلا أنه لم يقم بعمل مشابه لهذا فيما يخص التركيب ، مع أنه تطرّق إلى مسائل لغوية مختلفة على شيء من الإسهاب والاطناب ، ولكنه لم ياتِ عل دراسة الزيادة اللفظية في الجملة. وكم كان حرياً به أن يفعل هذا . ولعلنا نلتمس له العذر في ذلك ، لأن عربيتنا تملك عدداً من الأنماط الراميه الى توكيد المعنى على نحو يصعب معه حصرها وإدراجها تحت بابٍ واحد . فهذا عمل يحتاج الى مؤلَّف لغوي مستقل يجعل من دلالة التوكيد إطاراً يحده ولا يخرج عنه.

وبعد استقصاء الزيادة التي أصابت كل من الكلمة والتركيب نرى أن زيادة اللفظ قائمة على أن "معنى كون الحروف زوائد أنك لو حذفتها لم يتغير الكلام عن معناه ، وإنما قلنا لم يتغيّر عن معناه الاصلي لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد ، ولم تكن

الزيادة عند سيبويه لغير معنى البته ، لأن التو كيد معنى صحيح ، لأن تكثير اللفظ تقوية المعنى." [٣٩٩]وبذلك أصبح بديهياً أن الصيغ الزائدة تأتي في سياق الكلام لإفادة توكيد المعنى وتحقيقه . فدخول الحرف الزائد في الكلام لا يغيّر أصل المعنى إنما يزيده تقريراً وتمكيناً في ذهن السامع . ولذا ، سمي زائداً ، وبسقوطه من السياق لا يختل المعنى .

ونشير إلى أن تكثير حروف اللفظ لتكثير المعنى والمبالغة فيه ظاهرة لا تقتصر على العربية دون سواها من اللغات الأخرى . فهي قاعدة تكاد تكون مطردةً في غالب اللغات . فإن من يبحث في اللغات السامية كالعبرية والآرامية ، يجد ان تضعيف عين الفعل ، مثلاً يدل على تقوية المعنى وتكراره.[٤٠٠] كما أن صيغة (فعّال) أو ما شابهها تستعمل في اللغات السامية عادمةً لإفادة المبالغة .

وفي الختام ، لا يسعنا سوى الأخذ بمقولة العرب فيما يخص الزيادة. فالعرب أقامت توازناً بين اللفظ والمعنى حين جعلت الألفاظ أدلةً للمعاني . ولذا ، كان من المنطقي أن يخضع اللفظ للزيادة متى أُريد زيادة المعنى ، وإلاّ اختلّ التوازن القائم بينهما. ولعلّ من المفيد اثبات ما نقله الجرجاني عن ابن الانباري في *دلائل الاعجاز* أنّه قال : "ركب الكندي المتفلسف إلى ابي العباس ، وقال له : اني لاجد في كلام العرب حشواً.

٣٩٩.الأشباه والنظائر ١: ٤٥٣ – ٤٥٤.

٤٠٠. Jespersen , *Language* , pp . ٤٠٤-٤٠٥.

فقال له ابو العباس : في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال : اجد العرب يقولون : عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال ابو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم: عبد الله قائم اخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني. " [٤٠١]

---

٤٠١. دلائل الاعجاز، ص : ٢٠٨-٢٠٩.

المصادر والمراجع

المصادر

ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين (ت ٥٧٧ هـ). الإنصاف في *مسائل الخلاف*. ٢ج. تح.محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٩٣.

ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) . *الخصائص* .٣ج. تح. محمد علي النّجار. بيروت : المكتبة العلمية، د.ت.

________. *سر صناعة الإعراب*. ٢ج. تح. حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، ١٩٨٥.

________. *اللُّمع في العربية*. تح . فائز فارس. الكويت: دار الكتب الثقافية ، ١٩٧٢.

________. *المنصف شرح التصريف*.٣ج. تح. ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين. ط١. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٤-١٩٦٠.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) . جمهرة *اللغة*.٣ج. تح. رمزي بعلبكي. ط١. بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧-١٩٨٨.

ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ) . *الأصول في النحو* .٣ج. تح. عبد الحسين الفتلي . ط١. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

ابن عصفور ، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩ هـ) . *الجمل*. تح. ابن أبي شنب. ط٢. باريس: مطبعة كلنكسيك ، ١٩٥٧.

________. *المقرّب في النحو*. تح. أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري. بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٦.

________. *المقرّب في النحو*. تح. أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري. بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٦.

________. *الممتع في التصريف*.٢ج. تح. فخر الدين قباوة. ط٣. بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨.

ابن عقيل ، أبو عبد الرحمن عبد الله بهاء الدين (ت٧٦٩ هـ) . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* .تح. رمزي بعلبكي . ط١. بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٢.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد(ت٣٩٥هـ).*الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها*. تح. عمر فاروق الطباع . ط١. بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٩٣.

________. *مقاييس اللغة*.٦ج. تح. عبد السلام هارون . ط١.القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٦-١٣٧١ هـ .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢١٦ هـ) . *أدب الكاتب* . تح. محمد الدالي . ط١. بيروت :مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.

ابن كمال باشا ، شمس الدين أحمد بن سليمان (ت٩٤٠ هـ) . *أسرار النحو* . تح.أحمد حسن حامد . عمّان : دار الفكر ، د.ت.

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم (ت٧١١ هـ) . *لسان العرب* . تح. علي شيري . ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٨.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين(ت٧٦١هـ). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. ٣ج. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٤. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦.

________. *شرح جمل الزجاجي* . تح. علي محسن عيسى مال الله. ط١. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥.

________. *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*.تح. محمد محيي الدين عبدالحميد. ط٦. القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٩٥٣.

________. *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* .٢ج. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية ، ١٩٩٢.

ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ). *شرح المفصل* .١٠ج.القاهرة : الطباعة المنيرية ، د.ت.

الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسين (ت٦٨٦هـ). *شرح شافية ابن الحاجب* .٣ج. تح. محمد نورالحسن ومحمد الزفزاف و محمد محيي الدين عبد الحميد.القاهرة : مطبعة حجازي ، ١٣٥٦-١٣٥٨هـ .

________. *شرح كافية ابن الحاجب* .٢ج. الآستانة:الشركة الصحافية العثمانية،١٣١٠هـ.

الأشموني ، أبو الحسن علي نور الدين (ت٩٢٩ هـ) . *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمّى"منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"* .٣ج. تح. محمد محيي عبد الحميد . ط١. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥.

الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ) .*النُكت في تفسير كتاب سيبويه* .٢ج. تح. زهير عبد المحسن سلطان .ط١. الكويت : المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٧.

الإربلي ، علاء الدين بن علي (ت٦٣١ هـ) . *جواهر الأدب في معرفة كلام العرب* . تح. إميل بديع يعقوب. ط١. بيروت : دار النفائس ، ١٩٩١.

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) . *فقه اللغة وسر العربية*. تح. فائز محمد وإميل بديع يعقوب. ط٢. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٩٦.

الجرجاني ، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) . *دلائل الإعجاز في علم المعاني* . تح. محمد رشيد رضا . ط١. بيروت : دار المعرفة ، ١٩٩٤.

الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ) . *التعريفات* . تح. ابراهيم الإبياري. ط٢. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٩٢.

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت٣٤٠ هـ) . *حروف المعاني*. تح. علي توفيق الحمد . ط١. بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ١٩٨٤.

________. *اللامات*.تح. مازن المبارك. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ) .*الأحاجي النحوية* . تح. مصطفى الحدري . دمشق ، ١٩٦٩.

________. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل*.٤ج.بيروت: دار المعرفة، د.ت.

________. *المفصل في صنعة الإعراب*.الإسكندرية: مطبعة الكوكب الشرقي،١٢٩١هـ .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) . *أمالي السهيلي*. تح. محمد ابراهيم البنا. ط١. القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٩٧٠.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ). *الكتاب*.٢ج. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣١٦-١٣١٧هـ .

السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ). *شرح كتاب سيبويه*.٢ج .تح. رمضان عبد التواب وآخرين .القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦-١٩٩٠.

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين(ت ٩١١هـ).*الأشباه والنظائر في النحو*. ٤ج. تح. عبد الإله نبهان وغازي مختار طليمات و ابراهيم محمد عبد الله و أحمد مختار الشريف . دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥-١٩٨٧.

________. *الاقتراح في علم أصول النحو*. تح. أحمد محمد قاسم . ط١. القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٩٧٦.

________. *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*.٢ج. تح. محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين. بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٩٢.

________. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع* .٧ج . تح. عبد العال سالم مكرم . الكويت: دار البحوث العلمية ،١٩٧٥-١٩٨٠.

الشدياق، أحمد فارس (ت ١٣٠٤هـ) . *سر الليال في القلب والإبدال* . الآستانة ، ١٨٨٤.

الفارابي ، أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (ت٣٥٠ هـ) . *ديوان الأدب* . ٤ج. تح. أحمد مختار عمر ومراجعة ابراهيم أنيس . القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٤ - ١٩٧٩.

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) .*الجمل في النحو*. تح. فخر الدين قباوة. ط١. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

________.*كتاب العين* . ٨ج. تح. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي . ط١.قم: دار الهجرة ، ١٤٠٥ هـ .

المالقي ، أحمد بن عبد النور (ت ٧٠٢ هـ) . *رصف المباني في شرح حروف المعاني*. تح. أحمد محمد الخراط . دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٥.

المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) . *المقتضب* . ٤ج. تح. محمد عبد الخالق عضيمة ، بيروت :عالم الكتب ، د.ت.

المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩ هـ). *الجنى الداني في حروف المعاني*. تح. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط ٢. بيروت: دارالآفاق الجديدة ،١٩٨٣.

الميداني ، أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ) . *نزهة الطرف في علم الصرف*. تح. السيد محمد عبد المقصود درويش . القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٢.

الهروي ، علي بن محمد (ت ٤١٥ هـ) .*الأزهية في علم الحروف*. تح. عبد المعين الملوحي، دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٧١.

المراجع العربية

أنيس ، ابراهيم . *دلالة الألفاظ* . ط٣ .القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦.

_______. *من أسرار اللغة* . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥١.

بعلبكي ، رمزي . *فقه العربية المقارن* . ط١. بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٩.

ترزي ، فؤاد. *الإشتقاق* . بيروت : منشورات الجامعة الأميركية في بيروت ، ١٩٦٨.

حسّان، تمام .*اللغة العربية :معناها ومبناها*.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢.

زيدان ، جرجي .*الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية*. مراجعة وتعليق مراد كامل،القاهرة: دار الهلال،د.ت.

الصالح ، صبحي . *دراسات في فقه اللغة*. ط١٢. بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٩٤ .

عبد التواب،رمضان . *دراسات وتعليقات في اللغة*. ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٩٤.

العلايلي ، عبد الله . *مقدمة لدرس لغة العرب* . ط٢. بيروت : دار الجديد ، ١٩٩٧.

عمر ، أحمد مختار. *البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب* . بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢.

فندريس ، جوزيف . *اللغة* . ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠.

المبارك ، محمد . *فقه اللغة وخصائص العربية* . ط٢. بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٤.

المخزومي ، مهدي . *الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه*. ط٢. بيروت : دار الرائد العربي، ١٩٨٦.

________. *في النحو العربي : نقد وتوجيه* . ط١. بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٤.

وافي ، علي عبد الواحد . *علم اللغة* . ط٤. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧.

________. *فقه اللغة*. ط٥ . القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٦٢.

المراجع الأجنبية

Haywood, John. *Arabic Lexicography*. 2nd ed. Leiden: E.J.Brill, 1965.

Jespersen, Otto. *Language: Its nature, development and origin*. 10th ed. London: George Allen and Unwin Ltd., 1954.

Moscati, Sabatino. *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages*. 2nd ed.Wiesbaden: Otto Harrasowitz, 1965.

Sapir, Edward. *Language: An introduction to the study of speech*. New York: Harcourt Brace and World Inc., 1921.

Wright, William. *A Grammar of the Arabic Language*. 2 vols. 3rd ed. New York: Cambridge University Press, 1896-1898.

